الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة-

كلية أصول الدين والشريعة والحضارة

الرقم التسلسلي:...../.....

قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل: .....

شعبة: مقارنة الأديان

الأرض المقدسة والصراع الفلسطيني الإسرائيلي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في مقارنة الأديان

إعداد الطالبة:

فضيلة بودراع

إشراف الأستاذ:

الدكتور:عبد القادر بخوش

لجنة المناقشة

د.بشير كردوسي	رئيسا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د.عبد القادر بخوش	مقررا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د.محمد بوالروايح	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د.اسعيد عليوان	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنة الدراسية:

(1424-1425هـ/2004-2005م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى المرابطين هناك على حمى الأقصى الشريف بالأرض المقدسة.

إلى من قال بشأنهما تعالى: وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.

أمي الصابرة وأبي.

إلى العائلة التي صبرت معي طيلة مدة إنجاز هذا البحث وخاصة إلى أخي الأستاذ رابح والطاهر اللذان لم يبخلا علي بمساعداتهما وإلى أختي مبارك وإلى الأستاذ محمد الهادي شاوي.

إلى صديقاتي ورفقاء الدرب وداد ووسيلة ودلال ورزيقة وثريا ومفيدة وكل الزميلات.

إلى التي صبرت معي مدة كتابة هذا البحث شيلة.

إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد كي يخرج هذا العمل إلى النور.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

فضيلة بودراع

شكر وتقدير

- أرفع أكفّ التضرع والخشوع إلى الله سبحانه وتعالى، وأشكره على ما حباني به من صبر ومثابرة في إنجاز هذا العمل المتواضع، وأسأله أن يلهمني البصيرة وحسن التدبير، وأن يكلّل مجهوداتي بالنجاح والتوفيق.
- كما أتقدم بتشكراتي الخالصة الممزوجة بالتقدير والعرفان إلى الأستاذ الدكتور عبد القادر بخوش، الذي تفضل بإشرافه على هذا البحث، ومساعداته والنصائح التي قدمها لي.
- إلى من جرى الخير على أيديهم عرفانا بالفضل والجميل، أساتذتي الكرام.
- إلى عمّال مكتبة الدكتور أحمد عروة.
- إليهم جميعا الشكر الجزيل والامتنان الوفير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقـــــدمـــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعد الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من أهم قضايا العصر ومحركا أساسيا لبؤر التوتر في العالم العربي، فالمتتبع لتاريخ المنطقة يجد أنها شهدت صراعات عديدة منذ القدم، إذ شكلت أرض فلسطين محورا للصراع بين شعوب وحضارات مختلفة، ويعد الصراع الأخير الفلسطيني الإسرائيلي أهمها لتجدره واستمراره وتعدد جوانبه السياسية والاقتصادية والدينية، باعتبارها أرضا مقدسة لدى كبرى الديانات في العالم.

أهمية الموضوع

ومن هنا تكمن أهمية موضوع قدسية الأرض في الصراع في إطار الدراسات الدينية المقارنة كونه إحدى المواضيع المعاصرة من جهة، ومن جهة ثانية لأنه يبرز أصول حقيقة الصراع القائم.

الإشكالية:

ضمن هذا الإطار، ووفق هذه التداعيات يأتي بحثي هذا في محاولة للإجابة عن السؤال التالي:

ماهي أسس قدسية الأرض في الديانات السماوية الثلاث؟ وهل لهذه القدسية أثر على الصراع القائم؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات نجملها فيمايلي:

1-ماهو موقع فلسطين الجغرافي؟ وما أهميه؟ وما هي الجغرافية البشرية لفلسطين في القدم من حيث أوائل السكان المستقرين بها؟ وماهدى صحة الادعاء اليهودي القائل بالأحقية التاريخية في أرض فلسطين؟

2-ما هي الأسس الدينية التي انبنت عليها قداسة أرض فلسطين في كل من الديانة اليهودية والمسيحية والإسلام؟

3-هل لقدسية الأرض أثر على الصراع؟ وما مدى مساهمة هذه القدسية في الصراع القائم؟

أسباب اختيار الموضوع

أما أسباب اختياري لهذا الموضوع فيعود لسببين، أحدهما ذاتي والآخر موضوعي.

أما الأول فيتمثل في رغبتي الشديدة في تناول موضوع الصراع الفلسطيني الإسرائيلي لما له من أثر بالغ في نفسي، من حيث كونه يتعلق بأحد أهم المشكلات التي تعاني منها أمتنا العربية والإسلامية منذ سنوات عديدة وحتى يومنا هذا.

أما السبب الموضوعي، فيتمثل في:

-العمل على معرفة حقيقة الصراع الدائر على أرض فلسطين بالوقوف على ما عند أهل الأديان الأخرى من تبريرات وإصرار على تمسكهم بهذه الأرض، ومدى صحتها من عدمها.

-الالتباس القائم في المفهوم الغربي لحقيقة الادعاءات اليهودية بأحقيتهم التاريخية في أرض فلسطين، هذا المفهوم الذي ولّد موقفا سلبيا تجاه القضية.

أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف البحث فيمايلي:

- الوقوف على الحقائق التاريخية العلمية الصحيحة في القول بالأحقية التاريخية في تملك أرض فلسطين.

- التعرف على الأسس الدينية المعتمدة لقدسية أرض فلسطين عند كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين.

- بيان أصول ومضامين الصراع القائم.

- كشف أحد العوامل الأساسية المؤثرة ومدى مساهمته في تحريك الصراع.

المنهج المتبع

استخدمت في موضوع البحث المنهج الوصفي في الدراسة الجغرافية الإقليمية، كما وظفت المنهج الاستقرائي والتحليلي في الدراسة البشرية لأرض فلسطين، وفي بيان أهمية الأرض من الناحية الدينية، ولدراسة الأسس التي تقوم عليها قداسة الأرض في الأديان السماوية الثلاث، وفي بيان أثر هذه القدسية على الصراع القائم، مع شي من المنهج النقدي، وإن كنت لم اعتمده بكل عناصره. وإنما استخدمته في نقد الأحقية أو الرابطة التاريخية والدينية (الأرض الموعودة)، التي يعتمدها اليهود كأساس لعودتهم إلى أرض فلسطين.

أما بالنسبة لترجمة الأعلام والتعريف بالأماكن، ففي الغالب ترجمت للشخصيات التي عثرت لها على تراجم، ومنهم من لم أفعل ذلك لعدم حصولي على تراجمهم. كما عرفت بالأماكن الواردة في متن الرسالة غير النصوص المستشهد بها لورودها بكثرة، وذلك بالنسبة للأماكن ذات الأسماء القديمة المذكورة في العهد القديم، كما أنني أرفقت البحث بخريطة فلسطين في العهد القديم، للتعرف على الأماكن بشكل دقيق، باعتبار أن الخريطة أكثر دقة في التعبير، وللتعرف على الأماكن الحالية الواردة في الرسالة من حيث موقعها، وضعت لذلك أيضا خريطة بأسماء المدن الحالية بأرض فلسطين.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات السابقة في موضوع الصراع بتعدد جوانبه، وهي في أغلبها دراسات سياسية أو اقتصادية، أما الجانب الديني بحسب ما اطلعت عليه، فالدراسات فيه قليلة وما وجد منها فداخل إطار الدراسات العامة للموضوع في شكل جزئيات أو مقالات.

وإذا حددنا الموضوع أكثر بقدسية الأرض وعلاقتها بالصراع، نجد دراسة كارين أمسترونج بعنوان "القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث"، تناولت فيه الباحثة قدسية المدينة ضمن الإطار التاريخي (حسب التعاقب التاريخي على المدينة)، وتطرقت لعلاقة القداسة بالصراع ضمنيا.

أما بحثي فقد جاء مخالفا لذلك، من حيث الأسلوب في تناول الموضوع والتقسيم، بحيث لم أعتمد تقسيمها التاريخي، إذ تناولت قداسة الأرض في الأديان السماوية الثلاث، ثم أثر هذه القدسية على الصراع.

المصادر والمراجع

اعتمدت لدراسة هذا الموضوع مصادر ومراجع متعددة لتعدد جوانبه، ففي دراسة قدسية الأرض في الأديان الثلاثة اعتمدت في اليهودية على العهد القديم باعتباره المصدر الأول، وكذلك بعض المراجع منها "أرض الميعاد" لحسين فوزي النجار و"الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية" لعشراتي سليمان، و"إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة" لأبكار السقاف، و"حدود أرض إسرائيل بين الماضي والحاضر والمستقبل" لموشيه برافر، و"موسوعة اليهودية والصهيونية وإسرائيل" لعبد الوهاب المسيري ...وغيرها.

أما في الديانة المسيحية فاعتمدت على الأناجيل أول مصادرهم المعتمدة، كما حاولت الرجوع إلى ما كتب بأقلامهم كـ"خلاصة الدين المسيحي" لبولس إلياس اليسوعي، و"يسوع في زمانه" لدانيال روبس، و"المسيحية نشأتها وتطورها" لشارل جينيبير" و"وصف الأراضي المقدسة" للرحالة الألماني" يوحنا قوربورغ، و"الاختراق الصهيوني للمسيحية" للقس إكرام لمعي، و"يسوع المسيح ربنا" للقس جون ف والفورد وغيرها.

أما في الدين الإسلامي، فقد اعتمدت مصادر أولها القرآن الكريم ثم كتب التفسير والحديث نذكر منها تفسير الطبري "جامع البيان في تفسير القرآن" وتفسير ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" و"تفسير الكشاف" للزمخشري. ومن كتب الحديث صحيحي البخاري ومسلم وغيرها. ومن المصادر أيضا "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" لمجير الدين الحنبلي، كما اعتمدت مراجع منها: "فلسطين في المنظور الإسلامي" لأحمد العناني، و"القدس تشكيل جديد للمدينة" لعبد الرحمن أبو عرفة وغيرهما.

أما جانب الصراع فقد اعتمدت على مصادر أهمها: "القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها" لمحمد عزه دروزة، و"النكبة" لعارف العارف، استفدت منهما في معرفة أحداث القضية الفلسطينية خاصة ما تعلق منها لمراحل الصراع الأولى المتمثلة في الحروب، كما اعتمدت أيضا دراسة المؤرخ البريطاني جفريز تحت عنوان "فلسطين إليكم الحقيقة"، ورجعت أيضا إلى كتب في السياسة منها "أزمة ورجال في إسرائيل لروبرت آساراف، و"الدين والسياسة في إسرائيل" لمحمد ماضي وغيرهما.

كما اعتمدت أيضا على موسوعات ومعاجم وقواميس، ولتفصيل ما اعتمدت عليه من مصادر ومراجع، أرفقت البحث بقائمة لذلك.

خطة البحث

لقد قسمت موضوع دراستي إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وجعلته فصلا تمهيديا قسمته إلى ثلاثة مباحث، درست في المبحث الأول الناحية الجغرافية من حيث الموقع، وأهميته، وتناولت في المبحث الثاني الناحية البشرية (السكان) في القديم من حيث السكان الأوائل المستقرين بأرض فلسطين، ثم الدخول العبراني. أما المبحث الثالث تناولت فيه أهمية أرض فلسطين من الناحية الدينية من حيث كونها أرض ديانات قديمة وديانات سماوية.

أما الفصل الثاني، فتناولت فيه قدسية الأرض في الأديان السماوية الثلاث، فجعلت المبحث الأول لقدسية الأرض في اليهودية من حيث كونها الأرض الموعودة وأرض الميعاد وأرض المقدسات. وتناولت في المبحث الثاني قدسية الأرض في المسيحية من حيث أنها أرض ولادة المسيح ونشأته وأرض دعوته وصلبه –على اعتقاد المسيحيين–، وأرض عودته وأرض المقدسات. ودرست في المبحث الثالث قدسية الأرض في الإسلام على أساس أنها أرض القبلة الأولى وأرض الإسراء والمعراج وأرض المحشر والمنشر، وأخيرا أرض المقدسات.

الفصل الثالث والأخير، وتطرقت فيه إلى أثر هذه القدسية على الصراع وقسمته إلى ثلاثة مباحث، درست في المبحث الأول منه أثر قدسية الأرض على الجانب الحربي من الصراع، وفي المبحث الثاني أثر هذه القدسية على الجانب السلمي، اقتصرت على اتفاقية كامب ديفيد، واتفاقية أوسلو واتفاقية الخليل كنماذج لذلك. وفي المبحث الثالث، تطرقت فيه لعلاقة المقدسات بالانتفاضة كجانب مهم في الصراع، اخترت انتفاضتي 1987 و 1996 وانتفاضة الأقصى 2000 كنماذج لذلك، غير أن هذا التقسيم يعد تقسيما موضوعيا لا تاريخيا، لأنه عند تناولنا لمرحلة الحروب لا يعني إلغاء الحلول السلمية، في هذه المرحلة وعند تناولنا لمرحلة السلام لا يعني انتفاء أو زوال المقاومة، وعند تطرقنا لمرحلة الانتفاضة لا يعني توقف المفاوضات.

وفي الأخير تأتي الخاتمة لتشكل نتائج البحث.

الفصل التمهيدي:

الجغرافية الإقليمية البشرية لفلسطين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لفلسطين وأهميته

المطلب الأول: الموقع الجغرافي

فلسطين من الناحية الجغرافية والتاريخية جزء من المنطقة التي تضم لبنان وسوريا وشرق الأردن[1]، كما أنها تعد جزء من بلاد الشام وتحتل الجزء الجنوبي الغربي منها، وتقع في غربي قارة آسيا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وعند ملتقى القارات الكبرى الثلاث: آسيا، وأوربا، وإفريقيا، مما منحها موقعا متميزا في العالم وأكسبها أهمية كبرى[2]. كما أنها تتوسط العالم العربي لتعلم حدودها بذلك من جهة الشمال لبنان وسوريا، ومن جهة الشرق سوريا وشرق الأردن، ومن الجنوب الغربي شبه جزيرة سيناء، ومن الجنوب خليج العقبة، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط[3].

ورسما لحدودها وبصورة أكثر دقة تبدأ حدودها من الجهة الشرقية من خط يبدأ عند تل القاضي بالقرب من باتياس، ويمتد جنوبا عبر بحيرة الحولة مع نهر الأردن مخترقا بحيرة الطبرية ثم يكمل نهر الأردن الحد إلى البحر الميت حيث يتجه الخط جنوبا قاسما البحر الميت إلى شرطين، ثم يستمر الخط عبر وادي العربة إلى خليج العقبة، وفي الجنوب يمتد الحد من خط يقع جنوب رفح إلى خليج العقبة، أما في الشمال فيبدأ الحد الذي يفصل فلسطين عن لبنان عند رأس الناقورة، ويتجه شرقا بحيث يلتقي بالحد الشرقي عند تل القاضي إلى الجنوب، من قلعة الصبيبة، وفي الخط تعرج قليلا إذ ينحرف قليلا إلى الشمال جنوبي مرجعيون، ومن الجهة الغربية البحر الأبيض المتوسط[4].

وهذه الحدود بين فلسطين ولبنان من جهة وسوريا من جهة أخرى رسمت بموجب الاتفاق الفرنسي البريطاني الذي تم عقده في شهر ديسمبر 1920م، غير أن الحدود النهائية بين فلسطين والدول المجاورة لها قد عدلت في عام 1922-1923م، فأخذت من جهة الحدود اللبنانية منطقة الحولة،

---

(1)-نقولا زيادة، جغرافية فلسطين، من كتاب: القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، (بغداد: اتحاد الجامعات العربية، د.ط، 1983)، ج1، ص11.

(2)-محمد سلامة النحال، فلسطين أرض وتاريخ، (عمان: دار الجيل، ط1، 1984)، ص26.

(3)-تيسير جبارة: تاريخ فلسطين، (الأردن: دار الشروق، ط2، 1998)، ص15.

انظر أيضا: محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ج7، ص403.

(4)-نقولا زيادة، جغرافية فلسطين، ص11.

وكذلك جبل عامر، أما من جهة الحدود السورية فقد أدخلت بعض الأراضي السورية القريبة من نهر باتياس والحصباني[1].

أما الحدود الفلسطينية المصرية فقد حددت بموجب الاتفاقية المنعقدة في 1 أكتوبر 1906 بين خيديوية مصر والحكومة العثمانية، وتمتد الحدود من تل الخرائب في رفح على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتنتهي عند رأس طابا على خليج العقبة، وخط الحدود يكاد يكون مستقيما في امتداده وهو يتمشى مع خط طول 34° شرقا، ليسير في الطرف الشرقي لسيناء عبر قمم بعض التلال الصحراوية، حيث يربط بين رفح على البحر المتوسط وطابا على خليج العقبة.

وقد اعترفت به بريطانيا كحد سياسي، فاصل بين فلسطين الانتداب ومصر منذ أوائل الانتداب[2].

أما في حدودها مع شرقي الأردن، فقد حددها المندوب السامي البريطاني في أيلول 1922 وتبدأ هذه الحدود من نقطة اتصال اليرموك بالأردن، حيث تسير جنوبا في منتصف نجرى نهر الأردن وبحيرة لوط، ووادي العربة وتنتهي في ساحل خليج العقبة على بعد ميلين من ناحية غرب مدينة العقبة[3].

أما المساحة الإجمالية لفلسطين، فهي قدرها 208000كلم^2، وذلك استنادا إلى اتفاقيات الهدنة المعقودة عام 1949م مع الدول العربية المجاورة وتمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة 416 كلم. في حين يتراوح عمقها من الغرب إلى الشرق بين 112 كلم في الجنوب، 10,51 كلم في السهل الساحلي في الوسط إلى الشمال من يافا[4].

---

(1)-حسن الأمين، فلسطين:

W.W.W.AL-Kawthar.Com/ quds/ tareek/ palestine.

(2)-المركز الفلسطيني للإعلام، جغرافية فلسطين.

W.W.W.Palestine-Info.net/ arabic/hand history/geo/ geoghra 2.

(3)-حسن الأمين: فلسطين:

W.W.W.AL.Kawthar.com/ quds/ tareek/ palestine.

المركز الفلسطيني للإعلام، جغرافية فلسطين.

W.W.W.Palestine-Info. net/ arabic/hand history/geo/ geoghra 2.

(4)-عبد الرحمن حميدة، جغرافية الوطن العربي، (دمشق: دار الفكر، ط1، (1410هـ-1990م))، ص300.

وتنتشر حدودها البرية على طول 951كلم، وحدودها البحرية المطلة على البحر الأبيض المتوسط 188كلم مقابل 56كلم على البحر الميت، و10,5كلم على خليج العقبة، وهكذا تلامس حدودها الجمهورية اللبنانية من الشمال، والجمهورية العربية السورية من الشمال الشرقي والمملكة الأردنية من الشرق، في حين تجاور شبه جزيرة سيناء بمصر من الجنوب الغربي.

وبذلك تتخذ شكل شطية مغروسة في قلب الوطن العربي عند تخوم إفريقيا، وتبدو وكأنها شرفة تطل على الغرب[1].

المطلب الثاني: أهمية الموقع الجغرافي

إن تعاقب الشعوب والمدنيات على منطقة فلسطين راجع بالدرجة الأولى إلى موقعها الجغرافي المتميز[2]، الذي تتوسط به العالم بين إفريقيا وآسيا وقرب التقاء البحرين الأحمر والأبيض المتوسط، الذي جعل منها مركزا هاما وملتقى للطرق الطبيعية بين الشرق والغرب، وهي كذلك تشكل همزة اتصال بين مناطق الوطن العربي، لذلك كانت طرقها البرية وغير البرية تؤدي وظيفة تواصل بين دول الوطن العربي لبنان وسورية، والعراق والأردن[3].

كما كانت فلسطين إحدى أهم الطرق الهامة في العالم القديم أوقات السلم والحرب على حد سواء، وهذا ما عبر عنه المؤرخ جوستاف لوبون[4] بقوله: «كانت فلسطين إحدى طرق العالم القديم الرئيسية، فقد كان يتألف من أوديتها الضيقة الطريق البرية الوحيد بين مركزي حضارة العالم الكبيرين بين العراق ومصر، ويتصل أحد هذين المركزين بالآخر بتلك الطريق، فيتبادلان بها محصولاتهما أيام السلم، ويسوقان بها جيوشهما أيام الحرب»[5].

---

(1)-عبد الرحمن حميدة، مرجع سابق، ص300.

(2)-تيسير جبارة، تاريخ فلسطين، ص15.

(3)-محمد سعودي، الوطن العربي -دراسة لملامحه الجغرافية-، (بيروت: دار النهضة، د.ط، د.ت)، ص412.

(4)-غوستاف لوبون: مستشرق فرنسي ولد سنة 1941، درس الطب واشتغل به ثم تركه وتوجه لدراسة الحضارة الشرقية. انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، (القاهرة: دار المعارف، ط4، 1980)، ج1، ص202.

(5)-غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، (مصر: دار الكتب المصرية، د.ط، 1970)، ص27.

ونظرا لهذا الموقع التجاري الهام، أعطى المنطقة أهمية كبرى في العالم، ومن أشهر الطرق التجارية لفلسطين وأقدمها الطريق الذي يعرف باسم خياماريس "طريق البحر"، حيث أنه «يبدأ من دمشق ليسير حتى يبلغ المكان المعروف باسم بنات يعقوب، عابرا نهر الأردن ويسير محاذيا لمرج ابن عامر، ويسير محاديا للشاطئ مارا باللد والرملة إلى غزة ومنها إلى العريش»[1].

كما يوجد طريق آخر قديم يخرج من دمشق مارا بالأردن جنوب بحيرة طبرية عبر جسر يقال له جسر المجامع، محاديا لمنطقتي بسان وجنين ويسير إلى أن يصل إلى نابلس ثم القدس فالخليل[2]. فكان لهذه الطرق الهامة دورها الفعال في تنمية التجارة بهذه المنطقة، وكانت بذلك إحدى أهم المحطات التجارية للتجارة الفينيقية البرية والبحرية على حد سواء، لقد كانت طرقهم الرئيسية الدولية تبدأ من صيدا وصور وتصل مصر أو تتجه شمالا إلى قبرص، أو غربا إلى ليكيا تحت جبال طوروس. ثم إلى جنوبي دورس فكريت وحتى صقلية وإلى أبعد من ذلك لتصل إلى مستعمراتهم في شمال إفريقيا وكذلك إسبانيا[3].

كما كانت صيدا وصور تتلقى الأخشاب في التجارة البحرية الفينيقية من حرمون لأجل بناء السفن أو التصدير، حيث برع الفينيقيون وتميزوا عن غيرهم خاصة التجارة البحرية منها[4].

والأهمية التجارية للمنطقة لم تكن حكرا على الزمن القديم، بل موقع فلسطين استمرت أهميته عبر الزمن ولا تزال فلسطين محتفظة بأهمية موقعها التجاري الذي ازدادت أهميته في عهد المماليك عندما كانت المنطقة ممرا للقوافل التجارية من الشرق الأقصى إلى أوروبا، فقد كانت السفن التجارية تصل إلى عدن وتفرغ حمولتها لتنقل برا بواسطة القوافل عبر اليمن والحجاز إلى الموانئ الفلسطينية عبر البحر المتوسط، حيث السفن الراسية التي يتم فيما بعد شحنها بالسلع المتنوعة كالحرير والعطور والتوابل وغيرها، ومن ثم نقلها للموانئ الأوروبية[5].

---

[1]-محمد عبد الخالق محمد فضل وأخرون، الموسوعة العربية العالمية، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، ط2، (1419هـ-1999م))، ج17، ص137.

[2]-المرجع نفسه، ص137.

[3]-فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق، مراجعة: جبرائيل جبور، (بيروت: دار الثقافة، د.ط، 1985)، ص104-106.

[4]-المرجع نفسه، ص104-106.

[5]-المركز الفلسطيني للإعلام: جغرافية فلسطين: W.W W. Palestine-Info. Net/arabic/ han history/ geo/geoghra2

وظلت الموانئ الفلسطينية تقدم خدماتها حتى عام 1948، وبمجيء الاحتلال الصهيوني للمنطقة، تغير التوجيه الجغرافي لهذه التجارة وأصبح يتجه شمالا نحو الموانئ اللبنانية والسورية، وجنوبا نحو ميناء العقبة[1]. ولقد جعل هذا الموقع فلسطين منطقة صراعات لآلاف من السنين، كما كانت أيضا مثار نزاع بين دول الحلفاء عند اقتسام أملاك الدولة العثمانية أيام الحرب العالمية الثانية، فكلنت كل من بريطانيا وفرنسا تريدان أن تجعلا منها منطقة نفوذ تابعة لها، وذلك خدمة لمصالحها في المنطقة، خاصة بعد فتح قناة سويس، حيث يمر البترول العربي عن طريقها إلى أوربا وأمريكا، كما أنها طريق لمنتجات الشرق الأسيوي إلى الغرب الأوربي عند عودة البواخر، تعد محملة بالبضائع الأوربية لتبيعها في الأسواق العربية[2].

غير أن أرض فلسطين لم تقتصر على كونها طريقا تجاريا فقط، بل كانت أيضا طريقا حضاريا يصل الحضارات بعضها ببعضها، فوصلت بين الحضارات القديمة من بلدان الرافدين وحوض النيل، فكانت بذلك منطقة انتقال الحضارة عبر أرضها من مكان لآخر، وبين شعب وآخر، خاصة وأنها كانت معبرا لمرور الهجرات القديمة لشتى القبائل، حاملة معها رصيدها الثقافي الذي تؤثر به وتتأثر بما هو كائن بتلك المنطقة، لتنقله إلى مكان آخر مع هجرة أخرى[3].

وعلى هذا الأساس تبرز أهمية المنطقة لموقعها الجغرافي المتميز لوصلها اقتصاديا بين مختلف مناطق العالم قديما وحديثا كونها طريقا تجاريا هاما وحضاريا لانتقال الحضارة عبر أراضيها، ومن ثمة كانت منطقة دينية هامة لاحتضانها ديانات وثقافات الشعوب في القديم، كما كانت لها أهميتها كموقع ديني، حيث عرفت المنطقة أيضا الديانات القديمة والديانات السماوية الثلاث[4].

---

[1]-المركز الفلسطيني للإعلام: جغرافية فلسطين، مرجع سابق.

[2]-محمد سلامة النحال، فلسطين أرض وتاريخ، ص30.

[3]-المرجع نفسه.

[4]-نقولا زيادة، أثر الموقع الجغرافي، من كتاب: القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج1، ص27.

المبحث الثاني: سكان فلسطين في القديم

تعاقبت على أرض فلسطين شعوب كثيرة وأقوام متعددة، فمن هي أولى هذه الشعوب التي كانت لها الأسبقية في الدخول والاستقرار بها.

المطلب الأول: أوائل سكان فلسطين

لقد ساعد موقف فلسطين أرض فلسطين المتميز كثيرا على الاستقرار بها منذ فجر التاريخ، فسكنها إنسان ما قبل التاريخ، وهو ما تكده الاكتشافات التاريخية، وما ساعد في هذا الاستقرار أيضا خصوبة أرضها واعتدال مناخها، وهذا ما جعل سلسلة الهجرات البشرية تتجه نحوها[1]. فمن هي هاته الشعوب التي اتجهت إليها ومن أين جاءت؟

كانت أولى هذه الهجرات:

***هجرة الأموريين:** التي تمثل أولى الموجات السامية من الجزيرة العربية المتجهة نحو البلاد السورية، وتسميتها بالأموريين كانت تسمية أطلقها عليهم جيرانهم السومريون في الشرق[2]، فأطلقوا كلمة سارتُوا على أهل الغرب ومنها جاءت الكلمة الأكدية (أمورد)، والتي أصبحت فيما بعد تطلق على الإقليم السوري بكامله[3]، والمعلومات التاريخية عن سكان البلاد الأصليين قبل قدوم الأموريين تكاد تكون نادرة، ولذلك لجأ بعض الباحثين إلى القول بأن الجماعات التي كانت متواجدة آنذاك ليست من جنس البحر الأبيض المتوسط، وأنها جاءت من مواطنها بالأراضي المرتفعة لأواسط آسيا في العصر الحجري والنحاسي، ودليلهم في ذلك الآثار التي كسفت عنها جار وقرقميش وفلسطين، إلا أن الرأي السائد أنهم من جنس البحر المتوسط والذي يعدّ الجنس السامي فرعا منه، ولقد عاش بعض

---

[1]-محمد سلامة النحال، فلسطين أرض وتاريخ، ص27. انظر أيضا: ول ديورنت، قصة الحضارة، ترجمت: زكي نجيب محمود، تقديم: محي الدين صابر، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف وترجمة والنشر، ط3، 1965)، ج2، ص323.

[2]-فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص70.

[3]-محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، (بيروت: دار النهضة، د.ط، (1408هـ-1987م)). ص146.

الساميين المنتمين لأصولهم الأولى إلى شبه الجزيرة العربية، غير أنهم كانوا يمثلون أقلية قبل هجرتهم الكبرى حوالي 3000 ق.م[1].

فالبلاد السورية إذن لم تكن خالية من السكان عند قدوم الموجة السامية الكبرى إليها، بل كان فيها أقوام ساميون امتزجوا بسكانها الأصليين، غير أنه سرعان ما طغت السامية على غيرها[2].

ولقد أخذ الأموريون في الظهور بالبلاد السورية بالتدرج في سورية الوسطى ولبنان وفلسطين في الجنوب، وفي تلك الفترة أصبحت سورية سامية باستثناء بعض المناطق التي كان يسكنها الحوريون وآخرون كذلك من غير الساميين، وقد بقيت محتفظة بصبغتها السامية حتى الوقت الحاضر[3].

وفي التوراة إشارة واضحة للأموريين في عصر إبراهيم عليه السلام على أنهم من أهم القبائل التي كانت تسكن جنوب أرض فلسطين، فقد جاء في سفر التكوين: [ثُمَّ رَجَعُوا وَجَاءُوا إِلَى عَيْنِ مِشْفَاطَ الَّتِي هِيَ قَادَشُ، وَضَرَبُوا كُلَّ بِلاَدِ الْعَمَالِقَةِ وَأَيْضًا الْعَمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي حُصُونِ تَامَارَ. فَخَرَجَ مَلِكُ سَدُومَ وَمَلِكُ عَمُورَةَ وَمَلِكُ أَدْمَةَ وَمَلِكُ صَبُويِيمَ وَمَلِكُ بَالِعَ الَّتِي هِيَ صُوغَرُ وَنَظَمُوا حَرْبًا مَعَهُم فِي عَمْقِ السَّدِّيمِ. مَعَ كَدَرْ لَعُومَرَ مَلِكِ عِيلاَمَ وَتَدْعَالَ مَلِكِ جُويِيمَ وَأَمْرَافِلَ مَلِكِ شِنْعَارَ وَأَرْيُوكَ مَلِكِ أَلاَّسَارَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ مَعَ خَمْسَةٍ. وَعُمْقُ السَّدِّيمِ كَانَ فِيهِ آبَارُ حُمَرٍ كَثِيرَةٌ، فَهَرَبَ مَلِكَا سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَسَقَطَا هُنَاكَ، وَالْبَاقُونَ هَرَبُوا إِلَى الْجَبَلِ. فَأَخَذُوا جَمِيعَ أَمْلاَكِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَجَمِيعَ أَطْعِمَتِهِمْ وَمَضُوا. وَأَخَذُوا لُوطًا ابْنَ أَخِي أَبْرَامَ وَأَمْلاَكَهُ وَمَضَوا إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي سَدُومَ. فَأَتَا مَنْ نَجَا وَأَخْبَرَ أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ وَكَانَ سَاكِنًا عِنْدَ بَلُّوطَاتِ ممرا الأَمُورِيِّ أَخِي أَشْكُولَ وَأَخِي عَانِرَ وَكَانُوا أَصْحَابَ عَهْدٍ مَعَ أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيِّ][4].

وقد ظلت دولة الأموريين مزدهرة فأقاموا دولتهم في الوادي الخصيب نسبيا الذي يُعد أولى مواطن الاستقرار، وأنشأوا بها حضارة بعدما تحول مركز الثقل إلى سورية الوسطى، ولا يزال للأموريين الدور الرئيسي، فكانت لهم اتصالاتهم بمصر وبابل وآشور، غير أن الوضع الجغرافي المتميز

---

(1)-أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، (مصر: دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1993)، ص297.

(2) المرجع نفسه، ص197.

(3)-فيليب حتي، تاريخ سورية وفلسطين ولبنان، ص70.

(4)-سفر التكوين: 14: 7-13.

للمنطقة جعل منها مجالا للتنافس على الدوام، فكان ذلك عاملا من عوامل انهيار الدولة الأموريـــة. فكان القسم الموالي لمصر تابعا لها، واضطر قسم آخر إلى أن يوالي الجيشين رهبة وخوفا، وقسم ثالث حال إلى الحياد متجنبا الدخول في الصراع، وقسم رابع كانت الحيرة موقفه، ومع الآموريـــين أو في أعقابهم تقدمت موجة الكنعانيين وكان لها الدور بعد الأموريين[1].

*الكنعانيون: يمثلون الشعب السامي الثاني الذي جاء إلى فلسطين وقد أطلق عليه اليونـــان تسمية الفينيقيين، والكنعانيون ينتسبون إلى موجة الهجرة الأمورية، ولذلك كان الاختلاف العرقـــي بينهم معدوم[2]، وهذا ما يؤكده المؤرخ البريطاني جفريز من أن الكنعانيين ذو أصول أمورية، غـــير أنهم انصهروا انصهارا تاما مع من سبقوهم، غير أن صفة الكنعانية هي الصفة الشاملة لهم جميعا، وقد كوّنوا الطراز السامي الحقيقي وأورثوا صفاتهم إلى أخلافهم العرب[3].

أمّا تسمية كنعان فيرى المؤرخ الطبري، أن كنعان هو أحد أبناء نوح، والذي تسميه العـــرب سام، أيضا ومنه قولهم «إنما سام عمنا يام»[4]، وفي موضع آخر له يقول: «إن كنعان هو ابن حام بن نوح»[5]. وهناك من يرجع لفظة كنعان "Kana" إلى أصول سامية بمعنى الأرض المنخفضة من فعـــل كنع؛ أي انخفض وتواضع، وذلك لاختلافها عن مرتفعات لبنان[6].

وهناك من يشكك في هذا الأصل ويجعلها من أصل حـــوري "knegy" ؛ بمعـــنى الصبـــاغ الأرجواني وفي رسائل تل العمارنة كينافي "kinkhkhi" وبالفينيقية كنع "Keng" وبالعبرية كنعـــان: أي بلاد الأرجوان، وهذا وتشير فنيقية Phoinix أي أحمر أرجواني إلى صناعة الأرجوان التي كـــانت

---

[1]-نجيب مخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، (د.م: دار المعارف، ط2، 1964)، ج3، ص29-30.

[2]-فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص85.

[3]-جفريز، ج م ن، فلسطين إليكم الحقيقة، ترجمة: خليل الحاج، مراجعة: محمد أنيس، (مصر: الهيئـــة المصريـــة العامـــة للتأليف والنشر، د.ط، 1971)، ج1، ص37.

[4]-محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، -تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضـــل إبراهيـــم، (القـــاهرة: دار المعارف، د.ط، 1960)، ج1، ص191.

[5]-المصدر نفسه، ص202، 206.

[6]-فليب حتي، المرجع السابق، ص85.

سائدة بساحل البحر المتوسط، وأصبح هذا الاسم حوالي 1200 ق.م مرادفا لاسم كنعاني للدلالة على أهل سورية[1].

وتعود الهجرة الكنعانية إلى حوالي القرن 26 ق.م استنادا إلى قول المؤرخ باتون، «إن بلاد العرب عادت فغصت بأبنائها بعد ألف سنة، فكانت الهجرة الأمورية الكنعانية (أي الفينيقية) حوالي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد»[2].

وما يؤكد الأصل العربي للفينقيين ما ذكره مارتين اليسوعي في كتابه "تاريخ لبنان" وهوما أكده الرحالة اليوناني الجغرافي "سترابون" وذلك من خلال ملاحظاته للشبه الكبير الموجود بين الهياكل الدينية العربية بالخليج الفارسي، والهياكل الدينية بفينيقيا، خاصة إذا علمنا أن الفينيقيين عند قدومهم إلى الشام من جنوب البلاد العربية أقاموا أول الأمر بالقرب منهم من البحيرة الأشورية (الخليج الفارسي) وهذا ما ذكره يستين في مختصر (تروغ بمي): «أن الفينيقيين لما آذتهم الزلازل في أوطانهم وأضرت بهم هجروها وأقاموا أولا بالقرب من البحيرة الآشورية ثم رحلوا من هناك ونزلو عند البحر (البحر الأبيض المتوسط)، وفي ذلك المحل بنوا مدينة سموها صيداء لكثرة الأسماك في ساحلها»[3].

وأما فيما يتعلق بالموطن الذي قدم منه الفينيقيون، فإنّ هيرودوت يرجع موطنهم الأصلي لارتيريا سواء أقصد بهذه التسمية الجنوب الغربي وساحل الحبشة أم أراد بها منطقة الخليج في الشمال الشرقي للهضبة العربية، والاحتمال الأكبر أنها ترجع البلاد العربية، حسب الإشارة التي أشار إليه الجغرافي الروماني تسالايو، للتشابه الموجود بين أسماء المدن، والتي أقامها الفينيقيون على الساحل السوري مثل "صور" على ساحل عمان وجبيل على ساحل الإحساء، وغيرها من الأسماء المدن. ضف إلى ذلك تشابه مقابر البحرين في الخليج العربي وهياكلهم[4]، وهذا ما يدل دلالة واضحة على أن الفينقيين قد جاءوا من بلاد العرب، يقول العلامة فرنسيس لونورمان "F.Lenoimand": «إن تقليد

---

[1]-فيليب حتي، مرجع سابق، ص85.

[2]-نقلا عن: محب الدين الخطيب، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، (القاهرة: المطبعة السلفية، د.ط، 1344هـ)، ص10.

[3]-المرجع نفسه، ص11-12.

[4]-أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص313.

الفينيقيين الذي جمعه في نفس مدينة صور المؤرخ هيرودوتس البارع في تحري منابع الأخبار وقبله تروغ بيني المعروف بالرأي الصائب، وتقليد سكان عربية الجنوبية الذي نقله سترابون ثم التقليد الذي كان جاليا ببال في أوائل النصرانية أيام أنشأ الكتاب السرياني الكلداني في الفلاحة.

جميع هذه التقاليد الثلاثة متفقة على أن الكنعانيين (الفينيقيين) سكنوا في بادئ الأمر بالقرب من الكوشيين اخوتهم الأصليين عند أرياف البحر الأحمر أو خليج العجم»[1].

وبذلك تكون الهجرة الكنعانية من أقدم الهجرات المتجهة نحو البلاد السورية، وقد تسمت فلسطين باسم كنعان، حيث أطلق هذا الاسم في أول الأمر على الساحل وغرب فلسطين، ليشمل فيما بعد فلسطين كلها، وقسم كبير من سورية، ويعد هذا أول اسم لفلسطين وجميع الأسماء الأخرى أقل أهمية[2].

ولقد وردت تسمية الكنعانيين في التوراة وهم ساميون قدموا من شبه الجزيرة العربية، وليسوا حاميين كما أرادت التوراة أن تجعلهم، وقد سكنوا فلسطين وأقاموا حضارة دلت الآثار عن مدى ازدهارها ورقيها[3].

وبلاد الكنعانيين تعني أصلا الجهة الساحلية والقسم الغربي من فلسطين، ولكنها شملت فيما بعد جميع فلسطين وجزءا كبيرا من سورية ولا تزال أسماء بعض المدن ذات الدلالة الكنعانية كأريحا وبيسان ومجد، وتكشف الآثار تأسيسها في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وكذلك عكّا وصور وصيدا وجبيل[4].

والكنعانيون على عهدهم لم يتمكنوا من إنشاء دول كبيرة، بل كانت مستعمراتهم على الساحل على صورة مدن متباعدة تحميها الجبال و لم تعرف الوحدة بسبب الأخطار أو بدافع المصالح المشتركة[5].

---

[1]-نقلا عن: محب الدين الخطيب، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، ص12.

[2]-فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص87.

[3]-أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص314.

[4]-نجيب خائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ص31.

[5]-فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص174.

***الآراميون:** الآراميون الشعب السامي الثالث الذي قدم إلى سوريا، وينتمي الآراميون إلى الموجة الثالثة بعد موجات الهجرات السامية التي جاءت من شبه الجزيرة العربية[1]. وهناك من المؤرخين من يرى بأنهم جاءوا من الصحراء العربية السورية، وقد كانوا في البدء من البدو الرحل منتظمين بشكل قبائل هائمين حتى بلغوا الأماكن العليا من بلاد الرافدين[2].

وأما عن فترة انتشار الآموريين في البلاد السورية، قد استدل المؤرخون بالمدونات الأشورية البابلية بأن الأموريين قد اجتاحوا خلال القرنين 14 و13 ق.م منطقة بلاد الرافدين وشمال وسط سوريا، فقد دلت إحدى رسائل تل العمارنة على أن الأخلامو في عهد أخناتون كانوا يستولون على الأراضي السورية، وقد ذكر الأموريين مقترنين بصورة وثيقة مع الأخلام في الوثائق التي أتت فيما بعد، فالملك تغلات فلاسر الأول يقول: «لقد زحفت إلى وسط الأخلام الأراميين أعداء الإله آشور سيدي»[3].

ولقد أدى تكرار الاسمين معا "الأخلامو الأراميين" إلى قول بعض العلماء بأن الآراميين فرع من الأخلام، وأما كلمة الأخلام تعني الحلفاء أو الرفاق، ويرى البعض الآخر أنه اسم كان يطلق على إحدى القبائل البدوية ثم توسع في استعمال هذا الاسم. على أن الرأي الأول هو الأرجح، باعتبار كلمة الأخلام التحالف وبذلك يكون الأراميون جزءا من هذا التحالف[4].

وبعد اجتياح الآراميين سورية بدأت هذه المناطق تتخذ صفتهم باستثناء بعض المناطق ككركميش، وقد أدى الزحف الآرامي إلى احتواء أو طرد الأموريين والحوريين والحثيين في وادي العاصي والمنطقة الشمالية، غير أن هذا التوسع قد وقف في مده جبل لبنان نحو الغرب، مما ساعد على بقاء وازدهار الجماعات الأمورية والحثية، غير أن المدن الكنعانية لم يصلها الزحف الأرامي وبقيت

---

[1]-أندريه إيمار، جانين أوبواية، تاريخ الحضارات العام، إشراف: موريس كروزيه، ترجمة: فريد م، داغر، فؤاد ج أبو ريحان، (بيروت: منشورات عويدات، ط2، 1986)، ص262.

[2]-أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص327.

[3]-فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص175.

[4]-أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص328.

دون أن تمس وأصبحت دمشق هي مركز الدولة الآرامية فيما بعد، يسكنها الآراميون ق 1200ق.م[1].

ولقد استطاع الآراميون تأسيس دويلات هامة غير أنها لقيت الكثير من المقاومة، مما لم يمكنها من إنشاء دولة كبرى في الشام، وذلك بسبب المد الأشوري من جهة، والعداء بين الآراميين والعبرانيين من جهة ثانية، ولقد ساعد هذا العداء الآشوريين القضاء على الحضارة الآرامية بعد حصار طويل[2].

وقد توقفت الحركات الآرامية في القرن 13ق.م وظهرت الدول وبدأ اسم الآموريين يميل إلى الزوال بعد القرن التاسع عشر ق.م، وذلك عند قضاء الآشوريين على الآريين في هذه المنطقة[3].

وعلى هذا الأساس يتبين لنا أن الجنس السامي العربي قد سكن البلاد السورية ومنطقة الجنوب منها، التي تمثل فلسطين منذ أقدم العصور في سلسلة من الهجرات المتجهة من البلاد العربية والتي خرجت منها أولى الشعوب السامية ممثلة في الشعب الأموري، وهو الشعب السامي الأول الذي سكن سوريا، ثم الكنعاني، ثم الآراميين.

---

[1]-فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص175-176.

[2]-نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ص32-34.

[3]-فيليب حتي، المرجع السابق، ص176.

المطلب الثاني: الدخول العبراني إلى أرض فلسطين

استطونت بأرض فلسطين موجة أخرى من الشعوب تمثلت في الشعب العبراني، فما مدى صحة الادعاء القائل بالأحقية التاريخية التي يعتمدها اليهود في القول بأحقيتهم التاريخية بأرض فلسطين وعودتهم إليها؟

يمثل الشعب العبراني، الشعب السامي الرابع الذي سكن أرض فلسطين بعد الأموريين والكنعانيين والآراميين. وتعود الجذور العرقية لبني إسرائيل إلى العرق الثاني الذي ينتسب إليه الأشوريون والعرب، وقد كانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهدا للساميين الذين انحدر منهم العرب وهم الذين بقوا في بلاد العرب، والإسرائيليون والآشوريون الذين مروا بالفرات الأدنى وانتشروا في جميع آسيا السابقة[1]، وقد ثبتت إقامة بني إسرائيل في بلاد ما بين النهرين لما جاء في مصادرهم الدينية والتاريخية، ومن ذلك ما أخبرتنا به التوراة عن خروج إبراهيم عليه السلام من أور[2] في كلدة، حيث جاء في سفر التكوين: [وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ ابْنَ ابْنِهِ وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ وَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورَ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ][3].

كما ثبتت إقامته أيضا بالآثار الباقية من الديانة والعادات السومارية والآكدية، التي دلت عليها معتقداتهم وطبائعهم، وهذا ما يؤكده غوستاف لوبون بقوله: «وثبتت آثار المعتقدات الكلدانية الواضحة في النظام الكوني المقتبس من باب أن تلك الأمم التي قام ساميوا الشمال بينها هي الأمم السومرية والأكادية، أي الأدوميون الذين استقروا منذ القدم بسهول الفرات الأدنى»[4].

---

(1) –غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص24–25. انظر أيضا: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهودية والصهيونية وإسرائيل، (د.م: شركة صخر لبرامج الحاسب، 1999)، مج4، ص1855.

(2) –أور الكلدانيين: مكان أور اليوم خرائب تدعى المغيّر في منتصف المسافة بين بغداد والخليج الفارسي وعلى مسافة 10 أميال شرقي مجرى نهر الفورات في الزمن الحاضر. انظر: جون ألكساندر طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، (القاهرة: دار الثقافة، دط، 1995)، ص28.

(3) –سفر التكوين 11: 31.

(4) –غوستاف لوبون، المصدر السابق، ص26.

ويرجع المؤرخون الدخول العبراني إلى أرض كنعان إلى ثلاث هجرات موجة الهجرة الأولى من بلاد الرافدين في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكانت هذه الهجرة متزامنة مع انتشار الهكسوس والحوريين في الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وقد تمت هذه الهجرة في عهد الآباء الأولين[1].

بدأت هجرة إبراهيم عليه السلام من أور كلدان وزوجته سارة باتجاه أرض كنعان حتى وصل منطقة حاران بالأردن، ثم توجه إلى كنعان[2]، على ما جاء في سفر تكوين: [وَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ. وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارَحَ مَائَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ وَمَاتَ تَارَحُ فِي حَارَانَ] [3].

والذي على أساسه أجمعت التقاليد العبرية على أن مسقط رأس الخليل عليه السلام كان في مدينة أور، وعليه أسس المفسرون القدامى من اليهود بأن موطن سلفهم الأعلى (إبراهيم) إنما كانت بمنطقة الفرات الأدنى[4]. غير أنه هناك من المؤرخين من يقول بأن موطنه الأصلي مدينة حران، وهذا الاختلاف أساسه الاختلاف الوارد في العهد القديم، الذي يرجع بدوره هذا الأخير إلى تعدد مصادره، المصدر الكهنوتي، يجعل "أور" مكان ولادته، في حين المصدر اليهوي يجعله حران[5]. ولقد كان خروج إبراهيم عليه السلام وعشيرته من أور الكلدانيين بما أصاب المنطقة من اضطراب سياسي واجتماعي بلغ حده الأقصى في الغزو والانهيار إمبراطورية أسرة أور السومرية الأكادية الثالثة، والتي ظلت مدتها ممتدة من 2170 إلى 2064 ق.م، مما أدى بإبراهيم إلى الخروج باحثا له عن أرض أكثر هدوءا واستقرارا، وهذا من عادة الأقوام التي تعتمد في حياتها على الارتحال[6].

---

(1) –فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص190.

(2) –L. Telliers, Atlas historique de l'ancien testament (Niril obstat 1937), p10.

(3) –سفر التكوين، 11: 31-32

(4) –محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1999)، ج2، ص66.

(5) –المسيري، الموسوعة اليهودية، مج4، ص1884.

(6) –شفيق مقار، قراءة سياسية للتوراة، (لندن: رياض الريس للكتب، د.ط، 1991)، ص32.

غير أن مقام إبراهيم عليه السلام بأرض كنعان لم يدم طويلا بسبب الجوع الذي ضرب المنطقة، الأمر الذي أدى به إلى الهجرة مرة أخرى باتجاه مصر، جاء في سفر التكوين: [وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ. لأَنَّ الجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا...] [1].

ويرجح العلماء -أو يكادون- بأن وصول إبراهيم عليه السلام أيام الأسرة الثانية عشر (1991ق.م)، ذلك لأن الفترة التي سبقت الأسرة الثانية عشر، وبخاصة التي كانت على عهد الثورة الاجتماعية الأولى كانت تعاني من فوضى سياسية وانهيار اقتصادي، وعليه فلا يمكن أن يتجه إبراهيم عليه السلام وهو يبحث عن الاستقرار ليمضي عليه السلام في مصر فترة لا يعرف مدتها على وجه التحديد، ثم يعود منها محملا بالكثير من المواشي والفضة والذهب، وكذلك الأمر بالنسبة لابن أخيه لوط عليه السلام، ونظرا لازدحام رعاتهما استقل كل منهما بمنطقة خاصة[2].

قد جاء في سفرالتكوين: [فَسَكَنَ أَبْرَامُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَلُوطٌ سَكَنَ فِي مُدُنِ الدَّائِرَةِ وَنَقَلَ خِيَامَهُ إِلَى سَدُومَ] [3].

أما الهجرة الثانية، فكانت في القرن 14ق.م، متصلة بهجرة الأراميين في عصر العمارنة[4]. فالهجرة الأولى والثانية توافقان هجرة الآباء (2100-1200ق.م)، والتي تمتد من هجرة إبراهيم من أور كلدان حتى هجرة يوسف عليه السلام من أرض كنعان إلى أرض مصر أثناء حكم الهكسوس ورحيل العبرانيين عنها[5].

ومن ثم فهجرة إبراهيم عليه السلام تمثل الهجرة الأولى، وهجرة أحفاده تمثل الهجرة الثانية، والتي تبدأ مع يعقوب عليه السلام وذلك بعد أن ذهب إلى فدان آرام[6]، حيث أقام فترة هناك عند خاله لابان

---

(1) -سفر التكوين 12: 10.

(2) -محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، ص97. انظر أيضا: Talliers, Atlas historique de l'ancien testament, p10

(3) -سفر التكوين 13: 12.

(4) -فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج1، ص190.

(5) -المسيري، الموسوعة اليهودية، مج4، ص1855.

(6) -فدان آرام: سهل يوجد في آرام النهرين. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص672.

وتزوج هناك بابنتيه ليئة وراحيل وجاريتهما ورزق هناك ببنين بعدها هاجر يعقوب وبنيه من فدان آرام إلى حبرون[1]، وبهذا الارتحال تبدأ الهجرة الثانية بتاريخ العبرانيين إلى أرض كنعان[2].

وقد عاش الشعب العبراني على الحدود الجنوبية لفلسطين حول واحات قادش[3] وبئر سبع[4]، وقد بقي يعقوب عليه السلام وعائلته بأرض كنعان حتى هاجروا مرة أخرى إلى مصر للمجاعة التي أصابتهم على ما تذكره التقاليد الإسرائيلية، ذلك أنّ الشعب العبراني عرف الحياة الرعوية والترحال منذ زمن الآباء، وما دل على وجود الإسرائيليين بمصر باسم يعقوب الذي ثبت من طرف خنافس مصرية زمن الهكسوس على شكل "Y.q.b-hr" ربما تعني (yaqobel) على ما ذكره أدولف لودز[5].

وهو ما يذهب إليه المؤرخ "ستانلي كوك" من أن الإسرائيليين الذين هبطوا مصر لم يكونوا كلهم، والأمر كذلك ما جاء في دائرة المعارف اليهودية وهو ما يراه أيضا السير فلندرز بتري مستندا في ذلك إلى وجود أسماء مثل "يعقوب إيل" و "يوسف إيل" في قوائم انتصارات فرعون مصر العظيم تحوتمس الثالث (1490هـ-1436 ق.م)، ثم يفترض بعد ذلك أن هذه الأسماء هي أسماء هؤلاء الإسرائيليين إلى كنعان مباشرة بعد انتهاء القحط الذي ألم بها[6].

أما الهجرة الثالثة للعبرانيين إلى أرض كنعان، فكانت في الثلث الأخير من القرن 13ق.م، في عهد مرنتباح من رمسيس الثاني (1224-1215ق.م)، وهي التي كانت تتجه في وجهتها من مصر

---

(1) -حبرون: مدينة في أرض يهودا الجبلية، ودعيت أصلا قرية أربع، وهي مدينة الخليل حاليا. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص286.

(2) -محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، ص183.

(3) -قادش: تقع على تخم يهودا الجنوبي وربما كانت هي قادش برنيع، والتي تدعى عين مشفاط. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص708.

(4) -بئر سبع: يقع بين بيت المقدس والكرك، فيه سبعة آبار، بذلك سمي هذا الموقع بهذا الاسم. انظر: يحيى عبد الرؤوف جبر، معجم البلدان، الأردنية والفلسطينية حتى نهاية القرن الهجري السابع، (دم: دار اللوتس للنشر والتوزيع، دط، 1988)، ص128.

(5) -Adolf Lods, Israël, (Paris : Edition Albine Michel, 1949), p179-180.

(6) -محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، ص226.

بقيادة موسى عليه السلام وياشوع من بعده[1]، وهذا الشعب الذي عاش بمصر زمنا طويلا حياة البداوة والترحال تارة، وحياة التشرد تارة أخرى، استقر به المقام أخيرا بأرض كنعان في أواسط الألف الثاني عشر قبل الميلاد[2].

وقد دلت على هذه المرحلة مصادرهم الدينية، وتحدثت التوراة عن تيههم في صحراء سيناء، إذ أقام بنوا إسرائيل بأرض مصر بوادي بيشة مدة سنة، جاء في سفر الخروج: [أَمَّا إِقَامَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ، فَكَانَتْ أَرْبَعَمِائَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً وَكَانَ عِنْدَ نِهَايَةِ أَرْبَعَمِائَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ أَنَّ جَمِيعَ أَجْنَادِ الرَّبِّ خَرَجَتْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ هِيَ لَيْلَةٌ تُحْفَظُ لِلرَّبِّ لإِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ][3].

وبهذا، خرجوا من مصر تحت قيادة موسى عليه السلام الذي تاه بهم مدة أربعين سنة في الصحاري حتى وصل بهم إلى مشارف أرض كنعان، وقد حدد تاريخ خروجهم بعام 1440ق.م، أكثر منه بعام 1450ق.م، وهناك التقى بنوا إسرائيل ببني يعقوب الآراميين، فاتحدوا معهم تحت قيادة موسى عليه السلام ، وبذلك كانت بداية الشعب التاريخي المعروف بشعب إسرائيل[4].

وعند وصول موسى عليه السلام بقومه إلى منطقة "فاران"[5] أرسل رجالا إلى أرض فلسطين لاستطلاع حالة المنطقة من حيث السكان والعدد ومن حيث القوة والضعف[6].

جاء في سفر العدد: [ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً أَرْسِلْ رِجَالاً يَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ...فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ، وَقَالَ لَهُمْ اصْعَدُوا مِنْ هُنَا إِلَى

---

(1) –فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص190.

(2) –أندريه إيمار، تاريخ الحضارات العام، ص265.

(3) –سفر الخروج 12: 40–41.

(4) –كمال الصليبي، كشف خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، (د.م: دار الساقي، د.ط، د.ت)، ص212–213.

(5) –فاران: برية واقعة إلى جنوب يهود وشرق برية بئر سبع بين جبل سيناء (والأصح بين حضيروت الواقعة مسيرة أيام من سيناء) وكنعان. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، مصدر سابق، ص666.

(6) –مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، (دمشق: الدار الشامية، ط1، 1416هـ 1995م)، ص63. انظر أيضا: Richard le beau, une histoire des hébreux, (Paris, Tallandier), p57.

الْجَنُوبِ وَاطْلَعُوا إِلَى الْجَبَلِ وَانْظُرُوا الأَرْضَ مَا هِيَ وَالشَّعْبَ السَّاكِنَ فِيهَا أَقَوِيٌّ أَمْ ضَعِيفٌ قَلِيلٌ أَمْ كَثِيرٌ][1].

وتخبرنا التوراة أنه عند عودة من بعثهم موسى عليه السلام لاستطلاع فلسطين وبعد وصفهم لقوة الكنعانيين، وشدة بأسهم، دبّ الخوف في نفوسهم، فطلبوا من موسى العودة، فنزل بهم الجبل غاضبين وحسب الرواية التوراتية قد غضب الرب عليهم، إذ نزل الكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم[2].

وقد ذكر غوستاف لوبون الأسباب الكامنة التي دفعت بني إسرائيل للخروج من أرض مصر والمتمثلة في قحط المنطقة التي لم تعد تكفي معيشتهم بقوله: «وجزيرة سيناء، إذ كانت بالحقيقة فقيرة جدبية إلى الغاية، لم تصلح لإعاشة أهل البدو فتوجه بنو إسرائيل إلى الشمال وحاولوا دخول أراضي الشعوب الكنعانية الصغيرة، ولما دنوا من هذه الأراضي ظهرهم خصبها فاشتعلت نيران الحسد في قلوبهم»[3].

كما أن الاضطهاد والتسخير الذي تعرض له بنوا إسرائيل على يد ملوك مصر بعد تقويض حكم الهكسوس خاصة رمسيس الثاني الذي كان يسخرهم في أعمال البناء ونقل الحجارة، وقد دلت على ذلك ما جاء في أوراق البردي المتواجدة بمتحف ليدن في هولوندة، وقد قام بترجمتها عالم اسمه شاس، وهي عبارة عن رسالتان جاءت إحداهما من كاتب اسمه كويسر جوابا لرئيس له اسمه هرنفتاح يقول فيها: «استرضاء لسيدي آمنحت أمره الذي أنفذه إليّ قائلا: أعط الجنود قوتهم وأعط أيضا العبيد والذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رمسيس مريانان خليل العدل والذين وكل أمرهم إلى رئيس الشرطة أغليمان، فأنا أجريت عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الأوامر الثانية التي أنفذها سيدي إلي».

---

(1) -سفر العدد 13: 1، 17-18.

(2) -مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في العالم القديم، ص63-64. انظر أيضا: Richard lebeau, une histoire des hébreux, p57

(3) -غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص33.

والثانية من كاتب اسمه كينا إلى رئيس اسمه كجانا، هو يقول فيها: «أطعت ما أمرني به سيدي قائلا أعط الجنود رزقهم والعبيد أيضا الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذي انصرفت إليه عناية رعمسيس حريان في جنوب منف»[1].

وقد رجح الباحثون ومنهم من جزم كالمطران الدبس أن العبيرو هؤلاء هم بنو إسرائيل الذين عاشوا وكثر عددهم هناك[2]. وقد تعرضوا للاضطهاد من ملوك مصر مما اضطرهم للخروج والتوجه إلى أرض كنعان بقيادة موسى عليه السلام ، فنقرأ في سفر الخروج: [فَقَالَ الرَّبُّ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُم مِنْ أَجلِ مُسَخِّرِيهم، إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لِأُنْقِذَهُم مِنْ أَيْدِي المِصرِيينَ وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، وَإِلى مَكَانِ الكَنعَانِيينَ وَالحِثِّيينَ وَالأَمُورِيينَ وَالفَرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيينَ وَاليَبُوسِيينَ، والآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ المِصْرِيِّينَ فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ] [3].

غير أن دخول بني إسرائيل إلى أرض كنعان لم يكن مع موسى عليه السلام، فقد توفي وهو على مشارفها كما تخبرنا التوراة بذلك، و لم يتمكن بنو إسرائيل من الدخول حتى جاء يوشع وتولى قيادتهم

---

(1) –محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، (د.م: مطابع شركة الإعلانات الشرقية، د.ط، د.ت)، ج1، ص30.

(2) –المرجع نفسه، ص31.

(3) –سفر الخروج 3: 7-10.

وعبر بهم إلى الضفة الغربية بالأردن[1]، واحتلوا بذلك أريحا ثم بعد ذلك عاي[2] وجبعون[3]. ولبنة[4] وجازر[5] وعجلون[6] وحبرون، ودبير[7] وحاصور[8]. [9].

ولقد صور العهد القديم الطريقة التي دخل بها اليهود أرض فلسطين، بحيث جاء في الإصحاح السادس من سفر يشوع: [وَحَرَّمُوا كُلَّ مَنْ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ وَطِفْلٍ وَشَيْخٍ حَتَّى الْبَقَرَةَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ...، وَأَحْرِقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا لَهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ الرَّبِّ] [10].

بهذه الوحشية يستولي اليهود على الأرض الموعودة -كما يدعون- التي ارتكبوا بها أفضع الجرائم، فلم يسلم من بطشهم لا الطفل ولا الشيخ ولا حتى الحيوان.

---

[1] -مصطفى كمال عبد العالي، اليهود في العالم القديم، ص65. انظر أيضا: Richard Lebeau, une histoire des hébreux, p57

[2] -عاي: تقع إلى الشرق من بيت إيل (بيت إيل تقع إلى شرق ي خط يمتد من القدس إلى نابلس، ص200)، وإلى الشمال من مخماش. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص591.

[3] -جبعون: تبعد عن القدس بنحو 5 أميال إلى الشمال، أما موقعها الحالي فيعرف بقرية الجيب الواقعة على قمة هضبة شمال غربي القدس. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، مصدر سابق، ص246.

[4] -يرجح أنها المكان المسمى تل بورناط على مسافة ميلين إلى الشمال الغربي من بيت جبرين، والبعض يظن بأنها تل الصافي (أو الصافية) بالقرب من نواحي غزة. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق ص812.

[5] -جازر: اسم مدينة كنعانية قديمة، يرجع تاريخها إلى 3000.000ق.م، قريبة من لخيش وبيت حورون السفيلى، تتاخم أرض إفرايم. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، مصدر سابق، ص242.

[6] -عجلون: مدينة قرب الساحل إلى الشمال الشرقي من غزو، 16 ميل ويرجح أن مكانها اليوم تل الحسي، والاسم عجلون لا يحال في خربة عجلان التي تقع شمال تل الحسي بميلين وقرب أربد في الأردن، ص608. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص812.

[7] -دبير: اسم مدينة في أرض يهودا الجبلية، وهي في النقب أو في أرض الجنوب، ومكانها الآن هو تل بيت مرسيم الذي يبعد بنحول 13 ميل غربا إلى الجنوب الغربي من الخليل. انظر: جون طومسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص368.

[8] -حاصور: تقع في أقصى جنوب قادش، ربما كانت تقع مكانها اليوم الجابرية قرب بئر الحافر التي على نحو 9أميال جنوب شرق العوجة، ص283. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص812.

[9] -أحمد أمين سليم في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص336.

[10] -سفر يشوع 6: 21-25.

ولقد ذكر غوستاف لوبون الأسباب التي كانت وراء هذه الوحشية في عمليات الدخول وذلك للاحتياج والبؤس الذي عاشه بنو إسرائيل الكبير، مما دفعهم إلى الاقتراب من المدن[1].

غير أن مرحلة التوسع العبراني في أرض فلسطين قد لاقت مقاومة من طرف سكانها القاطنين بها، فلم تسقط مجدو[2] في الشمال حتى بعد حوالي مائة سنة، كما أن التغلغل العبراني إلى منطقة الجليل وفتح حاصور قد كان مؤقتا، حتى أنهم أعادوا فتحها في عهد القضاة، كما أن أهم المدن الفلسطينية الأخرى لم تسقط تحت أيديهم كبيت لحم وبيت شان[3] والقدس، حتى حوالي 1000 ق.م أو بعد ذلك بقليل[4].

وما يفسر نجاح الإسرائيليين في السيطرة على أجزاء هذه المناطق، الانقسام الذي كانت عليه القبائل الكنعانية، وفي هذا يقول غوستاف لوبون: «ولم يكن هناك فتح بالمعنى الصحيح على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة انتفاخا من تعداد الانتصارات وتقتيل الأهالي وانهيار أسوار أريحا بالنقر في النواقير، ووقف يوشع للشمس إمعانا في الذبح، أجل فتح بعض الضياع عنوة، ويفسر انقسام العشائر الكنعانية الكبير حقيقة النجاح الذي ناله بنوا إسرائيل القليلو الذوق والضعيفو الأهبة للحرب والسيئو السلاح»[5].

وعند سيطرة العبرانيين على البلاد، عملوا على تقسيمها بين القبائل الإحدى عشرة، فيما تركت القبيلة الثانية عشر قبيلة اللاويين موزعة بين سائر القبائل، تهتم بشؤونها الدينية[6].

---

(1) –غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص35.

(2) –مجدّو (مجدّون): مكانه الآن هو تل المتسلم، الذي يقع مسافة 20 ميل جنوبي شرق حيفا في الطرف الجنوبي الجنوبي من سلسلة الجبال التي تنتهي بجبل الكرمل في الشمال. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، مصدر سابق، ص841.

(3) –بيت شان: اسم مدينة على بعد 5 أميال إلى الجهة الغربية من نهر الأردن. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص202–203.

(4) –فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص194.

(5) –غوستاف لوبون، المصدر السابق، ص34.

(6) فيليب حتي، المرجع السابق، ص195.

غير أن سيطرة الإسرائيليين لم تكن على كامل فلسطين، ورغم الحروب التي اشتعلت لمدد طويلة، لم يستطيعوا فيها طرد القبائل الساكنة بها، بحيث بقيت بعض القبائل بمناطقها دون أدنى حراك منها، فكان امتلاكا لرقعة ضيقة قصير العمر[1].

وهذا ما تذكره التوراة: [وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَهُوذَا، فَمَلَكَ الْجَبَلَ وَلَكِنْ لَمْ يَطْرُدْ سُكَّانَ الْوَادِي لأَنَّ لَهُمْ مَرْكَبَاتٍ مِنْ حَدِيدٍ] [2]. ويضيف غوستاف لوبون قائلا: «غير أن استقرار العبرانيين لفلسطين تم بالتدريج على ما نرى أن العبرانيون قضوا زمنا طويلا ليكون لهم سلطان ضئيل في فلسطين لا أن يكونوا سادتها»[3]. وهو ما تؤكده أيضا التوراة إحدى أهم المصادر الدينية اليهودية المعتمدة، لقد جاء في سفر يشوع ما نصه: [وَقَدْ بَقِيَتْ أَرْضٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا لِلاِمْتِلاَكِ. هَذِهِ هِيَ الأَرْضُ الْبَاقِيَةُ. كُلُّ دَائِرَةُ الْفِلِسْطِينِيِينَ وَكُلُّ الْجَشُورِيِينَ مِنَ الشِّيحَورِ الَّذِي هُوَ أَمَامَ مِصْرَ إِلَى تُخُومِ عَقْرُونَ شِمَالاً تُحْسَبُ لِلْكَنْعَانِيِينَ أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِينَ... وَأَرْضُ الْجِبْلِيِينَ وَكُلُّ لُبْنَانَ][4].

وعلى هذا الأساس، والذي تبين لنا من خلاله أن الدخول العبراني أرض فلسطين كان يمثل الشعب السامي الرابع بعد الأموريين والكنعانيين (الفينيقيين) والأراميين وفي هذا ما يدل دلالة واضحة أسبقية الجنس العربي في السكنى في أرض فلسطين قبل العبرانيين، وهذا ما يؤكده أدولف لودز Adolf Lods من أن العبرانيين عند دخولهم إلى أرض فلسطين وجدوا طبقات عدة من الشعوب المركبة وأن السكان القدماء الذين سكنوا فلسطين هم الكنعانيين والفرزيين[5].

كما جاء في أهم مصادرهم الدينية أيضا، ما يثبت ذلك، حيث أورد سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام عند دخوله أراضي كنعان وجد بها سكان، فنقرأ: [... لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَا، وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ] [6].

---

[1] –جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ص40.

[2] –سفر القضاة 1: 19.

[3] –غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص34.

[4] –سفر يشوع 13: 2-5.

[5] –Adolphe Lods, Israel, (Paris, édition Albine Michel, 1949), p63-64.

[6] –سفر التكوين 12: 5-6.

وفي هذا النص نفي صريح في الدعوة بالأحقية التاريخية لليهود بأرض فلسطين، وما يدعيه الإسرائيليون اليوم في القول بأن لهم الحق في العودة بهذه الأرض لأنها أرض الأجداد الأوائل. وهذا ما يؤكده الغربيون أنفسهم في دراساتهم من أن الأموريين هم الشعب الأقدم الذي سكن هذه البلاد.

وهذا ما أثبتته أغلب الدراسات التاريخية التي أجمعت على أن العبرانيين جاءوا أرض فلسطين بعد العرب، وهو ما يؤكده قول فريزر: «إن من رأي الفقهاء الأكفاء من أهل الخبرة والمعرفة أن فلاحي فلسطين الناطقين بالعربية أحلاف القبائل الوثنية التي كانت تعيش هناك قبل الغزو الإسرائيلي وظلت أقدامهم ثابتة بالتربة منذ ذلك التاريخ»[1]. وهذا ما يذهب إليه فرانتس شايدل في كتابه "إسرائيل أمة مفتعلة" من أن اليهود لم يكونو أبدا سكان فلسطين الأوائل والأصليين، لأن سكان فلسطين الأصليين هم الكنعانيون، والادعاء الصهيوني بأحقيتهم التاريخية في تأسيس دولة اليهود بأرض فلسطين لا يمكن تفسيره بادعاء حق تاريخي في هذه الأرض[2].

كما تنتفي أحقية اليهود التاريخية أيضا بما أثبتته الآثار والحفريات التي تؤكد أسبقية العرب في السكنى بأرض فلسطين من اليهود، فقد عثر على هياكل وبجانبها بعض الأسلحة البرونزية الدقيقة كرؤوس الرماح وفأس وسكين، وقد استدل بها علماء الآثار على أنها شاهد على أن هذا الدفن قد حدث قبل بني إسرائيل، أي أن أصحاب هذه الهياكل كانوا ينتمون إلى عنصر سبق ظهور العبريين في فلسطين، كما استدل العلماء بشكل عظام هذه الهياكل من خلال تجويف الجماجم والأنوف المقوسة وبعض الخصائص الأخرى من أن الذكور يشبهون عرب فلسطين اليوم[3].

---

(1) –نقلا عن: حفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ص36.

(2) –فرانتس شايدل، إسرائيل أمة مفتعلة، ترجمة: محمد حديد، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، د.ط، 1969)، ص170. انظر أيضا: يوسف أيوب حداد، هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ط1، 2004)، ج2، ص308.

(3) –جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم، ترجمة: نبيلة إبراهيم، مراجعة حسن ظاظا، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1972)، ص251.

وعليه، فالأحقية التاريخية هي للفلسطينيين الذين انتزع اليهود من أجدادهم قديما بلادهم، وللفلسطينيين حقوق وحجج تاريخية في فلسطين أكثر قدما بكثير وأمتن أساسا بمدى بعيد من اليهود الذين لا يستطيعون فوق ذلك أن يعتبروا أنفسهم أحفاد يهود التوراة[1].

ومنه، فادعاءات الصهاينة الذين دخلوا أرض فلسطين بحجة امتلاك أسلافهم لها لا أساس لها من الصحة. وهنا يتساءل المؤرخ البريطاني جفريز قائلا: «لماذا يكون للرابطة التاريخية الغابرة أن تسمح لأحد من اليهود أي حق في بلاد بعد زوال السلطة منها بثمانية عشر قرنا ونصف؟» ثم يضيف «وأما أن يكون امتلاك سريع الزوال مقطع الأوصال كامتلاك الإسرائيليين لبعض فلسطين ملزما لنا بأن نعطيهم حقا مشروعا في أن يزيحوا العرب من ديارهم بعد ثمانية عشر قرنا، فما ذاك إلا تصور مغرق في الوهم، ولا يمكن أن يحمل محمل الجد»[2].

وأخيرا نقول بأن الأحقية التاريخية التي يدعيها اليهود بأرض فلسطين، وأنها تعطيهم حق الرجوع إليها لا أساس لها من الصحة، معه ثبوت أسبقية السكن والاستقرار الحضاري للقبائل العربية، التي عرفت التواصل عكس الوجود العبراني الذي لم يعرف التواصل والاستمرار.

---

(1)- جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ص46.

(2)- المصدر نفسه، ص46.

المبحث الثالث: أهمية المنطقة كموقع ديني

لم تنفرد أرض فلسطين بأهميتها من الناحية الجغرافية فحسب، بل انفردت أيضا بأهميتها من الناحية الحضارية، ففيما تكمن أهمية أرض فلسطين الحضارية؟ أو بعبارة أخرى ما أهمية المنطقة كموقع ديني؟

المطلب الأول: أرض الديانات القديمة

تكمن أهمية أرض فلسطين الحضارية في كونها أرضا عرفت ديانات مختلفة، خاصة إذا علمنا أن فلسطين تصنف في عداد المناطق الهامة من حيث موقعها الجغرافي في الإقليم السوري الذي تمثل فلسطين الجزء الجنوبي منه، ولقد كان لهذا الموقع الذي تتوسط به العالم القديم بين القارات القديمة الثلاثة أوربا وإفريقيا وآسيا دوره في الأهمية التاريخية للمنطقة، فكانت بمثابة جسر لنقل التأثيرات الثقافية من المناطق المجاورة عن طريق التجارة، ولا أدل على ذلك أعمال الفينيقيين الذين كانوا من أوائل التجار بالمنطقة، فبسبب موقعها تعتبر ناقلة للحضارات في العصور القديمة[1]، وذلك لاعتبارين: الأول أن حضارة الرافدين تحدها من الشرق، وحضارة النيل تحدها من الجنوب، والاعتبار الثاني يتمثل في وجود عدد من التحركات البشرية السامية والهندية الأوربية على فترات مختلفة تاركة وراءها مخلفاتها الحضارية من ديانات وعادات وتقاليد مختلفة[2].

لقد عرفت أرض فلسطين الديانة الأمورية مع دخول الأموريين التي تعتمد على عبادة قوى الطبيعة كما هو الحال عند الساميين، فسادت عبادة الإله "أمور" وهو إله الحرب، كانت له شريكة تسمى "عاشرة"، وتتصف بحب المصرات والنشاط، وهي تشبه في ذلك نموذج عشتار المعروف[3].

كما يوجد إلى جانب الإله "أمور" عدد من الآلهة الأخرى التي تجهل صفاتها ويظهر كثير منها فيما بعد في عداد الآلهة الكنعانية، وقد كان أهم هذه الآلهة "حدد"، وقد ذكر هذا الاسم في رسائل تل العمارنة من الملك "قطنة"، يطلب المساعدة من أمنحو تب الثالث (يا إلهي آدو)، وعرف

---

(1) –فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص5.

(2) –محمد سلامة النحال، فلسطين أرض وتاريخ، ص29.

(3) –فيليب حتي، المرجع السابق، ص83-84.

أيضا باسم "رمّانو" (إله الصواعق)، وهو إله المطر والعواصف، كما عرفوا أيضا عبادة الأفعى التي سبقت قدوم الإسرائيليين، وقد وجدت هذه الآلهة مع آلهة جنوبي العرب متصلة بإله القمر، وهذا الاسم يقابله في العبرية (Ashérah)، وتعني العمود المقدس أو جذع الشجرة، وتستعمل في الطقوس الدينية التي أدخلوها إلى أرض فلسطين، وعادة ما كانوا يقومون به في مكان مطهر أو بمغارة إلى جانبها مذبح، حيث يقومون بتضحية أول مولود عند بناء أماكن العبادة، وقد اتبع الكنعانيون الأموريين هذه النظم والعادات الدينية[1].

كما عرفت أرض فلسطين أيضا ديانة الفينيقيين التي لم تتضح معالمها إلا مع حفريات (أوغاريت) في رأس الشمر بالقرب من اللاذقية بسوريا، حيث أزاحت عنها هذا الغموض، وقد اختلفت ديانتهم عن البابليين والتي اتصلت بالسماء، حيث برعوا في الفلك والتنجيم والسحر، بينما نجد الفينيقيين اتجهوا بديانتهم نحو الأرض التي ارتبط بها معاشهم[2] بالزراعة وتربية الماشية، وهو حال الشعوب السامية القديمة، فاتجهت عبادتهم إلى قوى النمو والتوالد، خاصة وأن منطقتهم عرف عنها أنها قليلة الأمطار[3]، فالفينيقيون قد مارسوا في جوهر معتقداتهم ديانة اتسمت بطابع زراعي صبغت آلهتها وطقوسها، فكان معبودهم الرئيسي "إيل" الذي رأوا فيه خالق كل شيء وسيد الآلهة[4].

كما كان الإله "إيل" يشرف على مجاري الأنهار وكذا التنبؤ بسقوط الأمطار، وكان لهذا الرب زوجة "إيلات"، وقد عرفت أيضا باسم "عشيرات البحر"[5]، وهي الآلهة الأم لكل الآلهة الكنعانية من "إيل"، وقد عرفت أيضا بأسماء كثيرة منها "خالقة الآلهة" و"الأم" و"إيلة" و"إيلاتو" و"إيلات" و"ربة اليم"، وغيرها من الأسماء الأخرى[6].

---

(1) –فيليب حتي، مرجع سابق، ص84.

(2) –عبد الغفور عطار، الديانات في العقائد في مختلف العصور، (مكة المكرمة: د.ر، ط1، 1401هـ–1981م)، ص231.

(3) –فيليب حتي، المرجع السابق، ص125.

(4) –و ل ديورنت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (القاهرة: مكتبة لجنة التأليف والترجمة، دط، دت)، ج1 2، ص260.

(5) –نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ص63–64.

(6) –حرعن الماحدي، المعتقدات الكنعانية (الأردن: دار الشروق، ط1، 2001م)، ص100.

ويأتي بعد هاتين الآلهتين إله العاصفة والرعد والبرق والمطر المعروف باسم "آدد"، أو "بعل" أو "السيد"، أو "آدون"، وهو إله الخصب، يعرف في فلسطين باسم "بعل سافون"، وله ابن هو "عليان بعل" من زوجة عشيرة وابنه هو المشرف على مياه الأرض والبحر وهو منبت الحب، كما أنه إله الفيضان[1].

ومن الآلهة الكنعانية أيضا "عنات" (سيدة السماء)، وهي تقع شمالي الخليل، حيث تظهر في لوح أوغاريت كشقيقة عليان بعل، وتعطى لقب العذراء التي تهب الحياة وتبيدها. وعلى اعتبار أن عبادة مظاهر الطبيعة أساس الديانة الكنعانية والساميين في مجملهم، وهي تضم في مجموعها آلهتين رئيسيتين، وإن كانت لها أسماء مختلفة، غير أنهما في جوهرهما هما "الجو" الأب و"الأرض" الأم[2]. و"عليان بعل" الابن وأخوه "موت" هو رب الحصاد، ولا يعيش مع عليان بعل، فوجود الواحد منهما ينفي وجود الآخر، وهما بذلك يشكلان تعاقب الفصول الذي تمثله أسطورة الفصول الأربعة.

وعلى هذا، فالديانة الكنعانية تقوم في أساسها على مظاهر الخصب والإخصاب المتعلقة بمظاهر الطبيعة[3].

كما عرفت أيضا أرض فلسطين الديانة الآرامية نسبة لهجرة موجة الآراميين التي عرفتها المنطقة، والديانة الآرامية لا تختلف عن سابقاتها من الديانات، فهي مزيج ذو جوهر كنعاني، هذا التأثير الذي اتضحت معالمه في العبادات التي تنحدر من العبادات الكنعانية[4].

وكذا، فقد كان "حدد" الذي عرفه الأموريون من قبلهم إحدى أهم معبوداتهم، وهو يمثل إله الزوابع والرعد، حيث يفرح به المزارعون كثيرا، ويخصونه بالحب لأن بمجيئهم يجيء المطر معه الذي يخصب الأرض، ويكون مضرا حين يرسل السيول، وقد امتزجت عبادته بعد ذلك بعبادة الشمس، كما عبد الأراميون أيضا رفيقه "حداد"، أو زوجته وهي آلهة التوالد في هيرابولس، وفي مراكز سامية أخرى باسم "أتارغاتس"[5]، وتعد الآلهة الأم، وكان يرمز لها بالهلال وقرص الشمس.

---

(1) –نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ص64.

(2) –فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص128-129.

(3) –نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص64.

(4) –ويل ديورنت، قصة الحضارة، ج1-2، ص264.

(5) –فيليب حتي، المرجع السابق، ص186-187.

وقد انتشرت عبادتها في فلسطين، ثم انتقلت إلى الرومان فيما بعد إلى جانب عدد من الآلهة الأخرى أقل مرتبة، وبعضها محلي وبعضها الآخر خارجي، دخل إليها من المناطق المجاورة كإله "الشمس" ذي الأصل الآشوري، والإله "رشف" أي اللهيب ذي الأصل الفينيقي[1].

ولقد كان لهذه الديانات آثارها البارزة في العبرانيين، خاصة وأن وصولهم إلى أرض فلسطين كان تقريبا متزامنا مع أصول الأراميين، وقد اتضح هذا التأثر في الطقوس والمراسيم القديمة التي تضم الأعمدة الخشبية والأماكن المرتفعة، وعبادة الحية والعجل الذهبي، كما أنهم مارسوا طقوس الأضاحي على الطريقة السورية والبابلية التي تقدم فيها الأضحية بقربان يمثل حيوان إلى الهيكل، ولقد كان رقص داود أمام تابوت العهد من مظاهر الطقوس الكنعانية التي تتصل بالخصب[2].

وتأثر العبرانيون بالكنعانيين لم يقتصر على المظاهر الدينية فحسب، بل تجاوزها إلى المظاهر الحضارية الأخرى كفن العمارة المتمثل في بناء الهياكل وغيرها[3].

وأخيرا نقول أن أرض فلسطين وبسبب موقعها الجغرافي كانت بمثابة محطة يتوقف عندها كل من يجتاز أراضيها، أو مستقرا بها لفترة من الزمن مخلفا وراءه رصيدا حضاريا شكل مزيجا متنوعا على أرضها من ثقافات وأديان الشعوب القديمة، فيتأثر اللاحق بالسابق، وتفاعلت الحضارات بعضها ببعض، فكونت تنوعا حضاريا لا مثيل له، مما أعطى المنطقة أهمية حضارية انفردت بها عن سائر مناطق العالم القديم، ومما زاد المنطقة تميزا اتصال الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام بأراضيها، فكانت بذلك مركز إشعاع روحي لهذه الأديان.

---

(1) –محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، (بيروت: دار النهضة العربية، دط، (1408هـ-1987م))، ص168.

(2) –فيليب حتي، تاريخ سورية وبنان وفلسطين، ص221-222.

(3) –المرجع نفسه، ص222.

المطلب الثاني: مهد الأديان السماوية

تحتل منطقة فلسطين مكانة هامة في تاريخ العالم القديم لما قدمته في الرقي الفكري والروحي، وذلك لارتباط أرضها بكبرى الديانات السماوية الثلاث، فكانت على صلة وثيقة بهـــا وبنشـــأتها. فأتباع هذه الديانات مسلمين أم مسيحيين أم يهود، وحيثما وجدوا قلوبهم وأرواحهم متعلقة بهـــذه الأرض للبقاء المقدسة المتواجدة بها، والتي تعطيها منزلة القداســـة فتســـموا مكانتـــها الروحيـــة في الوجدان[1].

إن أرض فلسطين لم تختص بجود الأديان السماوية الثلاث فحسب، بل اختارها الله تعالى في الأزمنة القديمة لتكون أصلح مكان تنطلق منه دعوة التوحيد في العالم الوثني المحيط، فخصها بأصحاب البركة من الرسل عليهم السلام من نسل إبراهيم سواء من إسماعيل أو من إسحاق عليهم السلام[2].

فكانت أولى الرسالات التي جاب بها الرسل أرض فلسطين دعوة إبراهيم عليه السلام، وذلك بعد أن لاقى الجحود والنكران من قومه بأور كلدان[3]، والكلدانيون لما أحسوا بأن إبراهيم عليه السلام بدعوته تشكل خطرا عليهم وعلى أسلوب حياتهم خاصة بعد أن ابتدأت جموع كثيرة من الشعب تتحمـــس لهذه الدعوة، تصدى له الكهنة وسادة القوم ودخلوا معه في معركة تحديـــات أوشـــكت في بعـــض مراحلها أن تقضي على حياته، لو لا مشيئة الله وحكمته في إكمال دعوة إبراهيم عليه السلام[4].

وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الموقف بقوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[5]. فخرج عليه السلام من أور كلدان راحلا إلى فلسطين ليواصل بها نشر دعوته التي تقوم على أساس الوحدانية ونفي الشرك، خاصة وأن المنطقة قد عرفت الديانات الوثنية منذ قديم الزمـــان.

---

(1) –فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص3.

(2) –حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، 1985)، ص105.

(3) –عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء والرسل، (دم: دار الفكر العربي، دط، دت)، ص110.

(4) –محمد عزت الطهطاوي، النصرانية في الميزان، (دمشق: دار القلم، بيروت، الدار الشامية، جـــدة، دار النشـــر، ط1، 1416هـ-1995م)، ص6.

(5) –سورة الأنبياء: 68.

وقد مات عليه السلام بهذه الأرض، ودفن بها، حيث لا يزال قبره شاهدا عليه بمغارة المكفيلة وهو الموضع الذي عليه مقام الخليل في حبرون ، وتسمى مدينة الخليل[1].

الديانة اليهودية:

لقد كانت الديانة اليهودية أولى الأديان السماوية الثلاث اتصالا بأرض فلسطين، حيث خرج موسى عليه السلام بقومه ودينه الجديد مما كان يعتقده المصريون لطبع اليهود في سهولة التأثر بالغير[2]، فموسى عليه السلام حين أرسله الله تعالى لتخليص بني إسرائيل من ذل العبودية جاءه الوحي أول ما أتاه قرر الوحدانية وعبادة الله وحده دون غيره، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[3].

فالعقيدة الأساسية التي تبلورت خلال عصر موسى عليه السلام هي عقيدة التوحيد، فقد وضعت طبيعة خاصة للألوهية، حيث أنه لا يمكن تصوير الخلاف وتجسيده في صور أو أشكال كما فعل الوثنيون، فقد نصت الوصية الثانية من الوصايا العشر: «لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض».

كما جاء أيضا في سفر التكوين ما يؤكد صفة التوحيد: [لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي][4] [5].

---

[1] –عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء والرسل، ص110.

[2] –مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في العالم القديم، ص65.

[3] –سورة طه: 9-14.

[4] –سفر الخروج 26: 3.

[5] –محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، (الكويت: مكتبة الفلاح، ط1، 1400هـ-1980م)، ص124.

غير أن بني إسرائيل رغم الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، وما يدل على صدق رسالته والتي تمثلت في معجزاته مع قوم فرعون ونجاتهم من عدوهم وإغراقه، إلا أن الوثنية بقيت راسخة في قلوبهم، حيث طلبوا منه أن يتخذ له أصناما يعبدونها، كما عبدوا العجل عندما ذهب لمناجاة ربه[1]. وعبادة العجل الذهبي، كانت معبودا مصريا، وذلك حينما دخلوا منطقة جنوب سيناء في طريقهم إلى أرض كنعان، وارتدوا على الوحدانية إلى العقائد الوثنية التي اكتسبوها بأرض مصر[2]، الأمر الذي أدى بموسى أن يتوجه بهم إلى أرض كنعان حفاظا على عقيدتهم من المصريين، غير أنه عليه السلام لم يتمكن من الدخول إلى الأرض المقدسة بسبب ضعف بني إسرائيل الذي غرسته فيهم حياة العبودية والذل والهوان، فجبنوا عن الامتثال لأوامر ربهم في الدخول إلى أرض فلسطين، فعاقبهم الله تعالى بالتيه في الصحراء أربعين سنة حتى انقرض ذلك الجيل الذي عاش على الذل وجاء من بعدهم جيل أكثر قوة وصلابة، دخلوا مع يوشع ابن نون أرض فلسطين المقدسة[3]، وبدخول بني إسرائيل أرض فلسطين، دخلت معهم ديانتهم، فكانت بذلك الديانة التوحيدية الأولى في كبرى الديانات السماوية الثلاث تدخل أرض فلسطين، وقد خلف موسى عليه السلام يوشع ابن نون في مواصلة دعوته، كما هي دعوة الرسل جميعا دعوة إلى عبادة الله وحده.

غير أن طبع بني إسرائيل في سهولة التأثر بعقائد الأقوام التي يتزلون عندها، قد غلبت عليهم فما لبثوا أن دخلوا أرض كنعان حتى أخذوا الكثير من العادات والعبادات الدينية الكنعانية، وأصبح كما ذكر فيليب حتي أصبحوا ورثة لمظاهر الحضارة الكنعانية، فاقتبسوا مجموعة من الطقوس والمراسيم القديمة كعبادة الحية مثلا، ورقصة داود أمام تابوت العبد، وهي مظهر من مظاهر رقصة كنعانية تتصل بالخصب[4].

---

(1) –محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن، ص124.

(2) –محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، ص425.

(3) – محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، (الجزائر: دار الهدى، دط، دت)، ص174-175. انظر أيضا: ابن جرير الطبري، قصص الأنبياء، تحقيق: جمال بدران (مصر: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1414هـ-1994م)، ص316-317.

(4) –فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص191، 221.

والحديث عن تأثر بنو إسرائيل بالديانة الكنعانية أمر يطول شرحه، خاصة وأن تاريخهم الطويل فيه كثير من التأثيرات التي انحرفوا بها عن الدين الصحيح، القائم على التوحيد، وهذا ما يفسره كثرة إرسال الأنبياء إلى بني إسرائيل[1].

الديانة المسيحية:

جاءت دعوة سيدنا عيسى عليه السلام في وقت بلغ فيه بنوا إسرائيل ذروة الضلال والفساد، فنبذوا كل ما جاء به أنبياؤهم، وانحرفوا عن الدين الصحيح، فكان أمر الله تعالى أن يرسل إليهم نبيا آخر يردهم إلى العبادة الصحيحة، عبادة الله وحده[2].

وقد كانت أرض فلسطين بذلك الأرض التي نشأت فيها المسيحية وبدأت في الانتشار منها إلى جميع أنحاء العالم[3]، حيث بدأ المسيح عيسى عليه السلام دعوته منها وجاب بها أرض فلسطين من الناصرة إلى الجليل إلى القدس، وغيرها من الأماكن مبشرا بدعوته الجديدة التي جاءت مكملة لدعوات أنبياء بني إسرائيل السابقين، ففي إنجيل متى نقرأ: [لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُنَقِّذَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لأُنَقِّذَ بَلْ لأُكَمِّلَ] [4]. ذلك لأن دين الله الواحد مبني على الإخلاص في عبادته وحده عقيدة الأنبياء أجمعين، كانت بذلك عقيدة المسيح عيسى عليه السلام التي جاء بها هي التوحيد الكامل، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[5].

---

[1] –للتفصيل انظر: ول ديورنت، قصة الحضارة، ج1، ص338 وما بعدها.

[2] –محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص246.

[3] –رفيق النتشة، القدس في المسيحية والإسلام، (دم: در، ط1، 1992)، ص5.

[4] –إنجيل متى 5: 17.

[5] –سورة المائدة: 115-117.

كما جاءت دعوته عليه السلام مناوئة للشرك الذي بلغ مداه مع وساطة الأحبار والرهبان بين العابد والمعبود، الأمر الذي نفته دعوته، ودعا عليه السلام إلى أن الاتصال في العبادة بالله تكون مباشرة من غير وساطة، ودعوة المسيح عيسى عليه السلام كانت تقوم على الزهد في الدنيا نظرا لما كان يغلب على بني إسرائيل من النزعات المادية التي سيطرت على نفوسهم، حتى أن توراتهم خلت من الحديث عن اليوم الآخر[1].

كل هذا أثار غضب اليهود وأحبارهم عليه، وخافوا من أن يفسد عليهم مكانتهم الدينية في المجتمع، فأجمعوا على قتله وسعوا به إلى الحاكم الروماني (بيلاطس) الذي حكم عليه بالإعدام صلبا، غير أن الصلب لم يقع عليه، بل على يهودا الأسخريوطي، كما تذكر الروايات، على أن القرآن الكريم يؤكد نفي وقوع الصلب عليه لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[2].

وعلى ذلك تكون الديانة المسيحية الديانة الثانية بعد اليهودية في الاتصال بأرض فلسطين التي كانت مهدا لها منذ عهدها الأول، ومنها انتشرت إلى العالم، غير أن المسيحية الأولى القائمة على التوحيد لم تلبث بعد المسيح عيسى عليه السلام أن انحرفت عن الأصل الذي جاء به عيسى عليه السلام داعية إليه، فاختلفوا من بعده بشأنه في كونه رسولا أم إله، الأمر الذي استقروا عليه بتأليهه واستقرت عقيدة المسيحيين على التثليث الذي أقره مجمع نيقية، فتحولت بذلك المسيحية من التوحيد إلى التعدد، فكان الانحراف مرة أخرى عن الدين الصحيح الذي بعث به الله رسله إلى الناس.

الإسلام:

ثالث الأديان السماوية بعد اليهودية والمسيحية، وهو خاتمهم، والإسلام في أساسه يقوم على التوحيد، فمحمد ﷺ كمن سبقه من الأنبياء والرسل، بعثه الله تعالى بالتوحيد للناس كافة.

---

[1] –محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، (الجزائر: شركة الشهاب، دط، 1989)، ص85.

[2] –سورة النساء: 157.

فإذا كانت رسالة المسيحية أول دين أقام العبادة على أساس الضمير الإنساني، وبشرت الإنسانية بالرحمة الإلهية، فرسالة الإسلام كانت أول دين أكمل الفكرة الإلهية وصححها، مما أصابها من تحريفات تعرضت لها في أطوار الديانات السابقة[1].

وقد ارتبطت أرض فلسطين بالإسلام منذ الفتح الإسلامي الذي كان على عهد عمر بن الخطاب بقيادة عمرو بن العاص الذي واصل تقدمه في أرض فلسطين حتى استطاع محاصرة مدينة القدس بعدها تولى قيادة معركة فتح المدينة أبو عبيدة الجراح، وبعد حصار طويل من قبل المسلمين طلب أهلها منه الأمان والصلح كما فعلوا مع أهل الشام، ويؤدوا ما عليهم من آداء الجزية والخراج على أن يكون تسليم المدينة المقدسة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

ولقد كانت عملية فتح المسلمين لأرض فلسطين تثبيتا للفتح الروحي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ يوم فتحها ليلة الإسراء والمعراج، فوصل بذلك دين الإسلام لأرض فلسطين أرض الأنبياء، وكان الرسول الكريم خاتمهم، ومنذ ذلك الحين دخلت أرض بيت المقدس حظيرة الإسلام. وأصبحت أرضا إسلامية عمل المسلمون على تثبيت صلتها بالإسلام بعملية الفتح التي جاءت لما تحمله نفوس المسلمين من تقديس لها[3].

وقد أعطى الخليفة عمر بن الخطاب بعد تسلمه المدينة الروم وثيقة الأمان التي عرفت بالعهدة العمرية، وقد كانت مثالا لتسامح المسلمين وتجربة عملية لتطبيق مبادئ الإسلام القائمة على العدل والتسامح وحرية الاعتقاد الذي تقرر في أنه "لا إكراه في الدين"، ومنذ ذلك الحين ظلت فلسطين أرضا عربية إسلامية باستثناء فترة الحروب الصليبية التي كان الحكم فيها للمسيحيين[4].

---

(1) -عباس محمود العقاد، موسوعة عباس محمود العقاد، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1970)، مج1، ص176.

(2) -هاشم يحي الملاح، الأسس العقائدية الإسلامية للقدس، مقال من كتاب القدس في الخطاب الإسلامي المعاصر -بحوث لمؤتمر كلية الآداب بجامعة الزرقاء الأهلية-، (المملكة الأردنية الهاشمية: جامعة الزرقاء، ط1، 1419هـ-1999م، ط2 1422هـ-2001م)، ص21.

(3) -عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط 1989)، ص131-132.

(4) -المرجع نفسه، ص132.

وبذلك تكون أرض فلسطين أرض أديان سماوية عرفت أرضها دعوات الرسل الكرام، ممـــا أعطى المنطقة أهمية دينية مميزة عن سائر المناطق الأخرى في العالم.

وأخيرا نقول بأن أرض فلسطين تكمن أهميتها من الجانب الحضاري والديني بكون أراضيـها مركزا لمختلف الأديان القديمة باعتبار موقع المنطقة التي تتوسط به العالم، وما زاد من أهميتها في وقتنـا الحاضر ارتباط كبرى الديانات السماوية الثلاث بها، هذا الارتباط الذي أسس لأرض فلسطين قدسية خاصة عند أتباع هذه الديانات، فما هي أسس هذه القداسة عند أتباع هذه الديانـــات؟ هـــذا مـــا سنحاول الإجابة عنه في الفصل الثاني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

قدسية أرض فلسطين في الأديان السماوية الثلاث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لم يقتصر ثبوت قداسة أرض فلسطين عند أتباع الأديان السماوية الثلاث فحسب، بل امتدت قداستها إلى أبعد من ذلك لتضرب بجذورها الدينية إلى زمن التاريخ القديم إلى عهد الجماعات الكنعانية، فقد عرفت المنطقة أهمية دينية خاصة عند الكنعانيين، حيث ارتبطت بها عقيدتهم في "الإله سالم" الذي شيدت مدينة أور سالم على اسمه، مما أعطى المنطقة أهمية حضارية متميزة[1].

كما عرفت أرض فلسطين قداسة خاصة عند أتباع الديانات السماوية الثلاثة، فما هي أسس هذه القداسة التي انبنت عليها في كل من اليهودية والمسيحية والإسلام؟

المبحث الأول: قدسية أرض فلسطين في اليهودية

شغلت قداسة[2] أرض فلسطين حيزا كبيرا في الفكر الديني اليهودي الوثيق بالكتب الدينية اليهودية والتي على أساسها انبنت قداسة الأرض، فهذه الأخيرة تشكل عنصرا جوهريا في العقيدة اليهودية لارتباطها بالإله "يهوه" الذي يحل في الأرض مما يضفي عليها القداسة المنبثقة من هذا الحلول، فتصبح بذلك مكونة للركن الثالث في الثالوث الحلولي المقدس (الإله والشعب والأرض)، فعلاقة الشعب اليهودي بالإله والأرض علاقة وطيدة، تمثلت في الجمع بينهم في هذا الثالوث المقدس، فالشعب يرتبط بالإله عن طريق العبادات وإقامة الشعائر والطقوس التي ترتبط هي بدورها بالأرض، فالكل يشكل وحدة مقدسة لا ينفصل أحدهما عن الآخر في العقيدة اليهودية[3]، كما أضفى الفكر الديني اليهودي طابع القداسة على أرض فلسطين، فوصفها بالأرض الموعودة، وبأرض الميعاد في، وبأرض المقدسات، وهو ما سنتناوله في هذا المبحث.

---

[1] –عبد الفتاح حسن أبو علية، القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، (الرياض: دار المريخ، دط، (1421هـ–2000م))، ص17. وانظر: عبد الرحمن أبو عرفة، القدس تشكيل جديد للمدينة، (الأردن: منشورات دار الكرمل، صامد، ط1، 1986)، ص15. عبد الحليم عويس، عبد الفتاح أبو علية، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، (الرياض: دار المريخ، دط، (1401هـ–1981م))، ص7.

[2] –قدّس يقدّس تقديسا، جعله قديسا بتغيير القلب وبالتقديس تتطهر النفس من دنس الخطيئة ومن سلطتها وتتزين بالنعم الروحية التي تعدها للأفراح السماوية، ومنه مقدس، التي تأتي بمعنى القدس؛ أي موضع مذبح البخور، وكل الخيمة والهيكل. كما أطلقت أيضا على أرض يهودا بجملتها. انظر: جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، مصدر سابق، ص717–719.

[3] –المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص2373.

المطلب الأول: الأرض الموعودة

سميت بالأرض الموعودة لأن الأرض وعد بها إبراهيم عليه السلام ونسله من بعده، وعليه كانت الوعود الإلهية الأربعة لكل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى عليهم السلام هي الأسس التوراتية التي يعتمدها اليهود للأرض الموعودة التي وعدهم الرب بها.

وعد الرب لإبراهيم عليه السلام

تمثل وعود الرب لإبراهيم عليه السلام أولى الوعود التي يعتمدها اليهود في القول بالأحقية الدينية في العودة لأرض فلسطين، وقد تمثلت هذه النصوص في أولا ما ورد في سفر التكوين وهو أول نص يسجل مو د فكرة "الأرض الموعودة": [وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ فَأَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً] [1].

رضوخا لهذا الصوت الخفي يترك إبراهيم عليه السلام أرضه وعشيرته قاصدا الأرض الموعودة من الله "أرض كنعان"[2].

ثانيا ما جاء أيضا من السفر نفسه: [وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ بْنَ أَخِيهِ وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنَهُ فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ] [3].

ثالثا، ما ورد أيضا من السفر نفسه: [فِي ذَلِكَ اليَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الكَبِيرِ نَهْرِ الفُرَاتِ] [4].

---

[1] –سفر التكوين 12: 1-2.

[2] –دوريس بن سيمون، إجلال إبريرا، إسرائيل وشعوبها، ترجمة: نعيمة شومان، (دم: مؤسسة الرسالة، ط1. 1423هـ-2002م)، ص27.

[3] –سفر التكوين 11: 31 .

[4] – سفر التكوين 15: 18

فصيغة هذا التعيين المفتوح والذي حدد الله به ملكية هذه الأرض لنسل إبراهيم عليه السلام قد غرست في هذا العرق نزعة التملك لأجيال وتوارثتها عبر الزمن من جيل لآخر[1].

هذه الملكية التي حصر اليهود إرثها في نسل إسحاق عليه السلام لإبعاد إسماعيل عليه السلام من هذا الحق، حتى تكون ملكية هذه الأرض لليهود وحدهم، غير أن العبارة الواردة في الإصحاح الخامس عشر [لنسلك أعطي هذه الأرض] تؤكد غير ذلك[2].

فكلمة "نسل" في هذه العبارة تفيد الجمع والشمول لا التحديد والاختصاص، وولادة إسحاق عليه السلام لا تنفي حق إسماعيل حتى وإن هاجر عن أرض كنعان في الأرض أو الوعد أو نسخ عهد الختان الذي كان شرط حفظه من شروط حفظ الوعد[3]. فقد جاء في سفر التكوين: [فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامُ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمُ لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ الأُمَمِ وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا. وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا وَمُلُوكًا مِنْكَ يَخْرُجُونَ وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا، وَأَكُونَ إِلهَهُمْ] [4].

غير أن إبراهيم عليه السلام لم يتحقق له من هذه الوعود شيء، فلم يمتلك أي قطعة من الأرض التي وعده الله بها، وهذا ما تؤكده التوراة عند شرائه قطعة الأرض لدفن زوجته سارة[5].

جاء في سفر التكوين: [وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَمَامِ مَيِّتِهِ وَكَلَّمَ بَنِي حِثٍّ قَائِلاً أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ مَعَكُمْ لأَدْفِنَ مَيِّتِي مِنْ أَمَامِي... فَوَجَبَ حَقْلُ عَفْرُونَ الَّذِي فِي الْمَكْفِيلَةِ الَّتِي أَمَامَ ممرا الْحَقْلِ وَالْمَغَارَةِ الَّتِي فِيهِ وَجَمِيعُ الشَّجَرِ الَّذِي فِي الْحَقْلِ الَّذِي فِي جَمِيعِ حُدُودِهِ حَوَالَيْهِ

---

(1) –عشراتي سليمان، الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية، (دم: در، دط، دت)، ص47.

(2) –عابد توفيق الهاشمي، فلسطين في الميزان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، (1420هـ–2000م))، ص183.

(3) –حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، (القاهرة: دار المعارف، دط، 1985م)، ص64.

(4) –سفر التكوين 17: 5-8 .

(5) –إكرام لمعي، الاحتراق الصهيوني للمسيحية، (القاهرة: دار الشروق، ط2، (1413هـ–1993م))، ص61. انظر أيضا: عابد توفيق الهاشمي، فلسطين في الميزان، ص183.

لِإِبْرَاهِيمَ مُلْكًا لَدَى عُيُونِ بَنِي حِثَّ بَيْنَ جَمِيعِ الدَّاخِلِينَ بَابَ مَدِينَتِهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَأَتَهُ...][1].

وعليه فوعد الرب لإبراهيم بالأرض لم يفهمه على أساس أن يأخذ الأرض من مالكها واعتبارها ملكا له بموجب تصريح الوعد، بل إنه رفض أن يأخذ المغارة لدفن زوجته سارة كهدية وأصرّ على شرائها[2].

العهد والختان:

لقد كان الختان أحد شروط حفظ الوعد في إقامة العهد بين إبراهيم عليه السلام وربه، وهذا ما يورده سفر التكوين: [هَذَا هُوَ عَهْدِي الذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ، يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ][3].

وما يؤكد أن عهد الختان لم يكن لإسحاق، بل كان لإسماعيل عليهما السلام، وأن إسحاق لم يكن قد ولد بعد، والبشرى به قد جاءت في هذا العهد[4]، [وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايُ بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ، وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا][5].

فسياق الوعود بالأرض وارتباطها بعهد الختان الذي كان لإسماعيل وحده، إذ لم يكن هنالك عهد جديد لإسحاق، وإذا كان الختان يشمل ذرية إبراهيم عليه السلام جميعا، فالوعد إذن لنسله كله من إسماعيل وإسحاق -عليهما السلام-[6].

---

(1) -سفر التكوين 23: 3-4، 17-19.

(2) -إكرام لمعي الاختراق الصهيوني للمسيحية، ص161.

(3) -سفر التكوين 17: 10.

(4) -حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، ص62-63.

(5) -سفر التكوين، 17: 15-16.

(6) -حسين فوزي النجار، المرجع السابق، ص63-64.

وعد الرب لإسحاق:

بعد أن تحددت ملكية الأرض الموعودة لإبراهيم ونسله من بعده على ما جاء في نص الوعد من سفر التكوين، ولما كان عهد الختان شرطا من شروط الوعد، فقد بقي بذلك يجمع الوعد المقدس بالأرض الموعودة. غير أن الإسرائيليين من أبناء إسحاق ادعوا بعد ذلك بأن ذرية إبراهيم تنحصر فيهم وحدهم، مع أن الختان الذي عقد عليه العهد كان ختان إسماعيل[1].

وهذا ما جعل تحويل الوعد من طرف كاتب السفر لهذه الأرض الموعودة وفق ما يطابق المآرب، فيربط الوعد مرة أخرى بإسحاق ليحصر الوعد بذلك في ذرية إسحاق دون غيره من ذرية إسماعيل، ليستأثروا بملكية الأرض وحدهم[2]، جاء في سفر التكوين: [...وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ كَثِيرًا جِدًّا، اثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً، وَلَكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ] [3].

مما ورد أيضا بشأن وعد الرب لإسحاق ما جاء من السفر نفسه: [وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ تَغَرَّبْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ، فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلاَدِ، وَأُفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ] [4].

غير أنه في التوراة، بل وفي السفر نفسه ما يثبت حق إسماعيل في إرث أبيه، فقد جاء في سفر التكوين: [وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَةَ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يُمَازِحُ فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا لأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ، فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ لاَ يَقْبُحْ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ لأَنَّهُ

---

[1] –حسين فوزي النجار، مرجع سابق، ص64-65.

[2] –أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، 1997)، ص85.

[3] –سفر التكوين 17: 19-21.

[4] –سفر التكوين 26: 2-3.

بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ وَابْنُ الْجَارِيَةِ سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً، لِأَنَّهُ مِنْ نَسْلِكَ] [1].

فكلا الغلامين إسماعيل وإسحاق لهما حق الانتساب إلى أبيهما، كما أنه سيكون بهما نسل ينسب إلى أبيهما إبراهيم عليه السلام، فقد كان لإسماعيل أمة العرب، وكان من إسحاق نسل هم بنو إسرائيل، كما أن هذا النص ليس فيه ما يدل على الأرض الموعودة التي وعد بها الرب إبراهيم عليه السلام [2].

ومنه أيضا ما ورد في سفر التثنية من أن الشريعة تحفظ حق البكر في إرث أبيه [إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ فَوَلَدَتَا لَهُ بَنِينَ الْمَحْبُوبَةُ وَالْمَكْرُوهَةُ فَإِنْ كَانَ الْبِكْرُ مِنَ الْمَكْرُوهَةِ فَيَوْمَ يُقَسِّمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لَهُ لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرِ، بَلْ يَعْرِفُ ابْنَ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ لَهُ حَقُّ الْبُكُورِيَّةِ] [3].

غير أن الوعود عندهم تتحول كما يقول بذلك العقاد حسب مصالحهم السياسية، فبعد أن حولوا الوعد لإسحاق، وذلك لإخراج ذرية إسماعيل، وحولوه مرة أخرى إلى يعقوب ليحصروه في سلالة إسرائيل حتى يمكنهم بعد ذلك تحويله إلى ذرية داود عليه السلام إعادة مملكة داود أو المملكة اليهودية إلى الوجود، وهكذا نجد أن الوعود تتحول حسب مصالح دولتهم ولا شأن للعقيدة بالوعود الدينية التي دلت نصوصها على اشتمال الوعد لجميع سلالة إبراهيم [4].

وعد الرب ليعقوب عليه السلام

من النصوص الدالة على وعد الرب ليعقوب عليه السلام ما ورد في سفر التكوين [أَنَا الرَّبُّ إِلَهُ أَبِيكَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ] [5].

---

[1] –سفر التكوين 21: 9-13.

[2] –حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، ص64.

[3] –سفر التثنية 21: 15-17.

[4] –عباس محمود العقاد، موسوعة عباس محمود العقاد، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1978)، ج14، ص87. انظر أيضا: أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص93.

[5] –سفر التكوين 28: 13.

وما ورد أيضا في السفر نفسه [وَقَالَ لَهُ اللهُ أَنَا اللهُ القَدِيرُ أَثْمِرْ وَأَكْثِرْ أُمَّةً وَجَمَاعَةً أُمَمٌ تَكُونُ مِنْكَ وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ الأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ] [1].

ووفقا لهذه النصوص يصبح الوعد بالأرض ملكا ليعقوب عليه السلام، ولكن السؤال المطروح كيف انتقل الوعد من إسحاق ليعقوب وهو لديه عيسو الابن الأكبر ويمنح الوعد للابن الأصغر يعقوب عليه السلام ؟

في هذا يحدثنا سفر التكوين عن الحيل التي استخدمها يعقوب ليخدع أخاه عيسو ليسلبه بركة أبيه وحقه في الإرث، خاصة وأنه ووفقا للنظام الشائع فقد كان الإرث من حق الابن الأكبر. فعمد يعقوب إلى سلب أخيه حقه في الإرث مستغلا بداية أمر جوع أخيه ثم الخديعة التي تمت بإيحاء من أمه رفقة[2]، وهو ما ورد مفصلا في سفر التكوين الإصحاح السادس والعشرون، ولا يتسع المجال لذكره.

غير أن ما فعله يعقوب كما تصرح التوراة بذلك لم يفعل إلا ما فعل أبوه إسحاق من قبله. الذي حرم أخاه الأكبر إسماعيل عليه السلام من وراثة أبيه، وهذا المبدأ هو ما تبعه وعمل به يعقوب عليه السلام مع أخيه عيسو، وهو المبدأ الذي تبعه بعد ذلك مع أحفاده، فأصبح نظاما متوارثا عبر الأجيال[3].

وعد الرب لموسى عليه السلام

أما عن وعد الرب لموسى عليه السلام بالأرض المقدسة، فقد ورد ذكره في سفر الخروج: [وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى... اذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ظَهَرَ لِي قَائِلاً إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُكُمْ وَمَا صُنِعَ بِكُمْ فِي مِصْرَ، فَقُلْتُ أُصْعِدُكُمْ مِنْ مَذَلَّةِ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ

---

[1] –سفر التكوين 35: 11-12.

[2] –جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم، ص259.

[3] –المرجع نفسه، ص260-261.

الكَنْعَانِيينَ وَالحِثِّيينَ وَالأَمُورِيينَ وَالفِرِزِّيينَ وَالحِوِّيينَ وَاليَبُوسِيِّينَ إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً] [1].

وأيضا ما ورد في السفر نفسه: [ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ أَنَا الرَّبُّ وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلَهُ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَمَّا بِاسْمِي يَهْوَهْ فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ وَأَيْضًا أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضَ غُرْبَتِهِمْ الَّتِي تَغَرَّبُوا فِيهَا، وَأَنَا أَيْضًا سَمِعْتُ أَنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُهُمُ المِصْرِيُّونَ وَتَذَكَّرْتُ عَهْدِي لِذَلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَا الرَّبُّ وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ المِصْرِيِّينَ، وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ، وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ وَآخُذُكُمْ لِي شَعْبًا وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمُ الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ المِصْرِيِّينَ وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَأُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا] [2].

فبعد حياة الذل والمهانة التي عاشها شعب بنو إسرائيل بمصر، جاء الأمر الإلهي بالخروج منها إلى الأرض التي وعد الرب بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب من قبل، وقد كانت وجهتهم هذه المرة توطينية إلى أرض كنعان كما حددها الرب لموسى كي يتخذها موطنا لشعبه[3]. هذه الأرض التي بقيت على ما تذكر التقاليد العبرية في ذاكرة القبائل الرحل، ولعدة أجيال متعلقة قلوبها بالأرض الموعودة، حيث كان الأجداد يعيشون قبل ارتحالهم إلى أرض مصر[4].

وهكذا جاءت مسيرة موسى عليه السلام مع قومه إلى حيث الوطن الموعود الذي يفيض لبنا وعسلا تحولت معها فكرة الأرض الموعودة من حدود الحلم إلى حدود العقيدة، فأصبحت فكرة الأرض الموعودة عقيدة دينية انعقد عليها إيمان شعب بني إسرائيل، وقد كان زحفهم نحوها نابعا من هذه العقيدة[5].

---

(1) –سفر الخروج 3: 15-17.

(2) –سفر الخروج 6: 2-8.

(3) –عشراتي سليمان، **الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية، ص88. انظر أيضا:** محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، ص431.

(4) –محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، ص432.

(5) –أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص134.

غير أن موسى عليه السلام مات وهو على مشارف أرض كنعان، و لم يستطع دخول حدود الأرض الموعودة لجبن بني إسرائيل عن القتال، لأنهم كانوا يخافون الحرب والقتال لحياة الاستكانة والعبودية التي كانوا يعيشونها بمصر، فقد كان في سفر الخروج: [...وَأُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا، أَنَا الرَّبُّ. فَكَلَّمَ مُوسَى هَكَذَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى مِنْ صِغَرِ النَّفْسِ، وَمِنَ الْعُبُودِيَةِ الْقَاسِيَةِ] [1].

وما جاء أيضا في سفر التثنية: [وَصَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوآبَ إِلَى جَبَلِ نَبُو إِلَى رَأْسِ الْفِسْجَةِ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الأَرْضِ مِنْ جَلْعَادَ إِلَى دَانَ، وَجَمِيعَ نَفْتَالِي، وَأَرْضَ أَفْرَايِمَ وَمَنَسَّى وَجَمِيعَ أَرْضِ يَهُوذَا إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ وَالْجَنُوبِ وَالدَّائِرَةَ بُقْعَةَ أَرِيحَا مَدِينَةَ النَّخْلِ إِلَى صُوغَرَ. وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ هَذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بِعَيْنَيْكَ، وَلَكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لا تَعْبُرُ] [2].

وأخيرا، نقول بأن الملاحظ بشأن وعود الرب لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأخيرا موسى عليهم السلام، لم يتحقق منها شيء لجميعهم، فلا إبراهيم عليه السلام ملك ولا إسحاق عليه السلام ولا يعقوب عليه السلام ولا موسى عليه السلام وهو آخرهم، فلم تطأ قدماه حتى هذه الأرض التي مات عليه السلام وهو على مشارفها، فكيف يطالب اليهود اليوم بأرض يعتمدون في المطالبة في العودة إليها على أساس الحقوق الدينية والتي يعتمدون فيها على وعود الآباء التي لم تتحقق لهم، و لم يملكوا منها إلا مكان دفنهم.

حدود الأرض الموعودة

نظرا لأهمية الأرض الموعودة في الفكر الديني اليهودي وارتباط اليهود الوطيد بهذه العقيدة. كثر الحديث عنها، مما أدى إلى ظهور ما يسمى بلاهوت الأرض المقدسة، وكان من أهم المسائل التي تعرض لها بالدراسة مسألة حدود الأرض الموعودة نظرا لتضارب نصوص التوراة بشأنها[3].

---

(1) –سفر الخروج 6: 8-9.

(2) –سفر التثنية 34: 1-4.

(3) –المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص2427.

فقد رسمت حدودها في سفر التكوين من النيل إلى الفرات [لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الكَبِيرِ نَهْرِ الفُرَاتِ] [1]. فهذا النص يعتمد في الدراسات التوراتية كتحديد لحدود الأرض الموعودة، ما يطلق المؤرخون عليها بحدود الآباء، والتي تعتمد على عناصر جغرافية بارزة ألا وهي نهر النيل والفرات، غير أن بعض الباحثين يذهبون بالقول بأن هذه الحدود ستتحقق بعودة المسيح المنتظر، والبعض الآخر لا يعتمد بهذا التحديد الذي ورد في الكتب الدينية سواء كان ذلك من الناحية الجغرافية أم التاريخية[2].

كما حددت التوراة حدودا أخرى للأرض الموعودة رسمت حدودها في سفر العدد [وَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. هَذِهِ الأَرْضُ الَّتِي تَقَعُ لَكُمْ نَصِيبًا أَرْضُ كَنْعَانَ بِتُخُومِهَا تَكُونُ لَكُمْ نَاحِيَةُ الجَنُوبِ مِنْ بَرِّيَّةِ صِينَ إِلَى جَانِبِ أَدُومَ وَيَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الجَنُوبِ مِنْ طَرَفِ بَحْرِ المِلْحِ إِلَى الشَّرْقِ وَيَدُورُ لَكُمُ التُّخْمُ مِنْ جَنُوبِ عَقَبَةِ عَقْرَبِيمَ وَيَعْبُرُ إِلَى صِينَ وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ مِنْ جَنُوبِ قَادِشَ بَرْنِيعَ وَيَخْرُجُ إِلَى حَصَرِ أَدَّارَ وَيَعْبُرُ إِلَى عَصْمُونَ ثُمَّ يَدُورُ التُّخْمُ مِنْ عَصْمُونَ إِلَى وَادِي مِصْرَ وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ البَحْرِ وَأَمَّا تُخْمُ الغَرْبِ فَيَكُونُ البَحْرُ الكَبِيرُ لَكُمْ تُخْمًا هَذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الغَرْبِ، وَهَذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الشِّمَالِ مِنَ البَحْرِ الكَبِيرِ تَرْسُمُونَ لَكُمْ إِلَى جَبَلِ هُورَ وَمِنْ جَبَلِ هُورَ تَرْسُمُونَ إِلَى مَدْخَلِ حَمَاةَ وَتَكُونُ مَخَارِجُ التُّخُمِ إِلَى صَدَدٍ ثُمَّ يَخْرُجُ التُّخُمُ إِلَى زِفْرُونَ وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ حَصَرِ عِينَانَ، هَذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الشِّمَالِ وَتَرْسُمُونَ لَكُمْ تُخْمًا إِلَى الشَّرْقِ، مِنْ حَصَرِ عِينَانَ إِلَى شَفَامَ. وَيَنْحَدِرُ التُّخْمُ مِنْ شَفَامَ إِلَى رِبْلَةَ شَرْقَيْ عَيْنٍ، ثُمَّ يَنْحَدِرُ التُّخْمُ وَيَمَسُّ جَانِبَ بَحْرِ كِنَّارَةَ شَرْقًا ثُمَّ يَنْحَدِرُ التُّخْمُ إِلَى الأُرْدُنِ وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ بَحْرِ المِلْحِ. هَذِهِ تَكُونُ لَكُمُ الأَرْضُ بِتُخُومِهَا حَوَالَيْهَا] [3].

فهذه الصيغ المتضاربة التي أوردها التوراة قد أثارت الكثير من الجدل فيما يتعلق بأرض إسرائيل وحدودها[4]، وعليه حاول الحاخامات اليهود إيجاد حل لمشكلة الاختلافات بين النصوص

---

(1) –سفر التكوين 15: 18.

(2) –موشيه برافر، حدود أرض إسرائيل بين الماضي والحاضر والمستقبل، ترجمة بدر عقيلي، (عمان: دار الجيل، ط 1، 1990)، ص51-52.

(3) –سفر العدد 34: 1-12.

(4) –موشيه برافر، المرجع السابق، ص49.

الواردة في شأن تعيين الحدود، فشبهوا الأرض بجلد الإبل الذي ينكمش في حالة الجوع والعطش ويتمدد في حالة الارتواء والشبع، وهكذا الحال بالنسبة للأرض المقدسة التي تضيق وتنكمش بهجرة ساكنيها من اليهود، وتتسع بهجرة اليهود إليها من مختلف بقاع الأرض[1].

كما شبهت حدود الأرض في التلمود بجلد الغزال، كما ورد في سفر "حطين" الذي يتصف بالمرونة الكافية للاتساع، بحيث تمكنه من استيعاب لحمه وعظامه كما جاءت الإشارة في سفر "كتوبوت" إلى أن حدود أرض إسرائيل تمتد وتتسع كلما ازدادت كثافة وامتلاء[2].

وقد عرفت أرض فلسطين قداسة خاصة في التلمود، حيث ربط بين إيمان الفرد وإقامته بالأرض المقدسة، فقد جاء في سفر "كتبوت"، بأن الساكن بأرض فلسطين يعد مؤمنا بالله، أما المقيم خارجها فلا إله له، كما أنه من يعيش بها يعيش بلا خطايا مهما ارتكب من ذنوب[3].

كما أنها مقدسة في التلمود بترابها وتعبد بهذه القدسية، فقد كان الرباني والتلمودي "حيا بن غمدا" يمرغ نفسه في تراب فلسطين وغبارها، وهم يقدسون ترابها وإن علق بنعالهم تبركا، كما كان التلموديون يوصون بوضع حفنة من تراب فلسطين تحت رؤوسهم عند دفنهم[4].

وتتضح الحدود الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية لأرض إسرائيل، كما يوردها عادل محمود رياض في كتابه "الفكر الإسرائيلي وحدود إسرائيل" كالتالي[5]:

الحدود الشمالية: يوجد حدان من الحدود الشمالية، أحدهما أدنى ويشتمل على الجولان وجبل الشيخ ومرتفعات لبنان حتى صيدا، وبذلك تدخل المرتفعات السورية واللبنانية داخل حدود إسرائيل أما الحد الأقصى للحدود الشمالية فيصل حتى نهر الفرات.

---

(1) –المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص2427.

(2) –عادل محمود رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود إسرائيل، (بيروت: دار النهضة العربية، دط، 1989)، ص21.

(3) المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص1426. انظر أيضا: عابد توفيق الهاشمي، فلسطين في المنبر، ص93.

(4) عابد توفيق الهاشمي، فلسطين في المنبر، ص93.

(5) عادل محمود رياض، المرجع السابق، ص 24-25.

الحدود الجنوبية: أما الناحية الجنوبية، فيوجد هناك حدان، الحد الأدنى ويصل إلى بئر سبع والنقب، أما الحد الأقصى فيصل إلى خليج العقبة.

الحدود الشرقية: لا يوجد تحديد للحدود الشرقية التي يعدونها أرض الميعاد، حيث تضم المنطقة شرق الأردن، وتصل حتى بادية الشام.

الحدود الغربية: وتتمثل الحدود من الناحية الغربية في البحر الأبيض المتوسط وفي الجنوب الغربي وادي العريش، غير أن بعض اليهود المتدينين يفسرون هذا الحد بنهر النيل، وذلك استنادا لما ورد في الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين، غير أن هذا التفسير بعد تفسيرا نادرا، ويعد وادي العريش هو التفسير الأكثر شيوعا.

الأرض الموعودة والحركة الصهيونية[1]:

بقيت عقيدة الأرض الموعودة فكرة مسيطرة على خيال اليهودي منذ فترة بعيدة تمتد جذورها إلى فترة السبي البابلي، حين أصبح الحنين إلى صهيون رمزا لعودة مملكتهم الغابرة[2].

وقد بقي هذا الارتباط شعورا مسيطرا على اليهودي طيلة حياة التشتت، فقد كان اليهودي في حياة الغيتو يحتفل بعيد الفصح الذي يقام احتفالا بذكرى الخروج من مصر، أمنيتهم الأساسية التي يرددونها عبر آلاف السنين ومن جيل لآخر "العام المقبل في القدس"[3].

---

[1] –الصهيونية: (Zionisme): دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية إجلائية مرتبطة نشأة وواقعا ومصيرا بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1993)، ج3، ص659.

أما اليهودية، فهي دين انتسب به بعض بنو إسرائيل إلى موسى عليه السلام . انظر: صابر طعيمة، الصهيونية في التاريخ، (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، دط، دت)، ص9. وعليه فاليهودية عقيدة دينية شاملة على عكس الصهيونية، فهي تمثل حركة سياسية عنصرية متطرفة، استغلت العاطفة الدينية الصهيونية لصهر يهود العالم على اختلاف قومياتهم وأجناسهم في وطن قومي واحد، وعملت على إسكانهم في أرض فلسطين بعد طرد سكانها بالقوة. انظر: أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، (الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع، دط، 2003)، ص181.

[2] –محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، ص41- 42.

[3] –دوريس بن سيمون، إسرائيل وشعوبها، ص35. انظر أيضا: عبد الوهاب المسيري، الأقليات اليهودية بين التحيز والادعاء القومي، (دم: دار نافع للطباعة، دط، 1975)، ص43.

غير أن ارتباط اليهودي بالأرض الموعودة بقي حبيس العواطف لم يتجاوزها إلى الإطار العملي، ذلك لأن الحاخامات اليهود مع تشجيعهم اليهود لحب صهيون، فقد كانوا يحذرونهم من عودتهم لها، لأن هذه العودة تستوجب انتظار المسيح الذي سيقودهم إلى الأرض الموعودة، الأمر الذي رفضته الجماعات الماشيحانية ابتداء بشبتاي[1] وانتهاء بالصهيونية[2].

لقد بقي الأمر كذلك، بحيث بقيت العودة حبيسة الإطار النظري، و لم يتجاوز تعلق اليهود بالأرض حدود النصوص الدينية والأعياد، وحينما جاء القرن 19م وأثيرت مسألة القومية[3]. حيث عمل اليهود الغربيين على تشكيل قومية جديدة لأنفسهم على شاكلة القوميات الأخرى، فحولو بذلك الإحساس الديني إلى برنامج سياسي قومي، وأصبحوا يطالبون بالوطن القومي كحل لمشكلتهم[4].

وقد سبقت الصهيونية ظهور عدة شخصيات يهودية تنادي بالعودة إلى أرض فلسطين. أمثال "دافيد روبين" في القرن 16م، داعيا زعماء اليهود بغزو أرض فلسطين وإقامة الدولة اليهودية في الأرض التي منحها لهم الرب حسب نصوص التوراة والتلمود، وكذلك ظهور "منشة بن إسرائيل" حيث دعا اليهود إلى بريطانيا كتمهيد لإعادة توطينهم بفلسطين، كما ظهر أيضا "شبتاي تسفي" خلال القرن 17م، والذي كان ينادي بإعادة مملكة اليهود بالعودة إلى الأرض الممنوحة لهم من الرب. وكانت هذه الدعوات النواة الأولى للصهيونية الحديثة في الظهور[5].

---

(1) –شبتاي تسفي (1626–1276): Shabettai Tezvi، ولد بأزمير لأب اشكنازي تلقى تعليما دينيا تقليديا، وتعمق في دراسة لقبالاه، انتقل إلى مصر حيث انظم إلى حلقة من دارسي القبالاه ثم إلى فلسطين، حيث ادعى أنه الماشيح الصادق الموعود، وتعد حركته أهم الحركات الماشيحانية على الإطلاق. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص2712 .2715

(2) –المرجع نفسه، مج4، ص2118.

(3) –محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، ص43.

(4) –أرنولد توينبي، فلسطين جريمة ودفاع، ترجمة: محمد الدراوي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1960)، ص27–28. انظر أيضا: عبد الوهاب المسيري، الأقليات اليهودية بين التجارة والإدعاء القومي، (دم: دار نافع للطباعة، دط، 1985)، ص121.

(5) –أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص320.

كما ساعد في ظهور الصهيونية الإصلاح الديني، إذ عكف في هذه الفترة على دراسة التوراة واللغة العبرية، وكنتيجة لذلك توالت الإصدارات طيلة القرن 19م دعوا لإعادة توطين اليهود في موطنهم القديم، كأمثال "شافتسبري"[1] و"جورج أليوت"[2] وغيرهما، كما حدث الشيء نفسه بفرنسا، حيث ظهر و"أرنست لاهاران"[3] وغيره، وقد جاءت هذه الإسهامات ضمن الوعد التوراتي الذي حان الوقت لتحقيقه ضمن توقاعتهم لانهيار الإمبراطورية العثمانية التي كان لابد لبديل يخلف مكانها[4].

وظهور الصهيونية كحركة عملت هي أيضا على نشر دعوة الهجرة إلى أرض فلسطين في أوساط اليهود، غير أنها لم تجد القبول بينهم، خاصة المتدينين منهم الذين لاقت الصهيونية منهم معارضة شديدة، مما أدى بالكثير من اليهود إلى الامتناعهم عن الهجرة، الأمر الذي أدى بمفكري الصهيونية وبمختلف الأساليب إلى ربط الصهيونية بالدين، وذلك باستخدام المقولات والأساطير الدينية في خطابهم السياسي بهدف كسب عدد أكبر من اليهود خلف دعوتهم، وكذلك لكسب الشرعية لدى اليهود، فأصبحت فكرة "أرض الميعاد" و"صهيون" من أكبر الدعايات التي استخدمها الصهاينة في حركتهم السياسية[5].

---

(1)–لورد شافتسبري (1801–1885): (Lord Shaftes Bury)، وهو أنتوني أشلي كوبر لورد شافتسبري السابع، زعيم حزب الإنجيليين لذا كان اليهود من أهم موضوعات فكره الأساسية، ينظر إليهم في نطاق العقيدة الألفية الاسترجاعية وهو صاحب الشعار المشهور "وطن بلا شعب لشعب بلا أرض"، وأصبح فيما بعد رئيسا لصندوق استكشاف فلسطين. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3203.

(2)–جورج أليوت (1819–1880)، (George Eliot)، صهيونية غير يهودية اسمها الحقيقي هو ماري آن إيفانس، تنطلق في رؤيتها لليهود من مفهوم الشعب المنبوذ، لها رواية نشرتها عام 1876 كان لها أثرا عميقا في روائي الفكر والأدب الصهيوني. وقد وصفت روايتها بأنها "وعد بلفور الأدبي". انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3207.

(3)–أرنست لاهاران (؟–؟): (Ernest Laharanne): صهيوني غير يهودي، وهو من دعاة المشروع الصهيوني الاستعماري بأرض فلسطين، له كتيب بعنوان "المسألة الشرقية الجديدة"، يبين لليهود فيه أنهم شعب لا يمكنهم الاندماج في الحضارة الغربية، لأنه شعب مرتبط بالشرق، يحث يجب أن يعود ويكون دولة له. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، ص

(4)–دوريس بن سيمون، إسرائيل وشعوبها، ص39.

(5)–عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل، (القاهرة: مكتبة مدبولي، دط، 1988)، ص195. انظر أيضا فرج راشد، القدس عربية إسلامية، ص167.

فاستخدم الصهاينة شعار "صهيون"، الذي يرمز إلى مجدهم السحيق وعاصمة مملكتهم، وذلك لبعث الجانب الروحي في الحركة[1].

كما استخدموا أيضا مصطلح "إرتس إسرائيل" التي كانوا يطلقونها على أرض فلسطين، أو "أرض الميعاد" لأنها مركز الوجدان اليهودي الذي تتجه عواطفه نحوها، أينما وجد وحيثما كان، لذلك اتجهت سياسة الصهاينة نحوها، وذلك حينما عجزوا عن إقناع اليهود بالهجرة إلى أرض فلسطين، ومن هنا بدأت الحركة في الانتشار[2].

كما أطلق اليهود الصهاينة على دعوتهم لهجرة إلى أرض فلسطين مصطلحا دينيا عرف باسم "العلية"، لما له من دلالات روحية في الموروث اليهودي، لأنه يوحي بالانتقال إلى مكان أرفع من أرض الشتات إلى الأرض المقدسة[3].

وبهذا يكون عنصر الأرض أحد أهم مرتكزات الفكر الصهيوني، لأن هذا العنصر يمثل عاملا أساسيا في بعث اليهود في أرض فلسطين، لأنه شعب عضوي لا يمكنه أن ينهض إلا في أرضه التي يرتبط بها برباط عضوي دائم وقوي، لأن ولادة روح الشعب من جديد لا يمكن أن تتحقق في غيرها من الأرض[4].

ولأهمية عنصر الأرض عمل الصهاينة على المزاوجة بين الصهيونية كحركة واليهودية كدين للإسهام في ازدياد الهجرة من أوربا إلى أرض فلسطين تحت شعارات "العودة إلى أرض صهيون" أو "العودة إلى أرض الميعاد"، الأمر الذي أدى إلى انخراط تيارات دينية وعلمانية متعددة من غير أن يكون لهذا التعدد تأثير على هدفها الجوهري والمتمثل في إنشاء دولة يهودية بفلسطين.

---

(1) –أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص318.

(2) –المسيري، الموسوعة اليهودية، مج2، ص512.

(3) –كارين أمسترونج: القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر، محمد عناني، (دم: در، دط، 1985) ص590. انظر أيضا المسيري، الموسوعة اليهودية، مج7، ص645.

(4) –المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص80.

هذه الدولة التي عمل الباحثون التوراتيون على إرجاعها لدولة داود، وسليمان باعتبار دولة إسرائيل الحديثة ترجع مطالبة الصهاينة بها إلى المملكة الداودية[1].

وكان من أهم الدلالات الواضحة الإشارات التي وردت في صياغة الإعلان عن استقلال (دولة إسرائيل) الحديثة، ما يفيد مركزية الأرض كعقيدة دينية بالنسبة لليهود التي ارتسمت معالمها في هذا الإعلان الصادر عن مجلس الأمة المؤقت في 14 ماي 1948م، وهذه مقاطع من افتتاحية هذا الإعلان التي جاء نصها كما يلي: «لقد كانت أرض إسرائيل مسقط رأس الشعب اليهودي، وهنا تكونت هويتهم الروحية والدينية والقومية، وهنا حقق هذا الشعب الاستقلال وأنشأ ثقافة كان لها أثر قومي وعالمي، وهنا أيضا كتبوا الكتاب المقدس، ووهبوه للعالم، وبعد النفي من أرض إسرائيل ظل الشعب اليهودي وفيا لهذه الأرض في جميع البلدان التي تشتت فيها، ولم ينقطع قط عن الصلاة والأمل بالعودة إليها لاستعادة استقلاله القومي لدافع هذا الرابط التاريخي، جاهد اليهود طيلة القرون الماضية للعودة إلى أرض آبائهم واستعادة دولتهم...»[2].

غير أن هذه الأحقية التي يدعيها اليهود في عودتهم إلى أرض فلسطين تحت زعم الأحقية الدينية، حتى وإن أقاموا بعودتهم أدلة من التوراة والتي جاء الكثير منها في سفر إرميا: [... وَأَرُدُّ سَبْيَ يَهُوذَا وَسَبْيَ إِسْرَائِيلَ وَأَبْنِيهِمْ كَالأَوَّلِ وَأُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ إِثْمِهِمُ الَّذِي أَخْطَأُوا بِهِ إِلَيَّ وَأَغْفِرُ كُلَّ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي أَخْطَأُوا بِهَا إِلَيَّ وَالَّتِي عَصَوْا بِهَا عَلَيَّ][3].

وأيضا ما ورد من السفر نفسه: [هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ هَا أَنَا رَادُّ سَبْيِ خِيَامِ يَعْقُوبَ وَأَرْحَمُ مَسَاكِنَهُمْ، وَتُبْنَى الْمَدِينَةُ عَلَى تَلِّهَا وَالْقَصْرُ يُسْكَنُ عَلَى عَادَتِهِ][4].

غير أن هذه النصوص التي يقيم الصهاينة على أساسها دعواهم لحقوقهم المزعومة في فلسطين، يفندها فرانتس شايدل في كتابه "إسرائيل أمة مفتعلة"، على أساس أن ذكر العودة بالنسبة

---

[1] –كيث وايتلام، اختلاق إسرائيل القديمة –إسكات التاريخ الفلسطيني–، ترجمة: سحر الهنيدي، مراجعة: فؤاد زكريا (الكويت: دار عالم المعرفة، دط، 1420هـ–1999م)، ص201.

[2] المرجع نفسه، ص202.

[3] سفر إرميا 33: 7.

[4] سفر إرميا 30: 18.

لليهود في العهد القديم لم يتنبأ أكثر من عودة واحدة، وقد تحققت لهم هذه النبوءة عند عودتهم من الأسر البابلي، بل العكس من ذلك، فقد تنبأ لهم الكتاب المقدس بالتشتت اليهودي آخر الأمر، فحق العودة التي يعتمده اليهود لا أساس له، لأنه في واقع الأمر قد عادوا إلى فلسطين ثلاثة مرات، العودة الأولى من مصر، والثانية من السبي الأشوري، والثالثة من السبي البابلي[1]. ويقرر ستيفف ب.ل. بنروز، رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت وهو من أبرز المتضلعين بالعهد القديم أنه: «لا يوجد ضمن الكتابات المعترف بها عن العهد القديم تنبؤ بعودة ثانية بعد العودة من المنفى البابلي»[2].

ويضيف شايدل بأن الرابطة التي يدعيها الصهاينة بإشاراتهم إلى التقاليد الدينية التي تربطهم بفلسطين، وذلك ينطبق بالمثل على العرب المسلمين إن لم يكن ذلك بدرجة أكبر فحقوق اليهود بالأرض أقل بكثير من حقوق المسلمين الدينية أو المسيحيين في هذه الأرض[3].

المطلب الثاني: أرض الميعاد

كما ارتبطت قداسة أرض فلسطين عند اليهود على أنها الأرض الموعودة فهي مقدسة عندهم أيضا على أنها أرض الميعاد لارتباط عودة المسيح المخلص بها.

عقيدة المسيح المخلص عند اليهود

ارتبط الخلاص اليهودي في عهد الأنبياء بالفشل والتدهور العام للأوضاع التي كانت تتجدد مع كل ملك يتم مسحه عليه، وقد كان للأنبياء دور فعال في سرعة استجابة بني إسرائيل لهذا الأمل الذي يرجونا تحقيقه مع ذلك الملك الجديد[4].

وقد كان يعرف الخلاص عند أنبياء بني إسرائيل بيوم الرب، ذلك لأنهم يعتقدون بأن يهوه هو الحاكم الفعلي، وأن الملك المنصب أو الممسوح هو مجرد أداة لتنفيذ مشيئة الله، ومن هنا ربط

---

(1) –فرانتس شايدل، إسرائيل أمة مفتعلة، ص178-180.

(2) –نقلا عن: المرجع نفسه، ص180.

(3) –المرجع نفسه، ص180.

(4) –مي ياظم، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، (أبو ضبي: مؤسسة الاتحاد والصحافة والنشر، دط، دت)، ص46.

الأنبياء بين الخلاص وبين حكم يهوه كملك، وحاكم فعلي لبني إسرائيل، وذلك حينما يظهر يوما كملك منتصر يجمع شعبه المشتت ويدمر أعداءه الذين تسببوا في شتاتهم، ويقيم في ذلك اليوم نظاما مثاليا يسوده السلام والسعادة والرخاء، ويمثل هذا الرأي مجموعة من الباحثين[1] في القول بأن مفهوم الخلاص ظهر منذ عصر الآباء، ويعارض فريق آخر من الباحثين[2] وجهة النظر السابقة ويتمسكون بالقول بأن مفهوم الخلاص لم يظهر بين بني إسرائيل قبل قيام الملكية، و لم يصبح مفهوما مؤثرا إلا بعد انهيار المملكة[3].

فبعدما تعرض بنو إسرائيل إلى الأسر البابلي ثبتت في عقائدهم فكرة المسيح المنتظر وبلغ إيمانهم بانتظار المسيح أشده، فردد بنو إسرائيل وعود الأنبياء بعودة الملك من ذرية داود تخضع وتدين جميع الأمم بملكه[4].

ومع النكبات التي تعرض لها اليهود أصبحت فكرة المخلص ركنا هاما من أركان العقيدة اليهودية، وهو ما يطلق عليها الكثير من مؤرخي الفكر اليهودي باصطلاح "المسيحانية[5]"[6].

ويرجع علماء التوراة حصول عقيدة المسيح المخلص إلى النصوص الواردة في العهد القديم.

منها ما ورد في سفر التكوين: [لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَلاَ مُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ] [7].

---

[1]–أمثال: حاييم زئيف هيرش وأجلين ويوسف كلوزنر وغيرهم.

[2]–أمثال: هولشر وجيتز برج وغيرهما.

[3] –مي ناظم، مرجع سابق، ص46-49.

[4] –عباس محمود العقاد، موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، (بيروت: دار الكتاب العربي، دط، 1970)، مج9، ص120.

[5]–المسيحانية: اعتقاد يهودي بمجيء المسيا في العهد الذي يحدده الرب، ويكون شخص من ذرية أو سلالة الملك داود لينقذ أو يخلص إسرائيل من سيطرة الأجنبي ويأتي به اليهود إلى فلسطين، أين تشيد مملكة مثالية تكون القدس عاصمة لها وتكون مثالا للصفاء الديني والعدل الاجتماعي. انظر:

Eroyston Pike, Dictionnaire des religions, (Paris : Press universitaire de France, 1954), P14.

[6] –حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي- أطواره ومذاهبه، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط4، 1420هـ-1999م)، ص110.

[7] –سفر التكوين 49: 10.

وقد فسر باحثوا التوراة القدامى والمحدثين هذا النص على أنه يشير إلى الملك المخلص لما ورد فيه من عبارة "حتى يأتي شيلون"[1].

وأيضا ما ورد في سفر العدد: [أَرَاهُ وَلاَ أُبْصِرُهُ، وَلَكِنْ لَيْسَ قَرِيبًا يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ فَيَحْطِمُ طَرَفَيْ مُؤَابٍ وَيُهْلِكُ كُلَّ بَنِي الْوَغَى] [2].

وقد فسر هذا النص الوارد في سفر العدد في عصر التلمود على أنه يشير إلى المسيح المخلص[3].

وما جاء أيضا في أشعار المزامير التي تتحدث بعضها عن مجيء ملك من نسل داود، كما تأتي أيضا في شكل أدعية وتضرعات من الملك إلى يهوه ليخلص الشعب من الأعداء، ويمنحهم الخلاص، فنقرأ في المزمور الثامن والعشرون [مُبَارَكٌ الرَّبُّ لأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ تَضَرُّعِي.الرَّبُّ عِزِّي وَتُرْسِي عَلَيْهِ اتَّكَلَ قَلْبِي فَانْتَصَرْتُ وَيَبْتَهِجُ قَلْبِي وَبِأُغْنِيَتِي أَحْمَدُهُ الرَّبُّ عِزٌّ لَهُمْ وَحِصْنُ خَلاَصِ مَسِيحِهِ.خَلِّصْ شَعْبَكَ وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ وَارْعَهُمْ وَاحْمِلْهُمْ إِلَى الأَبَدِ] [4].

وما ورد أيضا في سفر أشعياء نصوص كثيرة تقتصر على حادثة ميلاد طفل أشعياء الواردة في الإصحاح التاسع: [الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظَلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ... لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَتُعْطَى ابْنًا وَتَكُونُ الرِّئَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا مُشِيرًا إِلَهًا قَدِيرًا أَبًا أَبَدِيًّا رَئِيسَ السَّلاَمِ لِنُمُوِّ رِئَاسَتِهِ وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ] [5].

فهذه العبارات تصف الحالة السيئة التي يعيش فيها الشعب بالليل القاتم ثم بعد ذلك يأتي الخلاص المتمثل في النور على أرض ظلام الموت، ثم يصف فرحتهم ليوم الحصاد بعد ذلك يصل النبي إلى الهدف من نبوءته "يولد لنا ولد...". فالنور الذي يبزغ وسط الظلام يأتي مع ميلاد الطفل الذي

---

(1) –مني ناظم، المسيح اليهودي، ص71.

(2) –سفر العدد 24: 17.

(3) –مني ناظم، المرجع السابق، ص74.

(4) –سفر مزامير 28: 6-9.

(5) –سفر اشعياء 9: 2 7.

سيحكم ويجلس على العرش العظيم في المستقبل كسليل لمملكة داود، ويعم العدل والسلام والسعادة[1].

وغيرها من النصوص الكثيرة الواردة في العهد القديم تتحدث فيها عن المسيح المخلص كالنبوات الواردة في سفر إرميا (23: 5-6) وسفر عاموس (5: 18-20)، وكذلك قصة العظام الجافة الواردة في سفر حزقيال (37: 1-14).

هذا عن النصوص الواردة في ثبوت عقيدة المسيح المخلص عند اليهود في العهد القديم، أما عن ارتباط هذه العودة بأرض القدس هو ما سنتطرق له في هذا العنصر.

ارتباط عودة المسيح بأرض فلسطين:

ارتبطت عقيدة المسيح المخلص في اليهودية أشد الارتباط بعنصر المكان الذي تدور عليه أحداث عودة المسيح باليهود من السبي إلى الأرض المقدسة في نهاية العالم[2].

فاليهود يؤمنون بمجيء المسيح المخلص الذي يأتي لينقذ شعب إسرائيل من عذاب المنفى والشتات، ويقودهم عائدا بهم إلى أرض "أورشليم"، حيث يحكم منها حكم العدل والسلام على جميع أمم الأرض[3].

وقد جاء في سفر أشعيا: [وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ أَنَّ الرَّبَّ يَجْنِي مِنْ مَجْرَى النَّهْرِ إِلَى وَادِي مِصْرَ وَأَنْتُمْ تُلْقَطُونَ وَاحِدًا وَاحِدًا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ أَنَّهُ يُضْرَبُ بِبُوقٍ عَظِيمٍ، فَيَأْتِي التَّائِهُونَ فِي أَرْضِ أَشُورَ وَالمَنْفِيُّونَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَيَسْجُدُونَ لِلرَّبِّ فِي الجَبَلِ المُقَدَّسِ فِي أُورَشَلِيمَ][4].

وما ورد أيضا من السفر نفسه ما يفيد بأن الخلاص سيكون على أرض "صهيون": [اسْمَعُوا يَا أَشِيدَّاءَ القُلُوبِ البَعِيدِينَ عَنِ البِرِّ قَدْ قَرَّبْتُ بِرِّي لَا يَبْعُدُ وَخَلَاصِي لَا يَتَأَخَّرُ وَأَجْعَلُ فِي صِهْيَوْنَ خَلَاصًا

---

(1) – مي ناظم، المسيح اليهودي، ص84.

(2) – المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص2427.

(3) – شفيق مغار، المسيحية والتوراة، (قبرص: رياض الريس للكتاب والنشر، ط1، 1992)، ص38.

(4) – سفر إشعيا 27: 12-13.

لإِسْرَائِيلَ جَلاَلِي] [1].

وما ورد أيضا في السفر نفسه: [... أَلَسْتِ أَنْتِ الْمَشِّفَةَ الْبَحْرَ مِيَاهَ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ الْجَاعِلَةَ أَعْمَاقَ الْبَحْرِ طَرِيقًا لِعُبُورِ الْمَفْدِيِّينَ وَمَفْدِيُّو الرَّبِّ يَرْجِعُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى صِهْيَوْنَ بِالتَّرَنُّمِ وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ فَرَحٌ أَبَدِيٌّ] [2].

فقد حددت نصوص الخلاص بأن عودة المسيح ستكون إلى أرض "أورشليم"، حيث يعود بمشتتي بني إسرائيل إلى هذه الأرض، ليتم خلاصهم ويقيموا لهم مملكة الرب على الأرض.

فمهمة المسيح المنتظر عند مجيئه لا تقتصر على إنقاذ الشعب من أعدائه وتحقيق الخلاص لهم، بل تشمل كذلك إقامة مملكة الرب "يهوه" على الأرض، فيفرض القانون من "صهيون" على كافة الأمم ويسود السلام على كامل أرجاء المعمورة، ويبدأ بذلك العصر الذهبي[3]. فقد ورد في سفر إشعيا": [وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتَ الرَّبِّ... لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ أُورَشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنَصِّفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ] [4].

فالعودة وبناء على ما جاء في نصوص العهد القديم ستكون إلى الأرض المقدسة، وفي هذا المكان سيتحقق لليهود الخلاص على يد مسيحهم المنتظر منذ آلاف السنين ليقيم لهم المملكة، والتي ستكون بعد خوض معركة كبرى تعرف بمعركة "هرمجدون"[5] يكون هذا الصدام آخر الصدامات

---

[1] –سفر إشعيا 46: 12-13.

[2] –سفر إشعيا 51: 10-11.

[3] –شفيق مقار، المسيحية والتوراة، ص41.

[4] –سفر إشعيا 2: 4.

[5] –هرمجدون (ارمجدون): كلمة مكونة من كلمتين "هار" بمعنى تل و"مجدو" اسم مدينة في فلسطين، وهرمجدون هي الموضع الذي ستجري فيه المعركة الفاصلة والنهائية بين ملوك الأرض تحت قوى الشيطان (قوى الشر) ضد القوى التابعة للإله (قوى الخير) في نهاية التاريخ، وسيشترك فيها المسيح الدجال، حيث سيكتب النصر في النهاية لقوى الخير، وستعود الكنيسة لتحكم وتسود مع المسيح على الأرض لمدة ألف سنة، وقد ذكرت هرمجدون مرة واحدة في العهد الجديد رؤيا يوحنا اللاهوتي، إصحاح 16: 6 [فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون]. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3179.

على وجه الأرض ينتصر فيها اليهود على أعدائهم ليبدأ بعد ذلك العصر الألفي السعيد[1].

فقد جاء في التلمود على أنه لما يأتي المسيح الحقيقي: [... يحصل النصر المنتظر ويقبل المسيح وقتئذ هدايا جميع الشعوب ويرفض هدايا المسيحيين ويحقق منتظر الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل وتكون تلك الأمة هي المتسلطة على باقي الأمم عند مجيئه] [2].

ومن ثم، فالوظيفة التي يطلع بها المسيح عند مجيئه تتمثل في القضاء على الأعداء لاسترجاع مملكة داود وتعويضهم عن مملكتهم الغابرة التي سيقيمها المسيح على أرض فلسطين تكون "أورشليم" عاصمة لها.

الصهيونية والعودة إلى أرض الميعاد:

لقد كان ارتباط عقيدة المسيح المخلص بعنصر المكان المعين من أهم العوامل التي ساعدت في انتشار الاتجاهات الصوفية، هذه الأخيرة التي كان لها دور فعال في تعميق ارتباط اليهود بأرض فلسطين على أنها أرض الميعاد التي سيعود اليهود إليها.

والحركة الحسيدية كإحدى أهم الاتجاهات الصوفية عملت على تشجيع عملية الهجرة اليهودية، وكانت تمهيدا للهجرة الصهيونية[3].

ففلسطين عند الحسيديين هي قلب العالم الذي يتدفق منه الخلاص، لذلك وجب على اليهود الخروج من "بلاد الأغيار المدنسة" والعودة إلى "أرض فلسطين المقدسة"، وأصبحت الهجرة شعيرة دينية وعمل مقدس، الأمر الذي أدى بهجرة اليهود المبكرة، وقبل ظهور الحركة الصهيونية[4].

فقد عاش اليهود قبل انتقال عدد منهم إلى أرض فلسطين في الغيتو حياة بؤس وشقاء في مجتمعات مكتظة بالسكان وفي حارات ضيقة، انعزلوا بها عن غيرهم فعاشوا جماعات محافظة على

---

(1) –شفيق مقار، المسيحية والتوراة، ص46.

(2) –محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضح التلمود، (بيروت: دار عمران، القاهرة: مكتبة الزهرة، ط1، 1414هـ-1993م)، ص196.

(3) –المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص1427.

(4) –عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل، ص217.

معتقداتهم ولغتهم[1].

وفي ظل هذه الظروف كانوا ينتظرون بقلق مجيء المسيح لينقذهم من ذلك بوسائل هذا العصر يملكهم أرضا يعيشون عليها وينشئون فيها وطنهم الخاص بهم[2] لأنهم كانوا ينظرون إلى وجودهم هناك على أنه وجود مؤقت، لأنّ فكرة العودة إلى الوطن الأصلي هي فكرة أساسية في تفكيرهم، وقد زاد في تعميق هذه الأفكار التيار الحلولي الذي عمق الارتباط في الأرض، غير أنه بقي حبيس العواطف لأن الحاخامات اليهود مع تشجيعهم لحب الأرض المقدسة كان يحذرون من العودة الفعلية، التي تستلزم انتظار المسيح، الذي سيقودهم إلى الأرض الموعودة، الأمر الذي رفضته الجماعات المشيحانية ابتداء من شبتاي وانتهاء بالصهيونية[3]. وقد كانت دعوة شبتاي زيفي خلال القرن 17م لإعادة مملكة يهودا إلى الأرض التي منحها لهم إلههم، فكانت النواة الأولى للصهيونية الحديثة في الظهور[4].

كما ساعد أيضا بروز فكرة العودة قبل ظهور الصهيونية تشجيع العودة إلى أرض الميعاد فتاوي ربانيي اليهود أمثال يهود القالعي[5]

---

[1] –إسحاق دويتسر: اليهودي اللايهودي، ترجمة: ماهر الكيالي، (بيروت: الموسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1987)، ص43.

[2]–هنري أبو خاطر، فلسطين والخطر المصيري، (بيروت: منشورات عويدات، ط2، 1972م)، ص146.

[3]–المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص2118.

[4]–أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص319.

[5]–يهود القالعي (1798–1878): (Yehadah Alkalai)، حاخام ورائد من رواد الفكر الصهيوني، ولد في سيرايفو، عمل حاخاما للسفارد في ريمون، وكان متأثرا منذ صباه بالنزعة الوصفية القبالية. إن نقطة انطلاقه شأنه شأن كل الصهاينة الاثنين الدينيين، فعمل على المزاوجة بين الرؤية العلمانية والرؤية الدينية، من أبرز الناشطين في صفوف جمعية استيطان فلسطين. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3365–3366.

تسفي كاليشر[1] وصمويل موهيليفر[2] وأبرهام كوك[3] وغيرهم لضرورة هجرة اليهود إلى فلسطين معتبرين هذه العملية خطة عملية لتحقيق مملكة الخلاص المسيحانية. وقد عرف هذا التيار بالصهيونية الدينية فيما بعد[4].

وفي إطار الصهيونية نجد بأن الرفض الذي قوبلت به عند مناداتها بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين وخاصة الأرثذكس منهم والذين ينظرون إلى الصهيونية بأنها تتناقض مع ما جاء به التلمود الذي يقضي بأن الرب ذاته هو من يجمع اليهود حتى أن بعض الحاخامات دعوا إلى مقاطعة الصهاينة بسبب أفكارهم غير اليهودية[5].

وينطلق التيار الديني المعارض للصهيونية والمتمثل في اليهود الأرثذكس[6] والمعروفين بـ"الحريديم"[7] من أن الصهيونية بدعوتها اليهود إلى العودة إلى الأرض المقدسة دون انتظار المسيح

---

[1]–تسفي كاليشر (1795–1874): (Tzvi Kalisher): حاخام بولندي روسي من أوائل دعاة الصهيونية، ولد ببولندا، وقد بدأت الحياة الفكرية عنده مع بدايات اليهودية الإصلاحية، فهاجمها مدافعا عن القيم التقليدية وخاصة فكرة المسيح وأرض الميعاد، كان المسؤول عن تأسيس اللجنة المركزية لاستعمار فلسطين في برلين. انظر: الميسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3363–3364.

[2]–صمويل موهيليفر (1824–1898): (Samuel Mohilever): حاخام روسي وأحد مؤسسي حركة أباء صهيون، تلقى ثقافة دينية وتعمق في دراسة القبالاه والحسيدية وتواريخ الجماعات اليهودية، استمر نشاطه في الحركة رغم علمانيتها، وقد أصدر مجموعة من الفتاوي لتسهيل العملية الاستطانية. انظر: الميسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3366–3367.

[3]–أبرهام كوك (1865–1924): (Abraham Kook): أهم مفكري الصهيونية الاثنية الدينية، وأول حاخام أكبر لليهود الاشنكاز في فلسطين، ولد بروسيا وتلقى تعليمه في إحدى المدارس التلمودية العليا ثم هاجر إلى فلسطين واستقر بها عام 1904، وتتلخص سيرة حياته ونشاطاته القومية الدينية في محاولة تقريب الصهيونية إلى المتدينين وتقريب المتدينين من الصهيونية. انظر: الميسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3367–3370.

[4] –مني ناظم، المسيح اليهودي، ص250.

[5] –شهنوفيتش، خرافات الصهيونية السبع، مقال منشور بكتاب الجوهر الرجعي للصهيونية، ترجمة دار التقدم: (موسكو: دار التقدم: دط، 1985م)، ص32–33.

[6]–الأرثذكس: مصطلح مسيحي يعني الاعتقاد الصحيح، وتعتبر الأرثذكسية الامتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية. انظر: الميسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص2846.

[7]–الحريديم: تعني يهودي أرثذكسي أو يهودي متزمت دينيا، وتشير الكلمة بمعناها المحدد إلى اليهود المتدينين من شرق أوروبا الذين يرتدون أزياء شرق أوروبا (المعطف الطويل الأسود والقبعة السوداء ويضيفون له الطاليت). انظر: الميسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص2849.

تكون بذلك قد استبدلت الخلاص الإلهي بالخلاص الدنيوي، الأمر الذي يعد خروجا عن الإرادة الإلهية وتعاليم التوراة، فالأرثذكس المتشددون يرون بأن مصير الشعب المختار لا يحدده إلا خالقه، أما الشتات فما هو إلا عقاب من الله، والخلاص لن يتم إلا بإرسال الله لمسيحه المخلص[1].

وقد اعتمدوا في ذلك على تفسير الوعود تفسيرا روحيا، مبتعدين بذلك عن التفسير الحرفي للنصوص، ففسروا العودة إلى أرض الميعاد بأنها لم تتم إلا بعودة المسيح في نهاية العالم[2].

فهذا الاتجاه يؤمن بالطبيعة الدينية البحتة لمفهوم الخلاص الذي يتحقق على يد المسيح اليهودي الذي يرسله الإله دون تدخل بشري، وظل هذا الاتجاه قائما ولا يزال موجودا حتى الآن[3].

وهناك اتجاه آخر قام أصحابه بإعادة تفسير المسيحانية على أنها تعني ضرورة العمل على التنديد بمجيء المسيح دون انتظار بعثته التي تكون من طرف الإله، وبذلك قاموا ببدء الجهود البشرية التي تمثلت في الهجرة إلى أرض فلسطين كتمهيد للمجيء، واستعمار فلسطين، وهذا ما نادى به الحاخام يهودا القالعي، وهو من المبشرين بالصهيونية الدينية، كما دعا أيضا الحاخام كاليشر إلى الهجرة الجماعية والاستيطان بأرض فلسطين، حيث ربط بين زراعة الأرض والمسيحانية قائلا: «سيكون هذا خطوة لبداية خلاص الأرض المقدسة، ويؤدي تدريجيا إلى مجيء المسيح، ذلك لأننا إذا حققنا الخلاص للأرض سيؤدي هذا إلى ظهور ضوء الخلاص من السماء»[4].

والصهيونية كما نعلم في بداية أمرها لم تلق القبول لما تدعو إليه، غير أن هذا الوضع لم يستمر معها طويلا، ومع أحداث التقتيل التي تعرض لها اليهود وتبني الحركة الشعارات الدينية بدأ الإصلاحيون في تغيير موقفهم من الصهيونية، وقروا بضرورة أن يساعد اليهود في بناء فلسطين وطنا قوميا لهم، غير أنه بقي عدد كبير منهم على موقفه المعارض، وعلى رأسهم الحاخام آلمر برجر، الذي يرأس فرع من الملة الإصلاحية الكنائس الداخلة في المجلس الأمريكي للدين اليهودي المسمى (The American council for Judaism).

---

(1) –عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والدولة في إسرائيل، ص235.

(2) –هري أبو خاطر، فلسطين والخطر المصيري، ص147.

(3) –مي ياظم، المسيح اليهودي، ص250.

(4) –المرجع نفسه، ص250-251.

وكذلك الأمر بالنسبة ليهود الأرثذكس، حيث انقسموا هم كذلك إلى قسم يؤيد العودة إلى أرض الميعاد تمهيدا لمجيء المسيح بدلا من انتظاره، والممثل في المنظمة المزراحية وقسم معارض ممثل في جمعية أحودات إسرائيل، وقد كانت من أشد المعارضين، غير أن الكثير من الحاخامات قد تحالفوا مع الحركة بالتدريج[1].

واليهود الأرثذكس الذين تحالفوا مع الحركة انتقلوا من قاعدة أساسية في اليهودية مفادها بأن الله جسد إرادته في شؤون البشر عن طريق تنفيذ مآربه بواسطة وكلاء من البشر[2].

هذا، وذهب أيضا بعض حاخامات[3] الإشنكاز[4] إلى إباحة التعامل مع الصهاينة، الذين فسروا مسيرة الخلاص من أن لها مرحلتان، الأولى بشرية وخلال هذه المرحلة يجوز التعاون مع الصهيونيين حتى الآثمين منهم، لأنهم إنما ينفذون الإرادة الإلهية، وعليه فلا يبقى المتدينون سلبيين خلال هذه المرحلة، أما المرحلة الثانية فهي نابعة من معجزة إلهية لا دخل للبشر بها[5]. فخلال المرحلة الأولى مرحلة التدخل البشري، ويتم ذلك عن طريق الهجرة الجماعية إلى فلسطين مع ضرورة العمل داخل المستوطنات خاصة أن العمل الزراعي اعتبره تأييدا لعمل الرب، وأنه بمثابة تمهيدا لطريق المسيح المخلص[6].

---

(1) –إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، (القاهرة: دار التضامن، ط2، (1407هـ-1988م))، ص116-117. انظر أيضا: شاهنوفيتش، خرافات الصهيونية السبع، ص33.

(2) –أرنولد توينبي، فلسطين جريمة ودفاع، ص44.

(3) –وعلى رأسهم الحاخام الأكبر إسحاق كوك.

(4) –الإشكاز: (Achekines): إشنكاز مأخوذة من الكلمة العبرية إشكينازيم، والكلمة حسب الرواية التوراتية اسم أحد أحفاد نوح، ومن المحتمل أن تكون الكلمة استخدمت للإشارة إلى قبيلة ظهرت زمن آسر حدون، تحالف أعضاؤها مع أشرار، وهم الذين تشير إليهم المدونات الأشورية للقرن 7ق.م بلفظ "إشكوزا"، أما الاشتقاق الحالي للكلمة فهي مأخوذة من كلمة "إشكناز"؛ بمعنى ألمانيا، ومن الصعب معرفة متى حدث هذا الترادف، وتطلق الكلمة في الوقت الحالي على اليهود الذين جاءوا من إيطاليا وهولندا وفرنسا وإنجلترا. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج2، ص530-531.
Joseph Tolédame, Les juifs Maghrébins, (Paris: 1983), P300.

(5) -روبرت أساراف، أزمة ورحال في إسرائيل، ترجمة: حسين شريف، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2000)، ص290.

(6) –مئير باطم، المسيح اليهودي، ص151.

لقد كان لعقيدة المسيح المخلص التي تبناها الصهاينة في مشروعهم السياسي الاستعماري بأرض فلسطين دورها الفعال في إنجاح هذا المشروع واستجابة اليهود لدعوة الهجرة التي عمل على تقويتها الربيون اليهود ومن مختلف الطوائف[1]، وعلى إثر هذه الفكرة الدينية للعودة نجد أن الفكرة الحسيدية بالهجرة سبقت الهجرة الصهيونية، وكانت تمهيدا لها، فقد كان الوجود الحسيدي بفلسطين يعود إلى منتصف القرن 18م، والذي بدأ بهجرة أفراد ثم جماعات، حيث هاجرت مجموعة منهم عام 1765 واستقرت بعكا وطبرية، ثم جاءت هجرة جماعة أخرى تضم بعض المئات من الحاسيديين عام 1777م، وتعد أهم هجرة جماعية استقروا في صفد وعكا والخليل وقاموا بإقامة مستوطنات عدة بمناطق مختلفة بعد ذلك[2].

وجاءت هجرات اليهود بأعداد كبيرة إلى أرض فلسطين خلال أعوام (1850م-1880م)، هاجر إليها حوالي 25000 مهاجر، كما شهدت فترة العثمانيين أيضا موجتين رئيسيتين من الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين، حيث بلغ عدد الوافدين ما بين 55000 إلى 70000 مهاجر، منهم ما بين (20000 إلى 30000) مهاجر مثلوا الهجرة الأولى، وكانت خلال أعوام (1882-1903)، وأما الموجة الثانية فكانت ما بين (1904-1913م)، وكانت تضم حوالي (35.000 إلى 45.000) مهاجر، وهذه الأعداد المرتفعة إن دلت فإنما تدل على نشاط الحركة الصهيونية الواسع ونفوذها خلال هذه الفترة بالمقابل في ذلك ضعف الرقابة الإدارية بشكل عام في الدولة العثمانية رغم معارضتها لهجرة اليهود إلى أرض فلسطين[3]. وذلك بسن القوانين التي تمنع من الهجرة تارة واستبدال الموظفين المتواطئين مع قناصل الدول الأجنبية تارة أخرى، كما عمل السلطان عبد الحميد على وضع قوانين جديدة تهدف إلى منع استيطان اليهود في فلسطين، حيث حددت إقامتهم بمدة ثلاثة أشهر[4]، ورغم محاولة الصهاينة إقناع السلطان بفتح باب الهجرة اليهودية، ورغم كل الإغراءات التي قدمها هرتزل للسلطان خاصة وأن الدولة العثمانية في هذه الفترة كانت تمر بظروف مالية جد صعبة، رغم هذا فقد وقف موقفا متصلبا ضد مطامع الصهيونية وأهدافها بأرض فلسطين، الأمر الذي كلفه عرشه والتخلي عنه،

---

[1] -منى ناظم، المسيح اليهودي، ص251.

[2] -عبد الفتاح ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل، ص217-218.

[3] -عمران أبو صبيح، الهجرة اليهودية حقائق وأرقام، (عمان: دار الجيل للنشر، ط1، دت)، ص41.

[4] -رفيق شاكر، النشاشة، السلطان عبد الحميد وفلسطين، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط5، (1410هـ-1990م))، ص176.

وقد فشل الصهاينة ورغم محاولاتهم الكثيرة في تأسيس وطن قومي لليهود بأرض فلسطين في فترة الدولة العثمانية[1].

وما إن جاءت فترة الانتداب حتى ازدادت معها سلسلة الهجرات، خاصة بعد صدور وعد بلفور الذي أعطى الهجرة إلى أرض فلسطين الصبغة القانونية، حيث بلغ في هذا العام (1919) حوالي 35000 مهاجر، واستمرت عملية الهجرة أين ارتفع عدد المهاجرين إلى أعلة نسب الهجرة بإعلان قيام (دولة إسرائيل) عام 1948م، والتي بلغ عدد المهاجرين خلال هذه الفترة حوالي 142000 مهاجر، من مختلف القارات بمعدل 48000 مهاجر سنويا[2].

و لم تتوقف عملية الهجرة منذ بدأت، بل أنها الوسيلة الوحيدة المعتمدة في عملية تصعيد النسبة اليهودية من حيث السكان وتوسيع الاستيطان لإقامة المستوطنات التي تساعد في تهويد المنطقة وإعطائها الصبغة اليهودية. وإقامة ما يسمى بـ"إسرائيل الكبرى"، وكل ذلك يكون على حساب الشهب الفلسطيني الذي يهجر من أرض بقوة والدس به في المخيمات[3].

المطلب الثالث: أرض المقدسات

وكما تقدست أرض فلسطين عند اليهود على أنها الأرض الموعودة وأرض الميعاد، فهي أيضا مقدسة عندهم لتواجد مقدساتهم على أراضيها، وتتمثل هذه المقدسات في:

1-الهيكل:

الهيكل كلمة سومرية معناها "البيت الكبير" وهو مكان العبادة، ويطلق اليهود كلمة الهيكل على مكان واحد كبير في القدس لا على كل أماكن العبادة، وقد وردت لفظة الهيكل في الكتاب بمعنى هيكل الرب في القدس في معظم الأحيان[4].

---

[1]-رفيق شاكر، مرجع سابق، ص178-185.

[2]-عمران أبو الصبيح، الهجرة اليهودية حقائق وأرقام، ص22-23.

[3]-المرجع نفسه، ص28 29. انظر أيضا: غازي حسين، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، (دمشق: در، دط، 1992م)، ص77.

[4]-جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص1011.

وقد كان بناء الهيكل في عهد سليمان عليه السلام غير أن الملك داود عليه السلام كان قد هيأ مكان البناء، فقد كان في نيته أن يبني هيكلا ثابتا للرب بدلا من خيمة متنقلة على أن أمر البناء لم يكن في عهده[1]، على ما ورد في العهد القديم، وقد جاء في أخبار الأيام الأول: [وَوَقَفَ دَاوُدُ الْمَلِكُ عَلَى رِجْلَيْهِ وَقَالَ اِسْمَعُونِي يَا إِخْوَتِي وَشَعْبِي كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتَ قَرَارٍ لِتَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَلِمَوْطِئِ قَدَمَيْ إِلَهِنَا، وَقَدْ هَيَّأْتُ لِلْبِنَاءِ وَلَكِنَّ اللهَ قَالَ لاَ تَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي لأَنَّكَ أَنْتَ رَجُلُ حُرُوبٍ... وَقَالَ لِي إِنَّمَا سُلَيْمَانُ ابْنُكَ هُوَ يَبْنِي بَيْتِي وَدِيَارِي لأَنِّي اخْتَرْتُهُ لِي ابْنًا وَأَكُونُ لَهُ أَبًا] [2].

وبعد موت داود عليه السلام بدأ سليمان عليه السلام العمل بالبناء في السنة الرابعة من حكمه، وقد استغرق في هذا العمل سبع سنوات وستة أشهر، معتمدا في ذلك على مصادر خارجية كالفينيقيين وغيرهم[3]. وأما تحديد مكان بناء الهيكل فلم يحدده الإله بل كان من اختيار داود وسليمان عليهما السلام، وهذا يعكس عدم قداسة المكان في حد ذاته، وإنما اكتسب المكان القداسة بحلول تابوت العهد فيه[4]. وقد جاء في سفر الملوك: [وَكَانَ لَمَّا أَكْمَلَ سُلَيْمَانُ بِنَاءَ بَيْتِ الرَّبِّ... وَقَالَ الرَّبُّ: قَدْ سَمِعْتُ صَلاَتَكَ وَتَضَرُّعَكَ الَّذِي تَضَرَّعْتَ بِهِ أَمَامِي، قَدَّسْتُ هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي بَنَيْتَهُ لأَجْعَلَ اسْمِي فِيهِ إِلَى الأَبَدِ، وَتَكُونُ عَيْنِي وَقَلْبِي هُنَاكَ كُلَّ الأَيَّامِ]»[5].

وقد ارتفع البناء فوق جبل موريا في القدس، حيث بنى داود مذبحا للرب عند بيدر أرونة اليبوسي على ما جاء سفر صموئيل الثاني: [فَصَعِدَ دَاوُدُ حَسَبَ كَلاَمِ جَادَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. فَتَطَلَّعَ أَرُونَةُ وَرَأَى الْمَلِكَ وَعَبِيدَهُ يُقْبِلُونَ إِلَيْهِ فَخَرَجَ أَرُونَةُ وَسَجَدَ لِلْمَلِكِ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ أَرُونَةُ لِمَاذَا جَاءَ سَيِّدِي الْمَلِكُ إِلَى عَبْدِهِ، وَقَالَ دَاوُدُ لأَشْتَرِيَ مِنْكَ الْبَيْدَرَ لِكَيْ أَبْنِيَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ فَتَكُفَّ الضَّرْبَةُ عَنِ الشَّعْبِ] [6].

---

(1) –سفر أخبار الأيام الأول 28: 2-6.

(2)–محمد أحمد محمود حسن، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، (القاهرة: مكتبة النهضة، دط، 1985)، ص28.

(3)–جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 1013.

(4)–محمد جلاء إدريس، أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، (مصر: دار الإعلام العربي، ط1، 2001)، ص99-100.

(5)–سفر الملوك الأول 9: 1-2.

(6) –سفر صموئيل الثاني 24: 19-21.

والهيكل كما جاء وصفه في قاموس الكتاب المقدس: «يتجه إلى جهة الشرق وكان بجانب مدخله رواق وعواميد، ثم اتسع الرواق في عهد خلفاء سليمان حتى شمل جميع الجهات وبنيت للغرب من الرواق الشرقي الدار مربعة الشكل، ثم إلى غربها دار أصغر منها، أما المذبح فكان صندوقا من الخشب الثمين مربع الحجم مغطى بالنحاس، وكانت النار تشكل على رأسه وإلى جانبها وضعت أوعية الغسل من النحاس، لتطهر بها الكهنة والذبائح، وكان في الدار الصغيرة غرف للكهنة وللطبخ أما الدار الكبرى فكان فيها الهيكل الحقيقي، وكان بناؤه شاهقا، وكانت أبوابه من الخشب المرصع بالذهب، وجعلت بعض جوانبه مخصصة للملوك، وتحت رواقه عمودان مزخرفان هما ياكين وبوعز، وكان لا يسمح بدخول أحد غير رئيس الكهنة إلى الجانب المقدس المخصص له، وكان ذلك الجانب بغلق ببابين ضخمين، وكان ينيره ضوء منارة من الذهب، وإلى جانبها خمس منائر على خمس موائد، وفيه كان يقدم البخور وخبز الوجوه، ووضع في المحراب أو قدس الأقداس، وهو غرفة مظلمة فيه تابوت العهد»[1].

وقدس الأقداس مكعب الشكل، حجري بدون نوافذ أقيم على مستوى أعلى من الجزء المسمى "الهيكل" في هيكل سليمان عليه السلام وكان قدس الأقداس يضم تابوت العهد في خيمة الاجتماع، وكان يفصل قدس الأقداس عن بقية الهيكل ستارة وسلسلة من الذهب أو باب، ولم يكن يدخله سوى كبير الكهنة في يوم الغفران، ويقع قدس الأقداس في وسط الهيكل ويوجد أمامه حجر الأساس ويزعم بعض الحاخامات بأن حجر الأساس هو الصخرة الشريفة الموجودة في مسجد الصخرة، ويعد قدس الأقداس في التأملات الكونية التي تخص الهيكل السماء السابعة، ولهذا فهو أكثر الأماكن قدسية[2].

هذا عن وصف هيكل سليمان عليه السلام قبل أن يدمره نبوخذ ناصّر ملك بابل ويعلل العهد القديم ما حدث للهيكل بسبب انحرافهم عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان، وشرور يهودا وآثامها وتنجيسهم لبيت الرب الذي قدسه[3]. فنقرأ في أخبار الأيام: [كَانَ يَهُويَاكِينَ ابْنَ ثَمَانِي سِنِينَ حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ فِي أُورُشَلِيمَ وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَعِنْدَ رُجُوعِ السَّنَةِ

---

(1) –حون طمس وآخرون، مصدر سابق، ص1013-1014.

(2)–المسيري: الموسوعة اليهودية، مج4، ص1935-1936.

(3) – محمد أحمد محمود حسن، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، ص51، 64.

أَرْسَلَ الْمَلِكُ نَابُوخَذْ نَاصَّرُ فَأَتَى بِهِ إِلَى بَابِلَ مَعَ آنِيَةِ بَيْتِ الرَّبِّ الثَّمِينَةِ وَمَلَّكَ صِدْقِيَا أَخَاهُ عَلَى يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ كَانَ صِدْقِيَا ابْنَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ... حَتَّى أَنَّ جَمِيعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشَّعْبِ أَكْثَرُوا الْخِيَانَةَ حَسَبَ كُلِّ رَجَاسَاتِ الأُمَمِ وَنَجَّسُوا بَيْتَ الرَّبِّ الذِي قَدَّسَهُ وَفِي أُورُشَلِيمَ فَأَرْسَلَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِهِمْ إِلَيْهِمْ يَدَ رُسُلِهِ مُبَكِّرًا وَمُرْسِلاً لأَنَّهُ شَفِقَ عَلَى شَعْبِهِ وَعَلَى مَسْكَنِهِ فَكَانُوا يَهْزَأُونَ بِرُسُلِ اللهِ وَرَذَلُوا كَلاَمَهُ وَتَهَاوَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ حَتَّى ثَارَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ شِفَاءٌ فَأَصْدَرَ عَلَيْهِمْ مَلِكُ الْكَلْدَانِيِّينَ فَقَتَلَ مُخْتَارِيهِمْ بِالسَّيْفِ فِي بَيْتِ مَقْدِسِهِمْ...وَأَحْرَقُوا بَيْتَ اللهِ وَهَدَمُوا سُورَ أُورُشَلِيمَ[1].

وبزوال الهيكل وتدميره، أصبح زوال ملك يهودا نهائيا من الوجود، والذي كان عام 587ق.م، حيث سقطت مدينة القدس وخربت وتعرض الجزء الأكبر من اليهود إلى الأسر البابلي[2].

لقد كان تدمير البابليين للهيكل تدميرا أبديا، أما إعادة اليهود بناءه بعد السبي والذي يعرف بالهيكل الثاني المسمى بهيكل زربابل[3]، فقد كان بناؤه في عهد الملك الفارسي كورش عام 538ق.م، وقد كان أقل فخامة واستعيد إليه بعض أوانيه، غير أن قدس الأقداس كان خاليا من تابوت العهد المختفي[4].

وعليه، كان بناء الهيكل قائما على غير الأساس الديني الذي جاء بناء داود وسليمان عليهما السلام للهيكل الأول، الذي كان بناؤه بهدف إسكان تابوت عهد الرب، وعليه كان بناء الهيكل الثاني ليست له أي قداسة، لأن قداسة هيكل سليمان إنما مستمدة من وجود تابوت عهد الرب فيه[5].

---

(1) –سفر أخبار الأيام الثاني، 36: 9-19.

(2) –محمد أحمد محمود حسن، مرجع سابق، ص66.

(3) –زربابل (522ق.م)، وهو اسم رئيس مجموعة اليهود الذين سمح لهم كورش في مرسومه الشهير بالعودة إلى أرض فلسطين. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج4، ص1988.

(4) –جون ماكنزي وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص1014.

(5) –محمد أحمد محمود حسن، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، ص72.

وقد استمر هيكل زربابل مدة خمسة قرون، وقد اضطر هيرودس إلى ترميم الهيكل بعد أن تعرض إلى الخراب، وهو ما عرف بهيكل هيرودس الذي بدئ بالعمل فيه سنة 20ق.م، وقد استغرقت أعمال البناء وقتا طويلا، وتم بناؤه سنة 64م، وقد وسعت مساحة الهيكل على ما كان عليه، وقد أحيطت به دور كثيرة أهمها دار الأمم، والدار الخارجية، دار النساء، دار إسرائيل، ودار الكهنة[1].

غير أن هذا الهيكل لم يستمر بناؤه قائما مع ما كان قائدا بين اليهود من فساد وشرور قد سار الكهنة القائمون على هذا الهيكل على طريقة كهنة يهودا طريق الشر والفساد، وقد جاء في ملاخي عن كهنة زربابل: [لأَنَّ شَفَتَيِ الكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ لِأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ أَمَّا أَنْتُمْ فَحِدْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَعْثَرْتُمْ كَثِيرِينَ بِالشَّرِيعَةِ أَفْسَدْتُمْ عَهْدَ لاَوِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ أَنَا أَيْضًا صَيَّرْتُكُمْ مُحْتَقَرِينَ وَدَنِيئِينَ عِنْدَ كُلِّ الشَّعْبِ كَمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَحْفَظُوا طُرُقِي بَلْ حَابَيْتُمْ بِالشَّرِيعَةِ][2].

وبهذا الفساد، بدت نهاية زوال هيكل زربابل قريبة، إذ لم يعمر طويلا، فقد دمره الرومان سنة 70 على ما جاء ذكر ذلك في قاموس الكتاب المقدس[3].

غير أنه وبحسب التعاليم اليهودية، فإن قدسية منطقة الهيكل تظل قائمة على الرغم من تدمير الهيكل، وهذا ما أكده الحاخام الأكبر الإشنكازي أبراهام كوك من أن قدسية جبل الهيكل أبدية ولا تزال قائمة، وقد حذر حاخاموا (إسرائيل) الكبار اللاحقون كوتئل أ. ي اونترمان و.ي نسيم بعد عام 1967 من دخول أي جزء من جبل الهيكل، لأن دخول المنطقة التي يوجد بها "قدس الأقداس" محرم كليا في الشريعة اليهودية اليوم[4].

وبعد سقوط مدينة القدس في يد الإسرائيليين عام 1967، هذا اليوم الذي اعتبره المتدينين معجزة إلهية، ارتفعت الأصوات بين الغلاة منهم تدعو إلى إعادة بناء الهيكل دون انتظار المسيح، وهو ما أطلقوا عليه نظرية "أعمال يد الله" بمعنى تنفيذ المشيئة الإلهية واستباق الوعد. وبناء عليه تحول هدم

---

(1) –حون طمسن وآخرون، مصدر سابق، ص1015.

(2) –سفر ملاخي 2: 7-9.

(3) –حون طمسن وآخرون، المصدر السابق، ص1015.

(4) –دوري غولد، القدس الحل الدائم في دراسة لمركز يافي، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع26، ربيع 1996، ص218.

المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه إلى أمر وتكليف إلهيين، ويتعين على المتدينين النهوض به، وهناك حوالي 15 منظمة في إسرائيل والولايات المتحدة تعمل للإعداد لهذه المهمة[1].

وتعد قضية إعادة بناء الهيكل من أهم القضايا المثارة بين اليهود بين مؤيد ومعارض لها، وهناك من المتدينون من المعارضين أصلا لفكرة العودة وإقامة الدولة وبناء الهيكل، لأن كل ذلك يستوجب انتظار عودة المسيح كفرقة الناتوري كارتا[2] والحريدم الذين يعتبرون إعادة بناء الهيكل ذروة الخلاص، غير أنهم لا يرغبون بهدم مسجدي قبة الصخرة والأقصى، بل ويحرّمون هذا لأنها مهمة المسيح بحسب اعتقادهم، في حين يعتبرها الصهاينة قضية محورية وتوليها المنظمات المتطرفة اهتماما كبيرا جعلت من هدم الآثار الإسلامية المتواجدة في الموقع من أهم أهدافها[3].

أما هدفها الأكبر فهو المسجد الأقصى القائم على مكان الهيكل حسب ما يدعيه الصهاينة، فقد صرح الزعيم الصهيوني "كلوزنر"[4] في مقالة نشرتها صحيفة "بالستين وكلي" اليهودية: «أن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس بالهيكل إنما هو يهودي». واعتبر السير ألفريد موند الوزير البريطاني السابق أن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قليلا جدا، وأعلن أنه سيكرس ما بقي من حياته لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى، هذا كما صرح ديفيد بن غوريون بعد قيام (دولة إسرائيل) أنه: «لا معنى لفلسطين دون القدس، ولا معنى للقدس دون الهيكل».

---

(1) -الهيكل والأسطورة واختبار العرب: www. quds online. net

(2)-الناتوري كارتا (Naturai Karta)، وتسمى نواطير المدينة أو حراس المدينة، وهي منظمة يهودية دولية معادية للصهيونية، فهذه الأخيرة لا تمثل عندهم استمرارا للتراث الديني اليهودي، أو تنفيذا للتعاليم اليهودية، وهذا الرفض ينطلق من عقائد جوهرية كعقيدة المسيح والشعب المختار وأرض الميعاد. وهي من أشد المعارضين لدولة إسرائيل، وأكبر تجمع لها في الو.م.أ. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج4، ص63.

(3) - صقر أبو فخر، الهيكل بدلا من المسجد الأقصى. www. AL- Kawthar .com/ abhath/ tarikh/ tarik h2

(4)-جوزيف كلوزنر (1874-1958): مؤرخ وناقد، ولد بلتوانيا تلقى تعليما دينيا تقليديا، حصل على الدكتوراه من جامعة هايدلبرج بألمانيا، خلف عددا من الدراسات التاريخية والنقد الأدبي، سعا لإثبات المقولات الصهيونية، وكان من أنشط أعضاء حركة أحباء صهيون. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج3، ص1442-1443.

وفي ذلك الوقت برزت إلى الوجود أهم المنظمات الصهيونية الداعية إلى بناء الهيكل والمسماة بجماعة "أمناء جبل الهيكل"[1]، وقد جعلت هذه المنظمة بناء الهيكل من أهم أهدافها الأساسية، وأنشأت لذلك مدرستين تلموديتين بالقرب من حائط البراق، بغرض تدريب مائتي طالب على أداء شرائع العبادة القربانية الخاصة بالهيكل، وإحدى هذه المدارس "معهد جبل الهيكل"، وظيفتها الأساسية التعجيل ببناء الهيكل، وقامت هذه الجماعة بمحاولة وضع حجر الأساس بالهيكل الثالث عام 1989 تحت إشراف رئيس هذه الجماعة "غرشوم سالمون" وتلقى هذه الجماعة مساندة كبيرة من بعض أعضاء المؤسسة الدينية في إسرائيل[2].

وما الهجومات والحفريات التي أقيمت تحت المسجد الأقصى بهدف هدمه لتسهيل المهمة لهذه الجماعة بإعادة بناء الهيكل، ويذكر هنا البروفسور اليهودي "يشعيا هوليبوفتش" مؤكدا أنه لا يوجد أساس ديني لمطالبة جماعة أمناء الهيكل لإعادة بناء الهيكل، وقال بأن: «هذا الهيكل غير قائم منذ ألف وتسعة وعشرين عاما فيما المسجد الأقصى قائم منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام»[3].

هذا، ويذكر أدولف لودز بأن سليمان عند بنائه للهيكل لم يكن يفكر بأنه سيحل محل الأماكن المقدسة التي عمرت لقرون، بل كانت أهدافه من البناء سياسية، فالهيكل في ذلك الوقت لم يكن أسطورة مقدسة، بل كان يمثل أعمالا شاقة بسبب زيادة الضرائب عند بداية إنشائه، هذا وظل الهيكل عدة قرون بعد سليمان دون أن يؤثر في تطور الديانة اليهودية[4].

ومع هذا، يبقى الهيكل يمثل قلب الديانة اليهودية ومحط أنظار أتباعها، يعملون جاهدين في إعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى، وقد اتضحت نواياهم في ذلك منذ احتلالهم أرض فلسطين.

---

(1) –نافذ أبو حسنة، بناء الهيكل في الأديبات الصهيونية، المركز الفلسطيني للإعلام، www. Palestine-info. Net/ arabic/books

(2) –حسام عبد ربه، إعادة بناء الهيكل 1 أوت 2001.www. Dar Akbar El Youm.Com.

(3) –نافذ أبو حسنة، المرجع السابق.

(4) –Adolf Lods , Israël, p479-482

الهيكل وإقامة الشعائر الدينية

ارتبطت الشعائر الدينية اليهودية بالأرض ارتباطا كبيرا، وبقي الهيكل ومنذ إقامته أحد أهم الأماكن المركزية لإقامة الصلوات والطقوس الدينية وتقديم القرابين.

فاليهود يتجهون إلى جهة القدس، حيث يتواجد الهيكل قبلتهم التي كانوا ولا يزالون يتجهون إليها في صلواتهم[1]، لما ورد في سفر الملوك الأول: [إِذَا خَرَجَ شَعْبُكَ لِمُحَارَبَةِ عَدُوِّهِ فِي طَرِيقِ الَّذِي تُرْسِلُهُمْ فِيهِ صَلَّوْا إِلَى الرَّبِّ نَحْوَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتَهَا وَالْبَيْتِ الَّذِي بَنَيْتُهُ لاسْمِكَ][2].

ويرى موسى بن ميمون بأن اختيارهم لجهة الغرب لسببين:

الأول: أن عبدة الأوثان كانوا يختارون الأماكن العالية لبناء هياكلهم أماكن عبادتهم، لذلك اختار إبراهيم عليه السلام جبل الموريا لكونه أعلى جبل هناك وأعلن فيه التوحيد، وخصص القبلة وحددها لعين المغرب، لأن قدس الأقداس يقع في الغرب من جهة هياكل الوثنيين التي تقع في جهة الغرب.

الثاني: امتثالا لما جاء في التوراة: [سكينة في الغرب]، كما أن اختيار إبراهيم عليه السلام لجهة الغرب حتى يستدبر الشمس التي كانت تعبد آنذاك، فكان الناس يستقبلون الشرق فاستقبل هو جهة الغرب، وتمييزه عليه السلام لموضع العبادة كان بالوحي، كما أنه كان معلوما لموسى عليه السلام لأن إبراهيم عليه السلام قد أوصاهم بأن يكون هذا بيت العبادة[3].

والاعتقاد في القبلة تجاه بيت المقدس تشكل العقيدة الخامسة في عقائد اليهود القرائيين على ما ذكره أحد حاخاماتهم وهو الحاخام يوسف إبراهيم يعطوب في كتابه "المرشد الأمين"، ومن أشد اعتقادهم في القبلة تجاه بيت المقدس جعلوا موتاهم أيضا متوجهين إليها وهم مدفونون تحت

---

[1]-حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص144. انظر أيضا: دوري غولد، القدس الحل الدائم في دراسة لمركز يافي، ص118.

[2]-سفر ملوك الأول 8: 44، 48.

[3]-موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، عرض وترجمة وتقديم حسين أتاي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دط، (1422هـ-2002م))، ص656-657.

الثرى[1]. ويعد الهيكل المكان الوحيد بلا منازع في إقامة الأعياد السنوية الكبرى، حيث يقصده الحجاج اليهود من كل أنحاء فلسطين ومن خارجها لأداء شعيرة الحج[2]. ففي فترة وجود الهيكل كان من الواجب على كل يهودي أن يقوم برحلة الحج إلى القدس ثلاثة مرات في العام لأداء فريضة الحج[3]. لما ورد في التوراة، حيث جاء في سفر الخروج: [ثَلاَثَةَ مَرَّاتٍ تُعَيِّدُ لِي فِي السَّنَةِ] [4]، وما ورد أيضا من السفر نفسه: [ثَلاَثُ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ يَظْهَرُ جَمِيعُ ذُكُورِكَ أَمَامَ السَّيِّدِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ][5]. ويكاد يكون اتفاق بين اليهود جميعهم على أداء فريضة الحج إلى الهيكل باستثناء فرقة السامريين التي يتجه أتباعها إلى جبل يقال له "عزيرم" بين بيت المقدس ونابلس، وذلك لأنهم يعتقدون بأن يهوه إلههم أمر داود عليه السلام بأن يبني الهيكل بجل نابلس وهو الطور الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام، غير أن داود عليه السلام خالف أمر الرب وبناه بالقدس[6].

وتاريخ اليهود يقرر ومنذ القرن 14 ق.م أنهم كانوا يحجون إلى الموضع الذي به تابوت العهد الموجود بالهيكل بالقدس، وكانوا لا يكتفون بحجة واحدة[7]. وفي هذا الحج يقوم اليهود بإحياء أعياد مرتبطة بالحج كعيد الفصح[8] الذي يعدونه حجا عاما، ومن شدة ارتباطهما ببعض، أصبحت

---

[1]-محمد أحمد محمود حسن، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، ص138.

[2]-سيدروس اليسوعي وآخرون، معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة: أنطونيوس نجيب (لبنان: دار المشرق، ط2، 1988م)، ص257-258.

[3]-دوري عولد، القدس في دراسة لمركز ياقي، ص118.

[4]-سفر الخروج 23: 14.

[5]-سفر الخروج 34: 23.

[6]-عبد الرزاق رحيم صلال الموحي، العبادات في الأديان السماوية، (دم: الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، 2001)، ص118.

[7]-المرجع نفسه، ص118.

[8]-عيد الفصح: ويسمى عيد "الفسح"، وهو المصطلح العربي المقابل للكلمة العبرية "بساح" التي تعني العبور. ويبدأ هذا العيد في 15 من شهر أفريل، ويستمر 7 أيام في فلسطين عند اليهودي الإصلاحيين، و8 أيام عند اليهود المقيمين خارج فلسطين، ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير، وهو أول أعياد الحج اليهودية الثلاثة، ويقام إحياء لعبور موسى بحر سوف وإنقاذه من العبودية ولعبور ملك العذاب فوق منازل العبرانيين دون المساس بهم. (انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص251).

المناسبتان وكأنهما مناسبة واحدة، وكعيد المظال[1] وعيد الأسابيع[2]. ويعد الاحتفال بعيد المظال والفصح بالمدينة المقدسة نقطة تحول مهمة في تاريخ التشريع اليهودي للحج، حيث انحسر التوجه والزيارة إلى المعابد المحلية لأداء فريضة الوجه[3]، وعليه يعد الهيكل أهم مكان تركزت فيه العبادة، فكان مزارا يقصده الحجاج اليهود للاحتفال بأعيادهم السنوية، أما في الوقت الحاضر فاليهود يتوجهون إلى "حائط المبكى"، حيث يقفون أمامه في صف طويل يضعون أيديهم على الحائط يبكون على هيكلهم الذي هدم[4].

2-حائط المبكى:

حائط المبكى ترجمة لتعبير "Wailing wal" الإنجليزي ويقابله في العبرية "كوتيل معرافي" أي الحائط الغربي[5].

وتعرف الموسوعة اليهودية الحائط الغربي: «بأنه جزء من جدار جبل الهيكل الذي ظل معطلا منذ تدميره الثاني عام 70م وأنه أضحى أكثر الأماكن قدسية في العادات والشعائر اليهودية بفعل قربهم من جدار الهيكل، ومن مقدسات جبل الهيكل»[6].

---

(1)-عيد المظال: (سوكوت): وهو ثالث أعياد الحج عند اليهود، ويبدأ في 15 من شهر أكتوبر، ومدته 7 أيام بعد عيد الغفران، ويقام إحياء لذكرى خيمة السعف، التي آوت العبرانيين في العراء أثناء الخروج من مصر، وكان هذا العيد في الأصل عيد زراعيا للحصاد ولهذا يسمى بالعبرية "حج ها آسيف" أي "عيد الحصاد". (المسيري، الموسوعة اليهودية، مج5، ص2666).

(2)-عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية، ص118-120.

عيد الأسابيع (شفعوت): وهو أحد أعياد الحج اليهودية الثلاثة، ويأتي بعد 7 أسابيع من عيد الفسح، ومن هنا تسميته ومدة هذا العيد يومان وهما 9-10 من شهر جوان، ويعد من أعياد الحصاد، وهو ليس عيدا زراعيا فحسب، بل يقام بمناسبة تاريخية وهي نزول التوراة والوصايا العشر على موسى بجبل سيناء. (انظر: الموسوعة اليهودية، مج5، ص2677).

(3)-سيداروس وآخرون، معجم اللاهوت الكتابي، ص257.

(4)-عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، المرجع السابق، ص122.

(5)-المسيري، الموسوعة اليهودية، مج4، ص1940.

(6)-نقلا عن جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية، التعريف اليهودي لحائط البراق، -دراسات وأبحاث تهتم بالقدس-، www. Aqsa-Mubarak- org.

وتضيف الموسوعة بأن: «هذا الجزء قد خصص للبكاء على انهيار المعبد اليهودي وعلى منفى شهب إسرائيل وإن أهميته تكمن في كونه يشكل شمعة تضاء من أجل إحياء الموروث الديني اليهودي في القرن العشرين، ويؤجج ذكريات المجد الإسرائيلي القديم، ويبعث الأمل في استعادته»[1].

ويعد هذا الحائط من أقدس الأماكن الدينة عند اليهود في الوقت الحاضر، ومنذ أن قضى الرومان على تمرد بركوخبا[2] ضدهم أصبح موقف الهيكل المهدم لا الحائط مركز تطلعات اليهود الدينية، غير أن تاريخ بداية إقامة الصلوات بالقرب من هذا الحائط غير معروف، فالمصادر المدراشية تشير إلى "حائط الهيكل الغربي" أو "الحائط الغربي" وهو حائط لا تغادره الحضرة الإلهية، وهو يتصف بالأزلية، وهو لم يتهدم ولن يتهدم، وعلى ذلك فالإشارة لم تكن إلى حائط المبكى وإنما إلى الحائط الغربي لقدس الأقداس، ولما كان الهيكل قد هدم فعلا، فقد أصبح الحديث ذو دلالات رمزية فحسب[3].

إن المصادر التي تحدثت عن يهود القدس (حتى القرن 16م) تشير إلى ارتباط اليهود بموقع الهيكل لا بالحائط، ولا توجد أية إشارة إليه، ضف إلى أن الكاتب اليهودي "نحما نيدس" (ق13م) عند وصفه التفصيلي لموقع الهيكل عام 1227م لم يورد له ذكر للحائط الغربي، كما لم يأت له ذكر في المصادر اليهودية التي تصف القدس حتى القرن 15م. وعليه، وكما يذكر عبد الوهاب المسيري في موسوعته بأن الحائط أصبح محل قداسة خاصة ابتداء من 1520م عقب الفتح العثماني وبعد هجرة يهود المرانو[4] ذوي النزعة الحلولية المتطرفة في اليهودية، وهذا ما يفسر بداية تقديس الحائط، ذلك بأنهم يرون بأن الحلول الإلهي إنما يتجلى في كل كبيرة وصغيرة، وفي صورة تقديس الأماكن والأشياء

---

[1] –نقلا عن جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية، التعريف اليهودي لحائط البراق، –دراسات وأبحاث تهتم بالقدس–، www. Aqsa-Mubarak- org.

[2]–بركوخبا: عبارة آرامية؛ تعني النجم، وهو اسم ذو دلالة ماشيحانية، أطلقه الحاخام عقيبا بن يوسف على سيمون زعيم التمرد اليهودي ضد الرومان باعتباره الماشيح. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج4، ص63.

[3] –المرجع نفسه، ص1940.

[4]–يهود المرانو: أطلقت هذه الكلمة على اليهود المتحفين في إسبانيا والبرتغال الذين تراجعوا ظاهريا عن اليهودية وادعوا اعتناق الكاثوليكية حتى يتمكنوا من البقاء في شبه جزيرة إيبريا مع تراجع الحكم الإسلامي، وبعد طرد يهود البرتغال وإسبانيا، كما أطلق عليهم أيضا "المسيحيون الجدد". المرجع نفسه، مج2، ص545.

من تماثل وأحجبة وحوائط، ومنه بدأ تقديس الحائط الغربي، كما أنه قد يكون تشبه اليهود بالمسلمين فيما يخص الكعبة والحجر الأسود[1].

وسرعان ما احتذب الحائط أساطير كثيرة، إذ تم ربطه بأقاويل من التلمود، وقد قال عنه الحاخامات بأن الحضور الإلهي لم يهجره أبدا، وأن الله تعهد بحفظه مدى الدهر، ومنذ ذلك بدأ اليهود في خلع أحذيتهم عند الدخول للمكان، لاعتقادهم بالحلول الإلهي فيه، وقد كتب القرائي موشيه بيرو شالمي عام 1685م بأن الحائط تسكنه قداسة عظيمة، وهي قداسة أصلية ارتبطت به منذ الأمد البعيد، وإلى الأبد، وهكذا أصبح الحائط رمزا للمقدس عند اليهود[2].

أما توجه اليهود عند إقامتهم للشعائر لم تكن واضحة على وجه الدقة، على ما تذكره الموسوعة اليهودية، وتذهب الموسوعة إلى أن اليهود قد استندوا في تحديد المكان المخصص لأداء شعائر العبادة إلى تفسيرات يهودية مختلفة المصادر، فحدد الجزء المجاور للبوابة الغربية هو الجزء الأكثر قدسية ضمن الحائط لعدم تعرضه للهدم كباقي أجزاء الحائط الأخرى، وتشير الجماعات الحاخامية إلى عدم تعرض هذا الجزء للتدمير ليضفي عليه صفة القداسة، كما تعتقد بأن هذا الجزء غير قابل للهدم[3].

لقد تعمق إيمان اليهودي وارتباطه بالحائط في القرن 19م، وبدأ الحائط يظهر في فلكلور الجماعات اليهودية، وبذلك ترسخت صورة الحائط في الوجدان اليهودي الصهيوني[4].

وقد اتخذت الصهيونية من هذا الحائط منطلقا لدعوتها، حتى أن بعضهم زعم أن الحائط هو بقية من سور داود، وقال آخرون بأنه جزء من حائط سليمان، ورده البعض الآخر إلى عهد المكاديين أو هيرودس، وقد يرجع إلى أكثر تقدير إلى زمن هيرودس؛ أي فترة المسيح عليه السلام على ما ذكره حسن ظاظا[5].

---

(1) –المسيري، الموسوعة اليهودية، مج2، ص1940.

(2) –نقلا عن جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية: www. Aqsa- Mubark.org

(3) –كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر، محمد عناني، (دم: در، دط، 1998)، ص532.

(4) –عبد الوهاب المسيري، الموسوعة، مج4، ص1940.

(5) –حسن ظاظا، القدس، (المملكة العربية السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، دط، دت)، ص33.

وقد أخذ التنامي في الإيمان بالحائط يزداد شيئا فشيئا حتى بدأ الحائط يأخذ بعدا دينيا وطنيا لـ(دولة إسرائيل). فقد شغل مكانا مهما في الديانة الوطنية، فأصبح مكانا دينيا وسياسيا واجتماعيا ليس للإسرائيليين فقط، بل بالنسبة لليهود في المنفى والشتات[1].

أما من حيث وصف الحائط، فهو يقوم على ارتفاع ثمانية عشر مترا عن سطح الأرض، الستة أمتار الأولى منها مبنية بحجارة ضخمة مستطيلة الشكل، كالتي يعثر عليها في أساسات الحائط، يضاف إليها من فوق 14 سطرا من حجارة أصغر تبدو أنها من عصر متأخر جدا، والقرن 12م، وما بعده قصد بإضافتها تعلية الحائط، وأساس السور المطمور تحت الأرض يتشكل من 19 سطرا من الحجارة المستطيلة الضخمة، ويمكن رؤية هذا الأساس من الكهف الملاصق للحائط من جهة الشمال، أما بقية السور من الجهة الغربية، فقد اندثرت إلا بعض النتوءات التي تبرز من مسافة لأخرى، وهناك من جهة الجنوب يوجد 12مترا مشكلة الضلع الجنوبي، ولا يزال بارزا، وهي بقية العقد المقوس الذي كانت فوقه القنطرة من جبل صهيون إلى الهيكل[2].

وتدل الأبحاث الحديثة أن حدود الحائط تتفق مع حدود ساحة هيكل سليمان، ويظن أن بعض المداميك من الحائط لا تزال مدفونة تحت الحائط[3].

أما القسم من الحائط الذي كان محل خلاف بين المسلمين واليهود هو عبارة عن ثلاثين مترا من الحائط الخارجي، ويمتد أمام هذا القسم من الحائط رصيف لا يستطيع المرء سلوكه إلا من زقاق ضيق مبتدئا من باب السلسلة ممتدا جنوبا إلى حائط آخر، ويفصل هذا الحائط بخط مستقيم ورصيف حائط المبكى عن بضعة بيوت عربية وعن موقع مسجد البراق في الجهة الجنوبية، ويقوم عند الرصيف من طرفه الشمالي حائط ثالث فيه باب يفصل هذه الجهة عن الفناء المتواجد أمام مقر الحاج أمين الحسيني، غير أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي قامت بمصادرته وتحويله إلى كنيس يهودي[4].

ولا يزال اليهود خاصة المتدينين منهم يقصدون مكان الحائط لأداء شعائر العبادات وقراءة

---

[1]-Jaque Potin, Jerusalem, -Juifs, chrétiens et musulmans en cœur d'une ville unique-, (Paris, Bayard Etions/ Centurion, 1995), p111- 113.

[2] -حسن ظاظا، مرجع سابق، ص33.

[3] -فايز فهد جابر، القدس ماضيها، حاضرها ومستقبلها، (عمان: دار الجيل، ط1، 1985)، ص25.

[4] -المرجع نفسه، ص25-26.

التوراة وإحضار اللفائف يكتبون عليها التماساتهم ويدخلونها بين الأحجار لاعتقادهم بأنها ستبقى باستمرار تحت نظر الرب، كما كان بكاؤهم عند الحائط، ذلك لأن هذا الأخير كان تذكرة لهم بتدنيس معبدهم، كما كانوا ببكائهم على الحائط يأسون على كل شيء فقدوه في الماضي والحاضر[1].

3-مغارة المكفيلة:

يقدس اليهود مكان المغارة لتواجد أضرحة الأباء بها، ويقيم عليها الآن مسجد الحرم الإبراهيمي الشريف، والمغارة على زمن الخليل عليه السلام كانت في صحراء و لم يكن هناك بناء، وقد كان عليه السلام يقيم في ممري بلوطات[2]، فقد ورد في سفر التكوين: [فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُوطَاتِ ممرَةَ الَّتِي فِي حَبْرُونَ وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ][3]. وماتت زوجته سارة هناك عندها اشترى إبراهيم عليه السلام مغارة المكفيلة لتكون قبرا لها، وقد اشتراها من الحثيين على ما ذكره سفر التكوين[4]، حيث جاء: [وَكَانَتْ حَيَاةُ سَارَةَ مِائَةً وَسَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً سِنِي حَيَاةُ سَارَةَ، وَمَاتَتْ سَارَةُ فِي قَرْيَةِ أَرْبَعٍ الَّتِي هِيَ حَبْرُونَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، فَأَتَى إِبْرَاهِيمُ لِيَنْدُبَ سَارَةَ وَيَبْكِيَ عَلَيْهَا، وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَمَامِ مَيْتِهِ وَكَلَّمَ بَنِي حِثٍّ، أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ لأَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي... فَوَجَبَ حَقْلُ عَفْرُونَ الَّذِي فِي الْمَكْفِيلَةِ الَّتِي أَمَامَ ممرَ الْحَقْلِ وَالْمَغَارَةِ الَّتِي فِيهِ... وَبَعْدَ ذَلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَأَتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ الَّتِي هِيَ فِي حَبْرُونَ أَرْضِ كَنْعَانَ][5].

وقد استمر حال المكان على ما هو عليه بعد وفاة إبراهيم عليه السلام وأبنائه -عليهم السلام- إلى أن بنى سليمان عليه السلام السور على القبور الشريفة[6].

ويولي اليهود هذا المكان اهتماما كبيرا ويحظى بقداسة خاصة لاحتوائه على أضرحة الأنبياء عليهم السلام كإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وهو من المقدسات اليهودية ذات الصلة الدينية، التي يتمسك اليهود بها.

---

(1) -كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص532-533.

(2)-مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج2، ص139.

(3)-سفر التكوين 13: 18.

(4)-جون ماكنزي وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص286.

(5)-سفر التكوين 23: 1-19.

(6)-مجير الدين الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص139.

المبحث الثاني: قدسية أرض فلسطين في المسيحية

لم تقتصر قداسة أرض فلسطين عند أتباع الديانة اليهودية فحسب، بل حظيت بقداسة خاصة عند أتباع الديانة المسيحية أيضا، فما هي أسس قداسة هذه الأرض عندهم؟ هذه المنطقة التي عرفت اهتماما بالغا خاصة زمن الحروب الصليبية التي وصل النزاع من أجلها إلى أوجّه.

فأتباع الديانة المسيحية يقدسون أرض فلسطين لأنها المكان الذي ولد ونشأ فيه المسيح، وهو ما سنتناوله كمطلب أول، كما أنها المكان الذي انبعثت منه دعوة المسيح، وهو ما سنتناوله كمطلب ثان، وهي أيضا المكان الذي صلب فيه، والذي سيعود إليه العودة الثانية آخر الزمان، وهو ما سنتطرق إليه في المطلب الثالث، كما أنها مقدسة أيضا لاحتوائها على أهم مقدساتهم وهو ما سنتطرق إليه في المطلب الرابع من هذا المبحث.

المطلب الأول: أرض ولادة المسيح عليه السلام ونشأته

ينظر المسيحيون إلى فلسطين على أنها المكان الذي ولد فيه المسيح لبيت لحم، وعاش وترعرع ما بين الناصرة والجليل، وغيرها من الأراضي الفلسطينية[1].

فالمصادر المسيحية (الأناجيل)* تذكر بأن ولادة المسيح كانت ببيت لحم بأرض فلسطين، فقد ذكر إنجيل لوقا ومتى ما يفيد بأن مكان مولد المسيح عليه السلام ببيت لحم القائمة على بعد أميال جنوبي أورشليم، ثم يقولان بأن أسرته انتقلت بعدها إلى الناصرة بالجليل، أما مرقس في إنجيله فلا يذكر بيت لحم، كما أنه لا يذكر المسيح باسم "يسوع الناصري"[2].

---

[1] –رفيق النتشة، القدس في المسيحية والإسلام، (دم: در، ط1، 1992)، ص5. انظر أيضا: إنجيل متى 2: 1–3، لوقا 2: 8–15.

* –كما يذهب برنابا أيضا في إنجيله مذهب متى ولوقا في أن ولادة المسيح كانت ببيت لحم. أما مرقس ويوحنا فلا يذكران ولادة المسيح عليه السلام. انظر: إنجيل برنابا، فصل 3: 3–7. تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، (الكويت، دار القلم، دط، 1403هـ–1983م).

[2] –ول ديورنت، قصة الحضارة، ج11، ص213.

وعلى هذا، كانت ولادة مريم لابنها المسيح عليه السلام ببلدة بيت لحم، وذلك بعد ذهابها لتسجيل اسمها مع يوسف خطيبها لسجل الإحصاء الذي أمر به أغسطوس، حيث أمر إجراء إحصاء عام في كامل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، فكان أن تمت أيام وضعها وولدت ابنها المسيح عليه السلام في كهف خارج البلدة، لتعذر ولادتها بالبلدة المكتظة بالوافدين للإحصاء[1].

جاء في إنجيل لوقا: [وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ مَرْسُومٌ مِنْ أَغُسْطُسَ بِإِجْرَاءِ تَسْجِيلٍ لِسُكَّانِ العَالَمِ كُلِّهِ... وَمِنْ ثَمَّ ذَهَبَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ الَّتِي بِالجَلِيلِ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ المُسَمَّاةِ بَيْتَ لَحْمَ اليَهُودِيَّةِ... لِيُسَجِّلَ اسْمَهُ مَعَ مَرْيَمَ خَطِيبَتِهِ الَّتِي كَانَتْ حُبْلَى وَفِيمَا كَانَ هُنَاكَ حَانَ مَوْعِدُ وِلاَدَتِهَا فَوَلَدَتِ ابْنَهَا البِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي مِذْوَدٍ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَكَانٌ فِي الفُنْدُقِ] [2].

جاء في تفسير هذا النص بأن ولادة المسيح في بيت لحم مدينة داود هو تحقيقا لنبوة ميخا النبي[3]، إذ قال: [أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا مِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي سَيَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ القَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ] [4].

كما تتأكد ولادة المسيح أيضا بما يؤكده الرعاة أن المولود الذي بشرهم به الملاك هو المخلص الذي ينتظرونه، والذي كانوا يعلمون من النبؤات أنه سيجيء من نسل داود ويولد في بيت لحم التي كانت هي مدينة داود[5]، ويتأكد مكان الولادة بذهاب الرعاة إلى مكان الولادة قد جاء في إنجيل لوقا: [هَلُمُّوا الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمَ لِنَنْظُرَ الحَدَثَ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ الرَّبُّ] [6].

كما ورد أيضا ما يؤكد ولادة المسيح ببيت لحم ما جاء في إنجيل متى: [وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمَ اليَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ المَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ المَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ أَيْنَ هُوَ المَوْلُودُ مَلِكُ اليَهُودِ، فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَتَهُ فِي المَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ المَلِكُ اضْطَرَبَ

---

(1) –بولس إلياس اليسوعي، خلاصة الدين المسيحي، (بيروت: دار المشرق، ط2، 1987م)، ص23.

(2) –لوقا: الإنجيل القديس لوقا، فصل 2: 1–4، فقرة 1–7، (القاهرة: دار المعارف، دط، 1978)، ص28. إنجيل لوقا 2: 6–1

(3) –لوقا: الإنجيل، ص167.

(4) –سفر ميخا 5: 2.

(5) –لوقا، المصدر السابق، ص168. انظر أيضا: Anomyme. la vie humaine de jesus –chrits (Paris. A. la hure. 1927). T1. p44-47.

(6) –لوقا، المصدر نفسه، ص29. إنجيل لوقا 2: 15–17.

وَجَمِيعُ أُورَشَلِيمَ مَعَهُ فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ وَسَأَلَهُمْ أَيْنَ يُولَدُ المَسِيحُ فَقَالُوا لَهُ فِي بَيْتَ لَحْمِ اليَهُودِيَةِ] [1].

وبهذا يذكر دانيال روبس تعليقا له عما ورد في إنجيل متى:[فَفِيمَا كَانَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُ وَضْعِهَا] بقوله:"بأن الإنجيل لا يورد ذكرا للمغارة غير أن أقدم التقاليد تثبت أن يوسف عندما نزل بمريم نزل بها عند تلك الكهوف ولا يزال يشاهد مثلها كثير من أرض فلسطين، فإن آكامة بيت لحم مخرقة كلها بمثل تلك المغاور التي كانت تستخدم زرائب للمواشي»[2].

ومن المسلمين من يذهب إلى القول بهذا الرأي بأن المسيح ولد ببيت لحم كما هو وارد في المصادر الدينية المسيحية[3]، ومن المسلمين المحدثين من يقولوا بأنه ولد بالناصرة، ويستدلون على ذلك بنسبته إليها "الناصري"[4].

غير أن أصحاب هذا الرأي القائل بولادته ببيت لحم يقولون بأن تسميته بيسوع الناصري إنما هي لا ترجع إلى مولده بالناصرة، وإنما ترجع إلى إقامته بها، وقيامه بالدعوة فيها، وكذلك إلى ما نسب إليه من معجزات في بحيرة طبرية التي تقع الناصرة عليها[5].

كما أن شارل جنيبير يرجع بتسميته الناصري في غالب الظن للمعنى الناظر، أي قديس الله[6].

---

[1] –إنجيل متى 2: 1-3.

[2] –دانيال روبس، يسوع في زمانه، ترجمة: الحديث باشا البولسي، (لبنان: المطبعة البولسية، جنين، دط، 1969م)، ص32.

[3] –علي بن حسين بن علي المسعودي، مروج الذهب والمعادن والجوهر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (دم: دار الفكر، ط3، (1365هـ–1973م))، ج1، ص63. انظر أيضا: محمد بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار بقلم أفرام البستاني، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، دط، (مزيدة ومنقحة)، 1937م)، ص31.

[4] –عباس محمود العقاد، موسوعة عباس محمود العقاد، (بيروت: دار كتاب اللبناني، ط1، 1978)، ج11، ص281. انظر أيضا: أحمد شلبي، المسيحية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1984م)، ص91.

[5] –محمد حسين هيكل، الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة في الشرق الأوسط، (دم: دار الهلال، دط، 1961)، ص187.

[6] شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، (القاهرة: دار المعارف، دط، دت)، ص34.

وعلى هذا الأساس وبناء على ما تقرر في الأناجيل فولادة المسيح عيسى عليه السلام كانت ببيت لحم بأرض فلسطين أقرب من القول بأنه ولد بالناصرة.

نشـــــأته:

أما نشأة المسيح عيسى عليه السلام الأولى فهي مجهولة، لأن الأناجيل جاءت بعضها ينقض بعضا وفي إنجيل لوقا يذكر بأن نشأة المسيح بأرض الناصرة[1]: [وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ... وَلَمَّا أَكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ نَامُوسِ الرَّبِّ رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ النَّاصِرَةِ، وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ مُمْتَلِئًا حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ] [2].

بينما نجد أن متى يذكر بأن نشأة المسيح كانت بأرض مصر، حيث انتقل به يوسف من فلسطين إلى أرض مصر خوفا عليه من كيد هيرودس بإهلاكه، حيث تراءى له الملاك في الحلم يخبره بذلك، جاء في إنجيل متى: [وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا إِذْ مَلاَكُ الرَّبِّ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ] [3].

غير أن كلا من مرقس ويوحنا في إنجيليهما لم يتعرضا إلى نشأة المسيح، هذا ويذكر عبد الغفور عطار بأن كثيرا من علماء المسيحيين اعترفوا بالخطأ الوارد في إنجيل متى القائل بانتقال عيسى عليه السلام إلى أرض مصر، فقد سلم نورتن المحامي في جميع إصحاح متى الثاني بالاختلاف الذي فيه، حكم بأن متى غلط وأن ما حكاه لوقا هو الصحيح[4].

---

(1) -عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، ج3، ص54.

(2) -إنجيل لوقا 2: 23، 29-44.

(3) -إنجيل متى 2: 13-15.

(4) -عبد الغفور عطار، المرجع السابق، ج3، ص58.

وعليه، تكون نشأة المسيح عليه السلام كما قررها إنجيل لوقا بأرض فلسطين بالناصرة نشأة ينمو ويتقوى فيها بالعلم والحكمة نعمة من الله.

ويحتفل المسيحيون بأسبوع عيد الميلاد، حيث يبدأ الحجاج بالسير في موكب كل ليلة من بيت لحم إلى أورشليم تتبعا واقتفاءً لخطى المسيح، يستحضرون معها ذكريات المسيح من ولادته ودعوته حتى آخر أيامه بهذه الأرض المقدسة[1].

ومن هنا جاءت نظرة المسيحيين بالتقديس لأرض فلسطين لأن بيت لحم المدينة التي حفلت بولادة المسيح عيسى عليه السلام ونشأ وترعرع بينها وبين الناصرة والجليل، وغيرها من الأراضي الفلسطينية.

المطلب الثاني: أرض انبعاث دعوة المسيح عليه السلام وصلبه

تمثل أرض فلسطين المحيط الأول الذي انبعثت منه دعوة المسيح مبتدئا بالناصرة، حيث قضى الجزء الأكبر من حياته إلى أن بلغ الثلاثين من عمره، حيث تبدأ معه مرحلة جديدة، مرحلة طاعة وصلاة ومرحلة استعداد للرسالة، اختلى ببرية الأردن مدة أربعين يوما ليعلن بعدها أنه رسول أرسله الله إلى العالم ليدعو بإنجيل التوبة ومغفرة الخطايا[2].

جاء في إنجيل لوقا: [وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوَ ثَلاَثِينَ سَنَةً وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يَظُنُّ ابْنُ يُوسُفَ ابْنُ هَالِي...][3]. وفي الإصحاح الرابع من الإنجيل نفسه جاء: [أَمَّا يَاسُوعُ فَرَجَعَ إِلَى الأُرْدُنِ مُمْتَلِئاً مِنْ رُوحِ الْقُدُسِ وَكَانَ يَقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ][4].

---

[1] –كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص335.

[2] –بولس إلياس اليسوعي، خلاصة الدين المسيحي، ص27. انظر أيضا: علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (القاهرة: دار النهضة، دط، دت)، ص80. انظر أيضا: أحمد شلبي، المسيحية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1984)، ص50.

[3] –إنجيل لوقا 3: 23.

[4] –إنجيل لوقا 4: 1-2.

كما جاء أيضا في إنجيل متى الإصحاح الرابع: [وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسْبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ وَأُكَرِّزُ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ] [1].

لقد كانت دعوة المسيح بعدما تلقى شعيرة التعميد من يوحنا المعمدان بنهر الأردن[2] ولما انتقل إليه خبر اعتقال صاحبه المعمدان اتجه إلى الجليل وبدأ في بث دعوته مستجمعا معه من آمنوا بدعوته، حيث اتخذ منهم تلاميذ وحواريين[3].

فبعد سجن يوحنا أخذ المسيح عيسى عليه السلام يقوم بعمل يوحنا المعمدان ويخطب في الناس مبشرا بملكوت الله[4].

جاء في إنجيل لوقا: [وَرَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ وَخَرَجَ خَبَرٌ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ مُتَمَجِّدًا مِنَ الْجَمِيعِ] [5].

ودعوة المسيح عليه السلام كانت في بدايتها موجهة إلى اليهود على التحديد، لذلك كانت تحركاته مع أتباعه تتجه نواحي أرض فلسطين وتتبع الأماكن التي كان يسكنها بنو إسرائيل، ومبشرة بالدعوة التقويمية[6]، ودعوة المسيح عليه السلام إنما كانت تجديد لسلسلة أنبياء بني إسرائيل التي كان يحنا المعمدان من قبله يحاول أن يصل حلقاتها، غير أن دعوته عليه السلام قد اختلفت عن دعوة المعمدان في أسلوب التبشير فتخلى عن أسلوب العنف في الخطابة، غير أنه لم يخرج عن المبادئ الأساسية لدعوة

---

(1) – إنجيل لوقا 4: 16-19. انظر أيضا: إنجيل متى 4: 23-25.

(2) –عشراتي سليمان، الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية، ص168.

(3) – عشراتي سليمان، العقيدة الإنجيلية وجدلية الانفتاح والانغلاق، (وهران: الشبكة المغاربية لإدماج العلم والتكنولوجيا في التنمية، دط، دت)، ص7.

(4) – ول ديورنت، قصة الحضارة، ج11، ص218.

(5) إنجيل لوقا 4: 14-15.

(6) عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص8.

الأنبياء[1].

وجاءت دعوة المسيح عليه السلام قائمة على الزهد في الحياة والإيمان باليوم الآخر، باعتبارهما الهدف الأسمى للإنسان في هذه الدنيا، فكانت دعوة روحية بعيدة كل البعد عن النزعات المادية التي غلبت على اليهود الذين جاء المسيح مبشرا بينهم بالحياة الآخرة التي أنكروها، حتى أن توراتهم جاءت خلوا من ذلك[2]، فهو لم يتحدث بلغة اليهود التي كانوا ينتظرونها منه، فقد كان يدعو إلى التأمل والإيمان العميق بالله وحب الغير والتواضع[3]. جاء في إنجيل لوقا مخاطبا المؤمنين به: [لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ...][4].

غير أن اليهود كانوا ينتظرون من دعوته إلى الصراع المسلح الأخير قبل الانتصار الخالد كما ينتظره اليهود، و لم يتعصب إلى قومه بل كان عنده الكل سواء، فكان يتحدث عن سائر الأمم، الشيء الذي جعل دعوته عليه السلام مقتصرة على عدد قليل، فلم يتبعه إلا القليل من أهل فلسطين، الذين كانوا ينتظرونه بشوق، حيث سيجيء معه الانتصار الموعود[5].

هذا وكانت الفئة الدينية من المجتمع الفلسطيني ترى فيه أنه يمثل خطرا عليهم وعلى مصالحهم، فقد كانوا يتخوفون من انتشار دعوته بين الشعب التي ستلفت أنظار الرومان إليها، وهذا من شأنه أن يعكر صفو وراحة بال أهل المعبد، كما كانوا يخافون دعوة المسيح، لأنها أظهرت عيوبهم التي من شأنها أن تضعف مركزهم وتحط من شأنهم أمام الشعب[6]، وأمام هذا الخطر الذي حملته دعوة المسيح عليه السلام ومطاردة رجال الكهنوت له أدى إلى خروجه من القدس إلى الجليل، حيث واصل دعوته وحملته ضد الكهنة وطقوسهم، حين بلغ الأمر أشده عاد منها إلى القدس، وكانت قد زادت

---

(1)-شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص48-49.

(2) - محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص85.

(3)-شارل جنيبير، المرجع السابق، ص56-57. انظر أيضا: محمود الشرقاوي، الدين والضمير، (القاهرة: دار العلم للملايين، ط1، 1998)، ص72.

(4)-إنجيل لوقا 6: 27-36.

(5)-شارل جنيبير، المرجع السابق، ص57.

(6)-عبد الرحمن أبو عرفة، القدس تشكيل جديد للمدينة، ص18.

معارضة الكهنة حتى وصل الأمر إلى قلب النظام ضده، الأمر الذي أدى إلى وضع حد لحياته[1].

ولما لم يجد اليهود في دعوة المسيح عليه السلام ما ينتظرونه منه، رغم تبشير أنبياء بني إسرائيل بمجيئه، مما أثار غضبهم وسخطهم، ولم يؤمن به إلا القليل منهم، خاصة وأنهم انتظروه مسيحا يبسط سلطانهم وملكهم على العالم أجمع، والمسيح عليه السلام لم يكن كذلك، إذ لم تكن دعوته سوى إصلاحا خلقيا ودينيا، ولهذا لم يثر حفيظة الرومان عليه، غير أن كذب اليهود عليه أوصله للمصير الذي قضى بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام صلبا[2].

وإنهاء لحالة الفوضى التي كان يثيرها بدعوته على حد قول رجال الدين اليهود، ووشوا به للحاكم الروماني بيلاطس الذي أمر بالقبض عليه ومحاكمته، التي انتهت حسب ما يعتقده المسيحيون بصلبه[3].

جاء في إنجيل متى: [وَبَعْدَمَا اسْتَهْزَءُوا بِهِ وَنَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ أَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلِيبِ، وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قِيرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ وَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ، وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجَثَةُ وَهُوَ الْمُسَمَّى مَوْضِعَ الْجُمْجُمَةِ، أَعْطَوْهُ خَلاًّ مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ، وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ، وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا...][4].

بعد محاكمته مضوا به إلى الموضع الذي يدعى الجمجمة[5] حيث خصص هذا المكان لأولئك الذين يحكم عليهم بالموت، ويطلق عليه بالعبرية (الجلجثة)، وهي صخرة قديمة حيث أقيم حكم الصلب على المسيح[6]، وموضع الجمجمة هو موضع الجلجثة حيث صلب المسيح هناك، وهو بالقرب من مدينة القدس، لكنه خارج أسوار المدينة[7]، ولقد جاء ذكر مكان صلب المسيح بأنه

---

(1)- شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص85.

(2)- أحمد شلبي، المسيحية، ص53-54. انظر أيضا: محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص96.

(3)- شارل جنيبر، المرجع السابق، ص60.

(4)- إنجيل متى 31: 35.

(5)- الجمجمة: هو موضع بالقرب من القدس. جون طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص267.

(6)- بوحنا قورز بورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشراوي (الأردن: دار الشروق، ط1، 1997)، ص62.

(7)- جون طمس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص267.

الجمجمة باتفاق الأناجيل الأربعة على ذلك، فقد جاء في إنجيل لوقا: [وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى جُمْجُمَةَ صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبُونَ وَاحِدًا عَلَى يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ][1]. وجاء أيضا في إنجيل يوحنا ما يؤكد ذلك: [خَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ جُلْجُثَةَ حَيْثُ صَلَبُوهُ وَصَلَبُوا مَعَهُ اثْنَيْنِ...][2].

ويعتقد المسيحيون بأنه عندما صلب المسيح انشقت الصخرة التي صلب عليها من الوسط، حيث نزل عليها دمه الذي فاض من الشق وجرى إلى الأجزاء المنخفضة، حتى وصل قبل آدم، وغرق في دمه المسيح، وبذلك طهر من الخطيئة[3]. ومنذ تلك اللحظة تكرست المسيحية كديانة، وكان للقدس المكانة الخاصة الروحية لدى المسيحيين، فهي الأرض التي شهدت فترة شباب المسيح عليه السلام وحفت بدعوته، حيث جاب أرض فلسطين مبشرا وداعيا وهي الأرض التي شهدت نهاية حياته[4].

وعلى هذا تكون أرض فلسطين أرض مقدسة لدى المسيحيين، لأنها الأرض التي شهدت ذكريات منذ ولادته ودعوته، فكانت بذلك الأرض التي نشأت فيها المسيحية ومنها انتشرت، كما أنها الأرض التي انتهت بها حياته بإقامة حكم الصلب عليه -على اعتقاد المسيحيين-، كما أنها الأرض التي ستشهد عودته الثانية.

المطلب الثالث: أرض عودة المسيح

تشكل عقيدة المجيء الثاني في المسيحية أحد أهم الأركان الأساسية في الإيمان المسيحي، ويؤمن المسيحيون بأن ملكوت الله يوجد على الأرض في هذا الزمن من خلال شعبه المؤمن به، ويجعله ملكا على حياته، وسيعلن ملكه بقوة بالمجيء الثاني للمسيح[5]، واعتقاد المسيحيين بالمجيء الثاني للمسيح، هو أملهم الذي انتظروه منذ صعوده إلى السماء من قبره، ففي أعمال الرسل ورد أنه:

---

(1)- إنجيل لوقا 33.

(2)- إنجيل يوحنا 14: 17-18. انظر أيضا: إنجيل مرقس 17: 22. إنجيل متى: 31.

(3)- يوحنا قورز بورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص63.

(4) عبد الرحمن أبو عرفة، القدس تشكيل جديد للمدينة، ص18. انظر أيضا: رفيق النتشة، القدس في المسيحية والإسلام، ص6.

(5) إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ص187.

[بَيْنَمَا التَّلاَمِيذُ وَاقِفِينَ يَشْخصُونَ إِلَى السَّمَاءِ يُرَاقِبُونَ المَسِيحَ وهُوَ يَخْتَفِي عَنْهُمْ، وَالسَّحَابَةُ تَأْخُذُهُ عَنْ عُيُونِهِمْ، وَإِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ وَقَالاَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الجَلِيلِيُّونَ مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ، إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ] [1].

ولقد كان المسيحيون الأوائل يترقبون مجيئه عن قريب، حتى أنّ التحية المعروفة التي كان يرددها بعضهم لبعض "ماران آثا"، وهي كلمة آرامية تعني "ربنا آت"، فكانوا يتوقعون مجيئه بسرعة[2]، جاء في رؤيا يوحنا الاهوتي: [وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ][3]، وتوقع المجيء الثاني للمسيح كان من أهم المواضيع التي تطرق لها الإنجيل، فلا يخلو سفر من أسفاره من الحديث عن مجيئه[4]، ومنه ما جاء في إنجيل يوحنا: [أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ، حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا] [5].

ومنه أيضا ما ورد في النصوص التي تحدد موعد المجيء الثاني للمسيح، جاء في إنجيل متى: [فَمَنْ هُوَ العَبْدُ الأَمِينُ الحَكِيمُ الذِي أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الطَّعَامَ فِي حِينِهِ، طُوبَى لِذَلِكَ العَبْدِ الذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هَكَذَا، الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ، وَلَكِنْ إِنْ قَالَ ذَلِكَ العَبْدُ الرَّدِيءُ فِي قَلْبِهِ سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومُهُ، فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ العَبِيدَ رُفَقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ السُّكَارَى، يَأْتِي سَيِّدُ ذَلِكَ العَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا فَيَقْطَعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ المُرَائِينَ هُنَاكَ يَكُونُ البُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ] [6].

وما ورد أيضا في إنجيل لوقا: [وَإِذَا كَانُوا يَسْمَعُونَ هَذَا عَادَ فَقَالَ مَثَلاً بِأَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ أُورْشَلِيمَ وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ عَتِيدٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي الحَالِ فَقَالَ رَجُلٌ شَرِيفُ الجِنْسِ ذَهَبَ إِلَى

---

[1]- سفر أعمال الرسل، 1: 10-11.

[2]- المقدساسس للكتاب: W.W.W. bbie. Org/ arabic

[3]- سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي 15: 11.

[4]- إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ص187.

[5]- إنجيل يوحنا 14: 3.

[6]- حبل متى 24: 45-51.

كُورَةٍ بَعِيدَةٍ لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مُلْكًا وَيَرْجِعُ] [1]. وغيرها من النصوص التي تتضمن المجيء الثاني للمسيح الذي لن يكون حدثا سريا، إذ أنه سيأتي كالبرق يخرج من المشارف ويظهر إلى المغارب كما تسبقه طلبة الشمس والقمر وتسقط النجوم هذه هي علامات مجيئه المتنبأ عنها في إنجيل متى[2]: [وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ وَقُوَّاتُ السَّمَاءِ تَتَزَعْزَعُ وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابَةِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَبِيرٍ] [3].

ووفقا لما ورد في إنجيل متى (31-36)، فإنه بعد المجيء الثاني سيقوم المسيح عرشه ثم يدين الأمم ويعزل المخلصين عن غير المخلصين الذين يعبر عنهم متى بالجداء الذين يطرحون في النار التي لا تفنى، أما الخراف الذين أخلصوا بالإيمان يظهرون في ذلك الوقت بأعمالهم التي تعبر عن طبيعتهم الممثلين في القديسين الذي يستحقون الدخول إلى الملك الألفي الذي يتصل بالمجيء الثاني وهو ما يلاحظ في سفر حزقيال حيث أن الإسرائيليون المؤمنون هم من يدخلون أرض الميعاد[4]، [حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ إِنِي بِيَدٍ قَوِيَّةٍ وَبِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِسَخَطٍ مَسْكُوبٍ أَمْلِكُ عَلَيْكُمْ وَأُخْرِجُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ وَأَجْمَعُكُمْ مِنَ الأَرَاضِي الَّتِي تَفَرَّقْتُمْ فِيهَا بِيَدٍ قَوِيَّةٍ وَبِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِسَخَطٍ مَسْكُوبٍ وَآتِي إِلَى بَرِّيَّةِ الشُّعُوبِ وَأُحَاكِمُكُمْ هُنَاكَ وَجْهًا لِوَجْهٍ كَمَا حَاكَمْتُ آبَائِكُمْ فِي بَرِّيَّةِ أَرْضِ مِصْرَ كَذَلِكَ أُحَاكِمُكُمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ وَأُمِرُّكُمْ تَحْتَ العَصَا وَأُدْخِلُكُمْ فِي رِبَاطِ العَهْدِ وَأَعْزِلُ مِنْكُمُ المُتَمَرِّدِينَ وَالعُصَاةَ عَلَيَّ إِخْرَاجُهُمْ مِنْ أَرْضِ غُرْبَتِهِمْ وَلاَ يَدْخُلُونَ أَرْضَ إِسْرَائِيلَ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ] [5].

وبهذا يكون المجيء الثاني للمسيح قد ارتبط بأرض فلسطين التي سيعود إليها ويؤسس مملكته حينما يعود إلى جبل الزيتون، فقد ورد في سفر زكريا: [وَتَقِفُ قَدَمَاهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ الذي قُدَّامَ أُورُشَلِيمَ مِنَ الشَّرْقِ...] [6]. حيث يبقى على الأرض ويحكم كملك، وفي ذلك

---

[1]- إنجيل لوقا 19: 12-13.

[2]- جون ف. والفورد، يسوع المسيح ربنا، ترجمة: حزقيال بسطوروس، مراجعة القس: إيميل بطرس، (القاهرة: دار الجيل، دط، 1988)، ص330.

[3]- إنجيل متى 24: 29-30.

[4]- جون ف. والفورد، المرجع السابق، ص342-343.

[5]- سفر حزقيال 20: 33-38.

[6]- سفر زكريا 14: 4.

الوقت يخضع المخطئون للدينونة[1].

فبعودة المسيح تكون دينونة العالم وفي العهد الجديد بأن المسيح هو الذي يقوم بهذه المهمة التي عهد الله بها إليه[2].

فعودة المسيح ثانية تكون إلى المكان الذي صعد منه ليكون هناك مملكة الألف سنة، والتي ستلي المجيء الثاني مباشرة[3]، كما يتضح ذلك من سفر الرؤيا: [وَرَأَيْتُ عُرُوشًا فَجَلَسُوا عَلَيْهَا وَأُعْطُوا حُكْمًا وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ وَالذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلا لِصُورَتِهِ وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ المَسِيحِ الأَلْفَ السَّنَةِ.وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأَمْوَاتِ فَلَمْ تَعِشْ حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ سَنَةٍ، هَذِهِ هِيَ القِيَامَةُ الأُولَى مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي القِيَامَةِ الأُولَى، هَؤُلاَءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً لِلَّهِ وَالمَسِيحِ وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ] [4].

ويذكر القس والفورد بأن فهم الشواهد الكثيرة بشأن المجيء الثاني للمسيح بمعناها الطبيعي أي الحرفي تفيد بأن مملكة على الأرض تأتي بعد المجيء الثاني، ومدتها هي الألف سنة على ما ذكر في سفر الرؤيا. فالنصوص التي تدل على أن المسيح الذي سيكون على الأرض كثيرة، والعهد الجديد يؤكد التفسير الحرفي لها، فبشارة مريم بخصوص مولد المسيح مثلا تفسر هذه النبؤات بمعناها الحرفي[5]. فنقرأ في إنجيل لوقا: [هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا وَابْنُ العَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ] [6].

وملك المسيح مدة الألف سنة على الأرض سيكون مع الأبرار القديسين القائمين من الموت والقادمين من جميع العصور، لما ورد في سفر الرؤيا: [وَرَأَيْتُ عُرُوشًا فَجَلَسُوا عَلَيْهَا وَأُعْطُوا حُكْمًا

---

(1)- حون ف. والفورد، مرجع سابق، ص349.

(2)- أوغسطين دوبره لاتور، دراسة في الاسكاتولوجيا-الموت والقيامة-، (بيروت: دار المشرق، ط1، 1994م)، ص64.

(3)- صالح بن عبد الله الهذلول، الأصولية الإنجيلية، (الرياض: دار المسلم للنشر، ط1، 1416هـ-1996م)، ص55.

(4)- سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي 20: 4-6.

(5)- حون ف. والفورد، المرجع السابق، ص349، 351.

(6)- إنجيل لوقا 1: 32، 33.

وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ الَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلَا لِصُورَتِهِ وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ أَمَّا بَقِيَّةُ الْأَمْوَاتِ فَلَمْ تَعِشْ حَتَّى تَتِمَّ الْأَلْفُ السَّنَةِ هَذِهِ هِيَ الْقِيَامَةُ الْأُولَى مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ الْقِيَامَةِ الْأُولَى فَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً لِلَّهِ وَالْمَسِيحِ وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ][1].

جدير بالذكر أن التفسير الحرفي الذي يقول بعودة المسيح إلى الأرض من ملك يدوم ألف سنة بصحبة المؤمنين من المحتمل أن يكون مستوحى من مفهوم مشيحي معين ورد بوجه خاص في الأدب الرؤيوي اليهودي وكان أول من انضم إلى الألفية متهود يدعى قيرنثس في القرن الأول، كما ندد به القديس هيرنيمس في وقت لاحق وبعبارات شديدة ومن أنصار الألفية أيضا القديس إيريناوس الذي يجعل من مذهب الألفية عقيدة إيمانية (مملكة سعادة أرضية يفتتحها الرب مع الشهداء والمعترفين وإعادة بناء أورشليم ومن ثمة الملك على جميع شعوب الأرض وتمرد الشيطان الأخير ونهاية العالم والقيامة الثانية)[2].

وعلى الرغم من أن عقيدة المجيء الثاني للمسيح أمر متفق عليه وعلى الإيمان به عند كل مسيحيي العالم تقريبا فإن الاختلاف بينهم جاء حول التفاصيل المتعلقة بهذه العقيدة من حيث كيفية هذا المجيء وتفاصيله فكان هذا المدخل الذي نفذت منه الأفكار الصهيونية إلى بعض المسيحيين ومحاولة إقناعهم بأن إقامة دولة إسرائيل بأرض فلسطين هي إحدى علامات هذا المجيء خاصة وأن التاريخ اليهودي يعد الخلفية الأصلية للمسيحية، فكان من الصعب عليها الانسلاخ منها خاصة في بعض الأمور التي بقيت الأفكار اليهودية عالقة بها. وتوقع مجيء المسيح العسكري المحارب من أهمها[3].

وقد وجدت عودة الأفكار الماسيحانية صدا كبيرا لها منذ القرن 17م مع ظهور حركة الإصلاح الديني، غير أن فكرة العودة لم تكن وليدة هذا القرن، فبالرغم من اللامبالاة بها قبل هذا

---

[1]-سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي 20: 4-6.

[2]-أوغستين دوبره لاتور، دراسة في الإسكاتولوجيا، ص27-28.

[3]-إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ص187.

القرن ومقاومتها من طرف الكثيرين خاصة وأنه كان تفسير النصوص الدينية الواردة بشأن العودة والمملكة الألفية تفسيرا روحيا، ورغم ذلك كله وجدت اهتماما متزايدا عند البعض الآخر. فعادت إلى الظهور بشكل بارز مع الإصلاح خلال القرنين 17 و18م، ثم تجدد تأكيد ذلك في القرن 19م من طرف عدد من العلماء الإنجيليين[1].

وقد كانت العودة إلى التفسير الحرفي لنصوص المجيء في سفر الرؤيا في عصر الإصلاح الآثار البالغة، التي تمثلت في الاهتمام بتحقيق النبوات التوراتية المتعلقة بنهاية الزمان والاعتقاد بعودة المسيح المنتظر الذي سيقيم المملكة الإلهية الألفية على الأرض، هذه العودة التي ارتبطت بعودة كافة اليهود إلى أرض فلسطين هي بشرى الألفية السعيدة[2].

فقيام (دولة إسرائيل) إحدى أهم ممهدات المجيء الثاني للمسيح باعتقاد الأصولية الإنجيلية[3]، واستمرت هذه الحركة في استقطاب الأنصار منذ عهد الإصلاح وما بعده إلى أن بلغت ذروتها في مذهب العصمة الحرفية في العصمة الحرفية الأمريكية خلال القرن العشرين الذي يصر على أن إسرائيل هي التحقيق الواقعي للنبوءة في العصر الحديث[4].

وعلى هذا الأساس، نقول بأن المجيء الثاني للمسيح الذي ارتبطت عودته بأرض فلسطين عند المسيحيين كانت عقيدة راسخة منذ العهد الأول للمسيحين استمرت عبر فترات التاريخ، لتظهر بشكل بارز في القرن 20م، وقد كان للأفكار الماسيحانية دورا كبيرا في عودة اليهود إلى أرض فلسطين.

المطلب الرابع: أرض المقدسات

إضافة إلى كون أرض فلسطين مقدسة عند المسيحيين، فلقد شهدت أطوار حياة المسيح عليه السلام، فهي أيضا مقدسة عندهم، على اعتبار أنها تشمل أهم مقدساتهم المتمثلة في مجموعة آثار، يخلد

---

[1]-صالح بن عبد الله الهذلول، الأصولية الإنجيلية، ص51-53.

[2]-ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، دط، (1406هـ-1985م))، ص28.

[3]-صالح بن عبد الله الهذلول، المرجع السابق، ص56.

[4]-ريجينا الشريف، المرجع السابق، ص28.

كل منها واقعة حدثت للمسيح أو لأمه، وتتمثل هذه الآثار في مجموعة كبيرة من الكنائس، فمكان ولادته عليه السلام مثلا خلد بكنيسة أقيمت عليه سميت بكنيسة المهد، وكذا المكان الذي تناول فيه العشاء الأخير بجبل صهيون حيث تتواجد كنيسة صهيون، أو كما يطلق عليها غرفة العشاء الأخير، وكذلك كنيسة الدم المقدس وهي قريبة من مكان الجمجمة، حيث أقيمت على هذا المكان كنيسة الصلب والفداء وغيرها من المقدسات الكثيرة للمسيحيين في أرض فلسطين، إذ لا يتسع المجال لذكر كل مقدساتهم عليها على سبيل الحصر في هذا المقام وسنقتصر على أهمها بشيء من التفصيل، وهي كالآتي:

1-كنيسة المهد:

تميزت بيت لحم بأنها مدينة الميلاد، حيث زادها هذه الحادثة قداسة، ففيها ولدت مريم العذراء طفلها المسيح عليه السلام وجعلت من مذود البقر مهدا له، وبعدما زارت هيلانة أم الإمبراطور الروماني قسطنطين ميلاد فلسطين، وذلك عام 325م، أمرت بإنشاء كنيسة فوق مغارة المهد، وإلى هذه الكنيسة يجيء عشرات الألوف من الحجاج المسيحيين والزوار[1].

وكنسية المهد أنشئت حول الهيكل الذي أقامه قسطنطين بعد ثلاثة قرون من مولده ذكرى لهذا المولد، و لم يكن الموضع الذي أقيمت عليه خلاء، وإنما كان معبدا لأدونيس، حيث أمر الملك بهدمه وأقام كنيسة المهد مكانه[2].

فساحة المهد المبلطة حديثا تقوم على أرضية مرصوفة بالفسيفساء وتحتها قواعد الأعمدة وكطولها 300 قدم وعرضا 130 قدما، من ناحية اليمين يرتفع دير الأرمن يقابله باب صغير يدخلون منه إلى رواق، بحيث يحجز حاجز خشبي عن صحن الكنيسة، ومن الأعلى سقف عال جدا يرتفع فوق الصحن الأوسط وبجانبيه صحنين أحدهما في جهة اليمين والآخر في جهة الشمال أوطأ منه، وفي الفرق الحاصل بين الجانبين والوسط فتحت نوافذ تضيء المكان على جانبيها أربعة صفوف من الأعمدة لكل صف اثنى عشرة عمودا نصب فوقها جدار كان مزينا بفصوص الزجاج الملون

---

(1) محمود السمرة، أسعد عبد الرحمن محمود العابدي، فلسطين أرضا وشعبا وقضية، (دم: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دط، دت)، ص98.

(2) محمد حسين هيكل، الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة، ص187.

بالذهب، وتظهر فيه صور القديسين الأوائل وأباء الكنيسة والسيد المسيح وأسرته مع الحوادث التي جرت له منذ ولادته إلى صعوده[1].

وجنبات كنيسة المهد مترامية الأطراف وأفنيتها تقوم على مغارات كثيرة، يروي القائمون عليها كثيرا من القصص المنسوب لها، فواحدة من هذه المغارات يطلق عليها مغارة الأطفال، حيث دفن هيردوس الأطفال الذين أمر بقتلهم ومغارة أخرى بها صورة القديس جيروم، حيث قضى فيها 23 سنة وهو يترجم فيها الإنجيل[2].

كما تقع أيضا مغارة المهد على مقربة من مغارة الأطفال، وهي قبو ضيق يهبط الإنسان إليه على درج وهذا الدرج يصل بين المغارة ومذبح كنيسة المهد، وإلى جانب هذا القبر يوجد صورة العذراء وتثبت في مكان منها نجمة من الفضة تحدد مكان مولد المسيح، وهو لذلك مكان مقدس عند الطوائف المسيحية كلها. وأخيرا مغارة الحليب وهي أكثر سعة من المغارات القائمة تحت الكنيسة، هذا وتستأثر كنيسة المهد بأكبر قدسية عن غيرها من المغارات، إذ ليس هناك مكان أكثر قدسية من مكان المهدي نفسه، ولا يزيد عنه في القدسية غير كنيسة القيامة[3].

2-كنيسة القيامة:

تحتوي كنيسة القيامة بالدرجة الأولى على قبر السيد المسيح، كما تحتوي على قبور يوسف الراعي وأسرته، بالإضافة إلى قبور أخرى تضم رفات بعض قادة الصليبيين[4].

وكنيسة القيامة أقيمت تخليدا لذكرى الرواية المسيحية عن صلب المسيح وصعوده إلى السماء، حيث قرر الإمبراطور قسطنطين أن يقيم كنيسة حيث المكان الذي صلب فيه، ومن حيث صعد إلى السماء، فتعهد بالبحث عن المكان إلى القس مكاريوس الذي قرر أن المكان يوجد تحت الهيكل الذي أقامه هدريان للزهرة، فأمر الإمبراطور بتهديم الهيكل فوجدوا قبرا منقورا في الصخر أو

---

[1]-محمود السمرة، فلسطين أرضا وشعبا وقضية، ص99.

[2]-محمد حسين هيكل، الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة، ص188-189.

[3]-المرجع نفسه، ص189.

[4] أحمد العلمي، عصام عواد، إبراهيم الدقاق، المقدسات في القدس الشريف، (دم: منشورات وزارة الإعلام الفلسطينية، ط1، 1996)، ص62.

على مقربة منه ناحية الشرق وجدت ثلاثة صلبان، فلاحظ أن إحداهما يشفي المرضى، فتأكدوا بأنه هو الصليب الذي صلب عليه المسيح، ولما بلغ الأمر للملك، أمر بأن يقيم بناء ضخما فوق هذا المكان المقدس[1].

وعليه، شيدت كنيستان، واحدة فوق القبر، والأخرى حيث وجدت الصلبان الثلاثة، وهي أكبر وأفخم من حيث البناء، وبين الكنيستين قام مرتفع قيل أنه مرتفع الجلجثة[2].

ويصف الرحالة الألماني يوحنا فورزبورغ قبر السيد المسيح بقوله: «إن البقعة التي تحتوي على قبر سيدنا (المسيح) تعتبر دائرية الشكل تقريبا، وهي مزخرفة من الداخل بأعمال الفسيفساء، ويدخل من الشرق عبر باب صغير يوجد في مقدمته حجرة انتظار مربعة الشكل تقريبا، ولها بابين، ويسمح للأشخاص بالدخول إلى القبر المقدس عبر إحداهما وعبر الباب الآخر يخرج المغادرون إلى الخارج، وفي غرفة الانتظار يقيم حراس القبر أيضا، ولهذه الغرفة باب صغير ثالث يفتح باتجاه الموضع المعروف مركز الأرض، ويقام كل ليلة أحد من عيد الفصح إلى عيد قدوم المسيح إلى العالم ثانية وذلك عند صلاة الغروب مع ترنيمة المسيح إلى القبر المقدس»[3].

أما كنيسة الفداء أو كنيسة الصلب كما يسميها المسيحيون، فهي مستطيلة الشكل شيدت وفقها قبة وأقيم الصليب الذي قيل أن المسيح صلب عليه في المرتفع بين الكنيستين، وقد تم بناء الكنيستين عام 336م، وظلتا قائمتين حتى سنة 614م[4]، حيث أصابها حريق على يد الفرس ليعيد بناءها بعد ذلك الراهب "مودستوس" بعد عامين من الحريق، غير أنها تعرضت لحريق آخر في عهد الأحشيدي سلطان مصر عام 965م، وتم إعادة إعمارها عام 980م، ثم هدمت بكاملها وبنيت مرة أخرى حتى جاء الصليبيون فأعادوا ترميمها ووحدوا أبنيتها ومعابدها في بناية واحدة، ولقد حافظ عليها صلاح الدين الأيوبي في حكمه، واحترم مكانتها الدينية ليكون ذلك مثالا على التسامح واحترام الديانات والعبادات بين الأمم[5]، ثم تعرضت مرة أخرى لحريق آخر عام 1808م، أتى على

---

[1]- محمد حسين هيكل، الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة، ص193-196.

[2]- المرجع نفسه، ص197.

[3]- يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص67.

[4]- محمد حسين هيكل، الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة، ص197.

[5]- أحمد العلمي، المقدسات في القدس الشريف، ص63.

جوانب فنية عديدة، ولقد رممت فيما بعد، كما ضربها زلزال كبير عام 1834م، تعهدت كل من روسيا وفرنسا بنفقات تعميرها تحت إشراف السلطات العثمانية، وتبع ذلك زلزال آخر عام 1927م، أثر هذا الأخير على أساساتها مما دفع سلطات الانتداب إلى وضع الدعامات الحديدية والخشبية لحمايتها من الكوارث الطبيعية والمفتعلة[1].

3-كنيسة الصعود:

وقد شيدت هذه الكنيسة على مكان صعود المسيح إلى السماء من قبره حسب اعتقاد المسيحيين من فوق جبل الزيتون، حيث بنيت بسقف مفتوح، وفي هذا المكان حيث كان الحواريون ووالدته ينظرون إليه بدهشة على ما يذكر الرحالة يوحنا، كما توجد بها صورة للحواريين الاثنى عشر من تماثيلهم، حيث صورت الروح القدس فوق رأس كل واحد منهم، بشكل لسان ناري مع النقش[2].

4-درب الآلام:

وهو طريق يعتقد المسيحيون أن المسيح قد سلكه حاملا صليبه عندما ساقه جنود الرومان إلى حيث مكان صلبه بالجمجمة، ويتكون هذا الطريق من أربعة عشر مرحلة، تبدأ من مدرسة راهبات صهيون حيث الموقع الذي أصدر منه الحاكم الروماني الحكم بالصلب، ثم تتجه غربا إلى منطقة الواد وعقبة المفتي، ثم عبر الطريق الذي تصل الواد بيا خان الزيت، فعقبة الخانقاه لتصل إلى القبر المقدس لكنيسة القيامة[3].

وحسب ما يعتقده المسيحيون على هذا الطريق وقع السيد المسيح مغشيا عليه مرات عديدة من جراء التعذيب الذي لاقاه وثقل صليبه المحمول[4].

---

(1)-أحمد العلمي، مرجع سابق، ص64.

(2)-يوحنا قورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص76.

(3)-المرجع نفسه، ص76.

(4)-أحمد العلمي، المقدسات في القدس الشريف، ص73.

5-كنيسة القديسة مريم:

لقد ظهرت في المصادر التاريخية باسم كنيسة القديسة مريم أو كنيسة سيتي مريم "sitti Meriam" أو كنيسة العذراء مريم "Virgin Meriam" أو مقام سيتي مريم، وقد تم تدشين هذه الكنيسة في الفترة الصليبية باسم كنيسة العذراء مريم، وذلك في القرن الحادي عشر[1].

أما بالنسبة لموقعها، فهي تقع وسط قرية عابود القديمة بالقدس، تحيط بها بيوت القرية من كل جانب، وهي في الجهة الشرقية من الشارع الرئيسي الذي يؤدي إلى قرية الرنتيس الذي يقسم القرية من الجنوب إلى الشمال[2].

أما من حيث الشكل، فهي مستطيلة الشكل تكاد تكون مربعة، ولا تزال تستخدم لغاية اليوم، وتوجد بها أرضيات من الفسيفساء تعود للفترة البيزنطية، وبداخل هذه الكنيسة أعمدة أيونية وبيزنطية، بها غرفتان واحدة في الشمال، وهي مهدمة، والأخرى في الجنوب لم يبق منها هي كذلك سوى أرضيات من الفسيفساء وبعض الجدران القديمة، وقد استخدمت كمقبرة لفترة من الزمن[3].

أما وصفها الحالي فهي مكونة من طابق واحد هو جهتها، وتم ترميمها عام 1959م، غلب عليها الطابع الحديث بها ثلاثة أقواس مقامة على أربع دعامات مربعة الشكل، يصل طول الواحد إلى المتر، بها باب يقع فيه القوس الوسط، يؤدي إلى غرفة المدخل قبل الدخول إلى الكنيسة.

أما الكنيسة من الداخل، فيوجد بها من الناحية الشرقية ما يطلق عليه اسم الهيكل، وعمقه 3,25م، أما عرضه فهو بعرض الكنيسة 12,30م، وعلى امتداد عرض الكنيسة جدار به ثلاث جنبات الوسطى، وتعلوها نصف قبة في أعلاها نافذة مستطيلة الشكل وأخرى فوقها دائرية الشكل، وفي وسط المنحنى يقع مذبح الكنيسة وعلى جانبي المنحنى الأوسط منحنيين أصغر حجما من الأوسط، وهذا الجزء يفصل بينه وبين القاعدة الرئيسية للكنيسة، قاطع خشبي مليء بالصور والإيقونات المقدسة عندهم.

---

[1]-إبراهيم خليل نيروز، كنائس عابود -دراسة أثرية تاريخية-، رسالة ماجستير، إشراف: نظمي الجعبة، 2000.
W.W.W.HCSN.Org/aboud youth/ churches-ar.

[2]-المرجع نفسه.

[3]-المرجع نفسه.

6-كنيسة مريم المجدلية:

وتوجد داخل أسوار مدينة القدس بالقرب من كنيسة القديسة حنة (والدة القديسة مريم العذراء)، وأقيمت هذه الكنيسة للحادثة التي يذكرها الرهبان اليعاقبة المقيمين هناك، الذين سرحوا بأن بيت سمعان المجذوم يقع في ذلك المكان بالضبط، وهو الذي دعى المسيح إلى العشاء وهناك ركعت مريم عند أقدام المسيح عليه السلام، وقبلتها وبللتها بالدموع ومسحتها بشعرها، ويظهرون المكان بعلامة الصليب حيث ركعت، وتظهر الصورة المتواجدة هناك هذه الحادثة[1].

7-كنيسة القديسة حنة:

ويصفها الرحالة يوحنا بقوله: «وهي كنيسة ضخمة شيدت على شرف القديسة حنة، وهي تقع على شمال منطقة الحرم، على الجانب الأيسر مقابل ساحة المعبد (من الشارع الممتد من بوابة داود حتى التل باتجاه المعبد)، ويحتفل بعيدها في تلك الكنيسة باحتفال مهيب حيث كنت حاضرا»[2].

8-كنيسة المنقذ:

وقد أقيمت هذه الكنيسة على المكان الذي صلى فيه المسيح، حيث دعيت بكنيسة المنقذ، بحيث تظهر في أرضيتها ثلاث قطع من الحجارة، يقال أن المسيح صلى عليها، وتحظى هذه الحجارة بتقدير من المسيحيين، كما أنها تستقبل الزائرين الذين يقدسونها بتقوى شديدة[3].

هذا، إضافة إلى تواجد الأديرة بصورة كثيرة، لكننا نقتصر على ذكر بعضها:

-دير أبونا إبراهيم، وتتواجد داخل سور ساحة القيامة من الجهة الجنوبية.

-دير مار يوحنا المعمدان تتواجد داخل السور (وهي كنيسة بزنطية).

-دير العذراء، وتقع داخل السور جنوب كنيسة القيامة.

---

(1) يوحنا فور زبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص54.

(2)-المرجع نفسه، ص81.

(3)-المرجع نفسه، ص58.

-دير ماركرا لامبوش ويقع داخل شرق الصلاحية داخل السور.

-ديرمارسابا، خارج السور بين بيت لحم ومرسابا.

-دير ماديتري، يقع في حارة النصارى داخل السور[1].

وعلى هذا الأساس تكرست قدسية أرض فلسطين لدى المسيحيين، حيث أن ولادة المسيح ونشأته كانت بها، فكانت من أولى الأساسيات في قداسة الأرض الفلسطينية بالنسبة للمسيحيين، كما أنها مقدسة أيضا، فهي الأرض التي انبعثت منها دعوة المسيح عليه السلام إلى العالم، ولأنها الأرض التي صلب بها -حسب ما يعتقده المسيحيون-، وما زاد في تعميق هذه القداسة هو المقدسات التي تتواجد بها، خاصة ما تعلق منها بشخص المسيح عليه السلام كنيسة المهد والصلب والقيامة، وما تعلق منه أيضا بأم المسيح حيث كنيسة السيدة العذراء، وغيرها من المقدسات التي أصبغت المنطقة بقدسية خاصة لدى المسيحيين.

---

(1) الأهمية الدينية للمدينة، W.W.W Jerran.Com

المبحث الثالث: قدسية أرض فلسطين في الإسلام

بعد أن عرفنا أسس قداسة أرض فلسطين عند كل من أتباع الديانة اليهودية والمسيحية، فما هي أسس قداسيتها في الإسلام؟ وما هو سر تمسك واهتمام المسلمين بها على مر التاريخ؟

يرجع منشأ ارتباط قدسية[1] إلى كونها:

المطلب الأول: أرض القبلة الأولى

ارتبطت قداسة أرض فلسطين في الإسلام بارتباطها بالركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين ألا وهي الصلاة، فبل أن شرّعت الصلاة ليلة المعراج الشريف، كان بيت المقدس بأرض فلسطين قبلة[2] أولى للمسلمين إلى أن جاء الأمر الإلهي بالتحول عن بيت المقدس للكعبة المشرفة، لقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3].

---

[1] –المقدّسة: من التقديس، قال تعالى: ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ "سورة المائدة: 21" والمقدسة في الآية بمعنى المطهرة المباركة، لأن التقديس بمعنى التطهير والتبريك، لأن أصل التقديس التطهير. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، (دم: دار المعارف، دط، دت)، ج5، ص3549-3550)، والبيت المقدس هو المطهر من النجاسة أي الشرك، وكذلك الأرض المقدسة. (انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد خليل عتياني، (بيروت: دار المعرفة، ط1، 1418هـ-1998م)، ص397). والأرض المقدسة المطهرة، قال الزجاج: البيت المقدس المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب. (انظر: محي الدين شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، (مصر: إدارة الطباعة، دط، دت)، ج1، ص109)، وعليه تكون الأرض المقدسة المطهرة. وهذا يكون معنى التقديس في اليهودية والإسلام متفقان من حيث القول بأن التقديس يأتي معنى التطهير من الذنوب.

[2] –القبلة: ناحية الصلاة، قال اللحياني: القبلة وجهة المسجد، والقبلة التي يصلى نحوها. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص3521).

[3] –سورة البقرة: 142-143.

فبيت المقدس كانت قبلته ﷺ وقبلة لأنبياء بني إسرائيل، كان يتجه إليها، واستمر على ذلك طيلة مكوثه بمكة، حيث كان يجمع ﷺ بين القبلتين، وعندما هاجر إلى المدينة استحال عليه ذلك، فاتجه إلى ربه بأن يجعل مكة قبلته، وبقي الرسول ﷺ يصلي باتجاه بيت المقدس حتى نزل أمر إلهي بالتحول إلى مكة[1].

أورد البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل على أجداده وأخواله وأنه صلى قبل بيت المقدس بستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت»[2].

وتحويل القبلة هو من الأمور العظيمة التي تثير الشك في النفوس، فأثارت حولها اختلافا كبيرا بين المسلمين، كما كانت امتحانا لهم في الصمود على هذا الدين أو تركه، وليعلم الرسول ﷺ بذلك من يتبعه ممن ينقلب عليه بارتداده على هذا الدين[3].

فقد حاول اليهود والمنافقون أن يبعثوا الشك في حكمة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام بمكة، وجعلوا ذلك منفذا للطعن في الإسلام، غير أن القرآن الكريم رد عليهم وبين لهم بأن الأصل في العبادة التقوى وحسن النية[4].

يقول تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

---

[1] -محمد رشيد رضا، تفسير المنار (بيروت: دار المعرفة، ط2، دت)، ج2، ص2. انظر أيضا: محمد عثمان شبير، بيت المقدس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع6، السنة الثالثة، تصدر عن جامعة الكويت، (ربيع الأول 1406هـ-ديسمبر 1986م)، ص104.

[2] -رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان بأن الصلاة من الإيمان...، (بيروت: دار الفكر، ط1، (1401هـ-1981م))، ج1، ص15. ورواه أحمد في مسنده بلفظ آخر، مسند عبد الله بن عباس ﷺ، (دم: دار الفكر، دط، دت)، ج1، ص325.

[3] -اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (الجزائر: دار الثقافة، ط1، (1410هـ-1990م))، ج1، ص204. انظر أيضا: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، (مصر: المطبعة الميمنية، دط، دت)، ج2، ص8.

[4] -هاشم يحي الملاح، الأسس العقائدية الإسلامية، مقال من كتاب: القدس في الخطاب الإسلامي المعاصر، ص10.

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1].

كما أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة هو من العناية الإلهية بهذا الدين، وذلك بتجنيبه من اليهود وما أصاب النصارى، حيث بقي دينهم في باطن اليهودية و لم تنفرد عنها و لم تزل التأثيرات اليهودية عليها حتى الآن بخلاف الإسلام الذي برز باستقلاليته منذ نشأته الأولى، وتحويل القبلة عن قبلة بني إسرائيل هي من دلالات هذه الاستقلالية والانفراد[2].

وتكمن حكمة الله ﷻ في تحويل القبلة من علمه المسبق أن القدس واقعة غير مرة بأيدي غير المسلمين، لذا صرف الله المسلمين إلى البيت الحرام بمكة، حيث تعهده بالحفظ والأمان بدعوة إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[3].

فلم يكن من الممكن أن يتوجه المسلمون في صلاتهم إلى قبلة ترفع عليها شعارات غير الإسلام كما حدث في الفترة التي سقطت فيها القدس بأيدي الصليبيين قبل أن يردها الله تعالى للمسلمين على أيدي صلاح الدين الأيوبي[4].

توجه المسلمون إلى بيت المقدس كقبلة أولى لهم فيها من التأكيد على وحدة الرسالة الإلهية منذ إبراهيم عليه السلام ، حتى تمت على يد محمد ﷺ ، وحتى لا يكون هناك تخصيص مكان بالقداسة عن الآخر، فلا يكون اختيار بيت المقدس إيثارا لذرية إبراهيم من إسحاق ولا التحول عنها إلى الكعبة إيثارا لذرية إبراهيم من إسماعيل[5].

---

(1) –سورة البقرة: 177.

(2) –عبد الرحمن أبو عرفة، القدس تشكيل جديد للمدينة، ص37–38.

(3) –سورة البقرة: 126.

(4) –أحمد العناني، فلسطين في المنظور الإسلامي، (الأردن: دار البرق، ط1، (1407هـ–1987م))، ص29.

(5) –حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، ص123–124.

فكلا المكانين مخصوص بالقداسة لتواجد أحد أهم الأماكن قداسة بهما للمسجد الحرام والمسجد الأقصى، فكلاهما مسجدان مباركان ومقدسان يستحقان ألا يفصل بين أحدهما والآخر في القدسية[1].

ومنذ كان المسجد الأقصى قبلة أولى للمسلمين، خصوه بالقداسة لصلاة الرسول ﷺ باتجاهه أول عهده، كما خصوه بزيارة ابتغاء الأجر لفضل الصلاة به[2]، كما استحب المسلمون زيارة المدينة في حجهم للإحرام منها، بل والحج إليها في بعض الأزمنة والتبرك بها[3].

فقد روي عن فضل الصلاة بالمسجد الأقصى عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله أ ي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة فصله، فإن الفضل فيه»[4].

وما روي أيضا عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاة في المسجد الذي يجمع فيه بخمس مئة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجد الكعبة بمئة ألف صلاة، وصلاته في مسجدي هذا بخمسين ألف صلاة»[5].

---

(1) –عبد الرحمن أبو عرفة، تشكيل جديد للمدينة، ص20.

(2) –هشام بن فهمي بن موسى العارف، إتحاف الأنام في فضائل المسجد الأقصى والشام، (الكويت: لجنة العالم العربي، جمعية إحياء التراث، ط1، (1421هـ–2000م))، ص89.

(3) –إسحاق موسى الحسيني، فضائل بيت المقدس، مجلة البحوث والدراسات العربية، ع4، (جمادى الأولى 1393هـ– أكتوبر 1973م)، ص301.

(4) –رواه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث: 520 (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1415هـ–1994م)، ج3، ص5.

(5) –رواه ابن ماجة في سننه، كتاب: إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة المسجد الجامع، (دم: دار الفكر، دط، دت)، ج1، ص353.

كما خص الرسول الكريم المسجد الأقصى بجعله أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال دون غيرها بقوله: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي»[1].

ونظرا لما يحتله بيت المقدس في قلوب المسلمين، هذا المكان المبارك المخصوص بالقداسة منذ آلاف السنين، حيث صلى فيه إبراهيم عليه السلام والأنبياء من بعده حتى آخر نبي مرسل من الله عز وجل محمد ﷺ مع جميع الأنبياء عندما أسري به، فبقداسة هذا المكان ومباركته يكون قد أضفى هذه القداسة على ما حوله من الأرض، حيث جاء وصفها بذلك من الله تعالى بصريح القرآن على لسان موسى عليه السلام: ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[2].

كما أنها المكان الذي بارك الله تعالى فيه وحولها في آية الإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3]، وهذه المباركة التي ميزت أرض فلسطين تبقى دائما في نظر المسلمين موضع تكريم وإعزاز لهذه الأرض. فهي مقدسة ومباركة لذاتها ومطهرة للذنوب لغيرها، ومن ذلك استحق المسلمون زيارة المدينة في حجهم والإحرام منها بغية التطهر من الذنوب وكسب الثواب بالأجر، فقد روي عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «من أهل بعمرة من المقدس غفر له»[4].

فقد أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أحرم من بيت المقدس[5]، وكذلك أثر عن ابن عمر بن الخطاب —رضي الله عنهما- أنه أحرم أيضا من بيت المقدس[6].

---

(1) —رواه البخاري، ج2، ص138.

(2) —سورة المائدة: 21.

(3) —سورة الإسراء: 1.

(4) —رواه ابن ماجة في سننه، كتاب: المناسك، باب من أهل بعمرة من بيت المقدس، رقم الحديث: 3001، ج2، ص353.

(5) —مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق ومراجعة: عدنان أحمد يونس عبد المجيد أبو تبانة، (الأردن: مكتبة دنيس، ط1، 1020هـ-1999م)، ص352.

(6) —حافظ ضياء الدين المقدسي الحنبلي، فضائل بيت المقدس، تحقيق: مطبعة الحافظ، (سوريا: دار الفكر، ط1، (1408هـ-1988م))، ص352.

وعليه كانت رغبة المسلمين بزيارة الأرض المقدسة لزيارة بيت المقدس بقصد العبادة، وهذا ما يفسر حرص المسلمين على بدء شعائر الحج من هذا المكان، والإحرام منه.

وقد بلغ تقديس المسلمين بالمسجد الأقصى وعنايتهم بمكانة فلسطين الدينية، فقد جعلهم يفكرون في أن ينقلوا جثمان الرسولﷺ إلى بيت المقدس ليدفن بجانب المسجد الأقصى، وليكون بجوار مدافن النبيين من قبله[1]. ويذكر ذلك الشهرستاني في رواية «في موضع دفنه عليه الصلاة والسلام أراد أهل مكة من المهاجرين رده إلى مكة، لأنها مسقط رأسه، ومأنس نفسه، وموطئ قدمه، وموطن أهله... وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة لأنها دار هجرته ومدار نصرته، وأرادت جماعة نقله إلى بيت المقدس، لأنه موضع دفن الأنبياء، ومنه معراجه إلى السماء، ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة المنورة لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون[2]»[3].

وأخيرا، نقول أنه ومنذ كان بيت المقدس القبلة الأولى للمسلمين، حيث صلى نحوها الرسول الكريم والمسلمون معه في أول عهد الإسلام ارتسمت معها المعالم الأولى لعلاقة المسلمين بأرض فلسطين المقدسة، فكان بذلك الأساس الأول الذي انبنت عليه هذه القداسة.

---

(1) -عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص123.

(2) -رواه مالك بن أنس الأصبحي في موطئه، برواية يحيى بن يحيى الليثي، إعداد: أحمد راتب عرموش، (بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر، ط11، (1410هـ-1990م))، ص153.

(3) -محمد بن أبي القاسم الشهرستاني، الملل والنحل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، (1413هـ-1992م))، ج1، ص12.

المطلب الثاني: أرض الإسراء والمعراج

وكما ارتبطت قداسة أرض فلسطين بالإسلام على أنها أرض القبلة الأولى، فهي ترتبط أيضا بإسراء[1] النبيﷺ ومعراجه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بأرض فلسطين، فآية الإسراء الكريمة التي ثبتت بها حادثة الإسراء قد باركت أرض المسجد الأقصى، فكانت بذلك أرضا مباركة في السلام، يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2].

جاء في تفسير هذه الآية أن «لفظ الآية يقتضي أن الله تعالى أسرى بعبده وهو محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى تنزه الله تعالى من كل سوء أو عجز أو نقص أو شريك، فهو كامل الصفات، تام القدرة، فهو الذي أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الملائكة في جزء من الليل [...] وبشخصه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، وعاد إلى بلده في ليلته»[3].

وأثارت حادثة الإسراء[4] اختلافا كبيرا حولها قديما وحديثا، وقد ورد هذا الاختلاف من حيث طبيعة الإسراء، إن كان بالجسد أم بالروح أم بهما معا[5].

---

(1) –الإسراء: من الفعل أسرى، يقال سريت وسرى ومسرى بمعنى سرت ليلا، والألف لغة أهل الحجاز. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص2003. انظر أيضا: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ–1994م)، ص361). وعلى ذلك يكون الإسراء تسيير الله تعالى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

(2) –سورة الإسراء: 1.

(3) وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، (لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ط2، (1422هـ–2001م))، ج2، ص1322. انظر أيضا: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص57.

(4) –حادثة الإسراء والمعراج مطولة في صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء، ج1، ص486 وما بعدها.

(5) –محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الكتاب العربي، دط، 1387هـ–1967م)، ج10، ص208. انظر أيضا: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1984م)، ج13، ص23.

وجمهور المسلمين وأغلب المفسرين أن الإسراء حدث بالروح والجسد معا، والمعبر عنه بلفظ "عبده"[1] لأن لفظ العبد عند العرب لا يطلق إلا على الشخص المحسوس والمكون من الروح والجسد معا[2].

رغم الاختلافات الواردة بشأن الإسراء، إلا أن حدوثه أمر ثابت لا مراءة فيه، دلت عليه الآية الصريحة والأحاديث النبوية الشريفة، ومنه ما روي عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي إلى بيت المقدس سألوني عن أشياء من بيت المقدس فكربت كربا ما كربت مثله قط، فرفعه الله إليّ، فانظروا إليها فما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به»[3].

وما روي عن جابر بن عبد الله أن رسول اللهﷺ قال: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس وطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»[4].

أما عروجه[5]ﷺ ، فقد كان بعد الإسراء به مباشرة، وذلك بعد صلاتهﷺ بالمسجد الأقصى مع جميع الأنبياء، وعند خروجه وجد المعراج الذي حمله إلى السماوات العلا[6].

غير أنه لم يذكر بعد الإسراء من السورة نفسها والحكمة في ذلك أن الإسراء يمكن إقامة الدليل المادي عليه، أما المعراج فلأنه سماوي لا يمكن تطبيق ذلك بشأنه[7].

---

(1) –أحمد مصطفى، تفسير المراغي، (دم: دار الفكر، ط3، 1394هـ–1974م)، ج5، ص8. أيضا: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص23. وهبة الزحيلي، تفسير الوسيط، ج2، ص1322.

(2) –عبد المجيد جودت السحار، الإسراء والمعراج، (دم: مكتبة مصر: دط، دت)، ص26.

(3) –رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، ج1، ص172.

(4) –رواه البخاري في صحيحه، باب: حديث الإسراء، ج2، ص247–248.

(5) –المعراج: من الفعل عرج، ومنه عُرج في السلم يعرج عروجا، أي ارتقى وارتفع وعلا، والمعراج شبه سلم أو درجة تعرج عليه الأرواح إذا قبضت، ومنه ليلة المعراج. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص287). وعليه فالمعراج هو الارتقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس، حيث الصخرة المشرفة إلى السماوات العلا، حيث سدرة المنتهى.

(6) –محمد محمود باجودة، الفيوض الربانية في الرحلة النورانية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1410هـ–1990م)، ص98.

(7) –حسين محمد باجودة، تأملات في سورة الإسراء، (القاهرة: دار الاعتصام، دط، 1978)، ص30

كما أن الآيات الدالة على المعراج تناولت الحديث عن المعراج تلميحا، وذلك في سورة النجم، حيث يقول تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[1]. فقد جاء معراجهﷺ ردا على منكري إسرائه، ورؤيته لجبريل، حيث أراه الله تعالى رؤية أعظم في السماوات العلا، حيث انتهي به إلى سدرة المنتهى[2].

فقد روي عن عبد الله بن عمر قال: «لما أسري بالرسول ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهذه في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض»[3].

وعلى هذا الأساس تكون حادثة الإسراء والمعراج الثابتة في مصادر الدين الإسلامي أحد أهم المنطلقات العقائدية لدى المسلمين في نظرهم إلى أرض فلسطين نظرة تقديس، وذلك لارتباط هذه الأرض بمسراه عليه السلام ومعراجه منها، ولمباركته عز وجل لها بنص آية الإسراء السابقة الذكر، كما تظل هذه الآية التي تفتتح بها سورة الإسراء الكريمة بيانا أبديا بصلة لا تنقطع بين أرض الإسلام في القدس، وأراضي الإسلام بمكة.

كما أن بحادثة الإسراء يكون الله تعالى قد ربط فيها بين عقائد التوحيد بدءا بإبراهيم عليه السلام وانتهاء بخاتم النبيين محمد ﷺ، كما أن الإسراء به إلى أرض فلسطين حيث المسجد الأقصى يكون قد ربط بين أعظم الأماكن المقدسة لديانات التوحيد التي أورثتها هذه الرحلة للرسول الخاتم باشتمال رسالته عليها، وارتباطها بهذه الأرض[4].

فحادثة الإسراء قد جمعت بين الأرضين المقدستين بجمعها بين المسجدين، المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى ببيت المقدس، فربطت بينهما برباط روحي في عقيدة المسلم ووجدانه، وذلك

---

(1) –سورة النجم: 11-18.

(2) –محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص100. انظر أيضا: سيد قطب، في ظلال القرآن، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، ط3، دت)، ج7، ص54. القرطبي، الجامع لأحكام البيان، ج17، ص94.

(3) –رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: ذكر سدرة المنتهى، رقم الحديث: 279، ج2، ص5.

(4) –سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص12.

قبل أن تتصل حدودهما بعمليات الفتح[1] التي جاءت كنتيجة فعلية لما هو راسخ في عقول وقلوب المسلمين عن هذه الأرض، على أنها الأرض التي أسري إليها النبي الكريم، ومنها عُرجﷺ ، وبشوهم بفتحها، وما فعله عمر بن الخطابرضي الله عنه يوم فتحه أرض فلسطين، ودخوله أرض بيت المقدس وإزالة النجاسة عن المسجد الأقصى، والمسلمين معه وبحثه عن المكان الذي صلى فيه نبينا الكريم، فصلى هناك ثم قرأ سورة ص وسجد شكرا على نعمة الله أن جعل هذه الأمة وارثة لكل مقدسات الأنبياء.

فهذه الأفعال إنما تنم عن شدة تعلق المسمين بهذه البقعة الطاهرة المقدسة، انطلقوا في ذلك من صورة في أذهانهم رسمتها لهم آية الإسراء عقيدة راسخة في عقولهم مستمرة معهم باستمرار وجودهم[2].

ومع حضور الخليفة عمر بن الخطابرضي الله عنه فتح المدينة بنفسه إلا لما كانت تحمله نفسه لهذه المدينة من إجلال وتقديس، وقبل بأن يحضر بنفسه من المدينة المنورة إلى أرض بيت المقدس لتولي عقد الصلح مع الصليبيين خاصة وأنه لم يفعل ذلك مع أي مدينة من المدن التي فتحت في عهده[3].

كما كان لعهدته التي ظن بها حرية العقيدة رمزا على تسامح الإسلام وتجربة عملية لتطبيق عهد الإسلام ومبادئه، وما إبقاء اليهود خارج المدينة بناء على طلب البطريك، ذلك لأن النصارى كانوا قد حرموا عليهم العيش بالمدينة المقدسة حماية للمدينة من مؤامرات اليهود ودسائسهم[4].

ومنذ أبرمت هذه الوثيقة التاريخية وبيت المقدس يحظى بعناية كبيرة من طرف حكام المسلمين، ولا أدل على ذلك لفترة حكم المماليك، حيث أولوا المدينة المقدسة اعتناء كبيرا، حيث تم بناء مسجد قبة الصخرة في عهد عبد الملك بن مروان، فكان فنا معماريا إسلاميا في غاية الإبداع، تعبر عن مدى قداسة هذا المكان عند المسلمين، ومن بعده تم إنشاء حوالي ستين مدرسة أدت دورها التعليمي والثقافي على مدى قرون طويلة، كما أنشئت التكايا والزوايا، وقد بلغ عدد المعالم الإسلامية

---

[1] –محمد عثمان شبير، بيت المقدس، ص105. انظر أيضا: عبد الفتاح حسين أبو علية، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، ص17.

[2] –محمد السمرة، فلسطين أرضا وشعبا وقضية، ص95.

[3] –هاشم يحي الملاح، الأسس العقائدية الإسلامية، مقال من كتاب: القدس في الخطاب الإسلامي المعاصر، ص21.

[4] –عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص113.

في القدس أكثر من مئتي معلم لا زالت توحي عن الوجه الإسلامي للمدينة المقدسة رغم محـــاولات التهويد التي اجتاحت المنطقة، والتي مضى عليها عشرات السنين[1].

كما أن اختياره تعالى لإسراء النبيﷺ إلى هذا المكان ومعراجه منه إنما مشيئة إلهية واختيـــار سماوي ارتسمت معه علاقة ملايين المسلمين بأرض بيت المقدس الذي خصوه بالتقديس وشد الرحال إليه للتعبد فيه لفضل الصلاة به[2].

هكذا ومنذ القرون الأولى، عدت مدينة القدس في الإسلام إحدى أهم مدن العالم قدســية، فهي ثالث مكان مقدس بعد مكة والمدينة، اهتم بها المسلمون لقدسيتها ومباركتها بنص الإســـراء، وتستمر هذه القدسية في الإسلام باستمرار هذا الدين[3].

المطلب الثالث: أرض المحشر والمنشر

وكما ارتبطت أرض فلسطين على أنها أرض القبلـــة الأولى وأرض الإســراء والمعــراج، وارتبطت أيضا باليوم الآخر على أنها أرض المحشر والمنشر[4].

وأرض المحشر والمنشر مسألة خلافية بين المسلمين، فمنهم من يعتقد بأن حشر الناس يـــوم القيامة سيكون إلى الأرض المقدسة، حيث بيت المقدس والصخرة المشرفة، وذلك اســتنادا لأقــوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[5].

---

(1) –رائف نجم، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، مقال من كتاب: القدس في الخطاب الإسلامي المعــاصر، ص161. انظر أيضا: عبد الفتاح أبو عليه، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، ص20.

(2) –سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، (المملكة العربية السعودية: دار المريخ، دط، (1406هـــ–1986م))، ص34.

(3) –معين أحمد محمود، تاريخ مدينة القدس، (دم: دار الأندلس، ط1، 1971)، ص53.

(4) –الحشر لغة بمعنى الجمع، وهو جمع الناس يوم القيامة، والمحشر المجمع الذي يحشر إليه (انظر: ابن منظور، لسان العــرب، ج2، ص882). وهو في اصطلاح الموحدين سوق جميع المخلوقات إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيــه مــن أرض القدس المبدلة التي لم يعص الله عليها لفصل القضاء بينهم. (انظر: محمد إبراهيم البيجوري، تحفة المريد، (لبنان: دار الكتــب العلمية، ط1، (1403هـــ–1983م))، ص170).

(5) –سورة ق: 41.

فهناك من المفسرين من فسر المكان القريب في الآية على أنه صخرة بيت المقدس كالطبري وابن كثير والزمخشري والقرطبي وغيرهم.

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: «أن يوم القيامة ينادي بها مناد من مكان قريب، وذكر أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس»[1].

ثم أورد هذا القول من طرق متعددة، حيث يقول: «... عن قتادة يوم ينادي المناد من مكان قريب قال: بلغني أنه ينادي من الصخرة التي في بيت المقدس»[2].

كما جاء في تفسير الكشاف أنه «يوم الخروج ينفخ إسرائيل في السور وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من صخرة بيت المقدس»[3].

كما يستندون أيضا في القول بأن أرض بيت المقدس هي أرض المحشر بحديثي رسول الله ﷺ أحدهما عن ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله ﷺ أنها قالت: «يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، فقال: أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن كل صلاة فيه كألف صلاة»[4].

---

[1] –محمد بن جرير الطبري، جامع البيان لتفسير القرآن، ج24–25، ص102. انظر أيضا: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص242. صديق بن يحي القنوجي البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، (مصر: المطبعة الكبرى ببولاق، ط1، 1301هـ)، ج9، ص89. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص27. مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج2، ص149.

[2] –المصدر نفسه، ج24–25، ص102.

[3] –محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، (مصر: مطبعة مصطفى محمد، ط1، 1354هـ)، ج4، ص25.

[4] –رواه ابن ماجة في سننه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، رقم الحديث: 1407، ج1، ص451. وذكر الألباني بأن إسناده صحيح كما قال الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري في "زوائده"، وقرأه النووي في "المجموع" وبالجملة فالحديث بشاهده وطريقه الأخرى صحيح قوي، لذلك نرى بأن الأستاذ صلاح الدين المنجد قد أخطأ حين أورد الحديث في الأحاديث الموضوعة، غير أن الألباني يرجح هذا الحديث على أنه ضعيف على أساس النقد الداخلي (المتن)، ولو صح سنده، غير أن النقد الداخلي ليس له قواعد محررة وضوابط مقررة يمكن الاعتماد عليها بخلاف النقد الخارجي (نقد السند)، فقد وضع له علماؤنا رحمهم الله من القواعد ما لا يمكن الزيادة عليه. (انظر: محمد ناصر الألباني، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، إعداد: أبو الحسن علي بن محمد الربعي، (الجزائر: الدار السلفية، ط1، 1410هـ)، ص15).

وثانيهما عن أبي ذر الغفاري قال: «قلت يا رسول الله، الصلاة في مسجدك أفضل من الصلاة في بيت المقدس؟ فقال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر»[1].

وهناك من المسلمين من يذهب غير هذا، ولا يفسر "المكان القريب" في الآية على أنه صخرة بيت المقدس، ولا يذكرون المكان بصفة التعيين، كالفخر الرازي والمراغي والطاهر بن عاشور وغيرهم.

وعلى هذا، يأتي الرأي القائل بأن أرض المحشر ستكون أرضا غير أرض الحياة الدنيا، يقول الحافظ بن حجر: «وقد وقع للسلف والخلف في ذلك خلاف في المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2]. فهل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها أو تغيير صفاتها فقط»[3]. فالذين قالوا بتبدل الأرض في الذات والصفات بأنها ستصير أرضا بيضاء لم يسل فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة، لحديث رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد»[4][5].

فإذا كان تبديل الأرض كليا في الآخرة أمر وارد، فكيف الحشر إذن على أرض الحياة الدنيا؟ نقول بأن هناك من ذهب إلى القول بأن التغيير إنما يقع في صفاتها، يقول ابن حجر: «وأما من ذهب إلى أن التغير إنما يقع في صفات الأرض دون ذاتها، فمسنده ما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن

---

(1) –رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب: في مناسك فضل الحج والعمرة، رقم الحديث: 1445، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ–1990م)، ج3، ص486.

(2) –سورة إبراهيم: 48.

(3) –أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (لبنان: دار المعرفة، دط، دت)، ج11، ص375.

(4) –رواه مسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم الحديث: 2790، ج4، ص2150.

(5) –محمد بن جرير الطبري، جامع البيان لتفسير القرآن، ج12–15، ص149. انظر أيضا: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص

عمر قال: «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم[1]، وحشر الخلائق»[2].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يبدل الله الأرض غير الأرض، والسماوات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها ففي بطنها وما كان على ظهرها فعلى ظهرها، وذلك حين يطوي السماوات كطي السجل للكتاب، ثم يدحو بهما ثم تبدل غير الأرض والسماوات»[3].

ونقل القرطبي في التذكرة عن أبي الحسن بن ابراهيم بن حيدرة في كتاب الإفصاح، حيث جمع بين هذه الأخبار فقال: «أنه لا تعارض بين هذه الآثار وأن الأرض والسماوات تبدل كرتين إحداهما هذه الأولى وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق... ثم إذا نفخ في السور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض وبدلت السماء سماء أخرى وهو قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4]. وبدلت الأرض ثم تمد مد الأديم العكاظي وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر على ظهرها وفي بطنها، وتبدل أيضا تبديلا ثانيا، وذلك إذا وقفوا في المحشر، فتبدل لهم الأرض التي يقال لها "الساهرة" ويجلسون عليها وهي أرض عفراء وهي البيضاء من فضة لم يسفك عليها دم حرام قط، ولا جرى عليها ظلم قط، وحينئذ يقوم الناس على الصراط»[5].

---

(1) –الأديم: أديم كل شيء ظاهر جلده وأدمة الأرض وجهها، قال الجوهري وربما سمي وجه الأرض أديم، وقيل أدمة الأرض باطنها، وأديمها وجهها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص45-46.

(2) –ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص376.

(3) –رواه الطبري في تفسيره: الجامع البيان لتفسير القرآن، ج12، ص151. وقد ذكره ابن حجر في: باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، عند شرحه لحديث «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي، ليس فيها معلم لأحد». ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص376.

(4) –سورة الزمر: 69.

(5) –شمس الدين بن فرح القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط2، (1407هـ-1987م))، ص218.

وعلى هذا، فإن القرطبي يذكر بأن الحشر يكون على أرض مبدلة غير أرض الدنيا، وهي الساهرة، فقد جاء في كتاب الناس من شعب الإيمان في فصل كيفية انتهاء الحياة الأولى، وانتهاء الحياة الأخرى، بأن الناس يحشرون إلى موقف العرض والحساب، فيقول تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ. فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[1].

قال البيهقي رحمه الله: «وروينا عن وهب بن منبه أنه قرأ هذه الآية وهو يومئذ ببيت المقدس، فقال ههنا الساهرة يعني بيت المقدس، وروينا عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا ما دل على الشام أرض المحشر»[2].

وذكر مجير الدين الحنبلي عن حديث ابن عمر أن أرض المحشر تسمى الساهرة[3]، وقد أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر قال: «قال رسول اللهﷺ : ستخرج النار قبل يوم القيامة من بحر حضر موت أو من حضر موت، تحشر الناس قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله، قال: عليكم بالشام»[4].

وأخرجه أيضا ابن حبان في صحيحه بإسناد آخر عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول اللهﷺ : «ستخرج عليكم نار في آخر الزمان من حضر موت تحشر الناس، قال: قلنا بما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالشام»[5]، ومنه أيضا ما روي عن عبد الله بن حوالة أنه قال: «يا رسول الله اكتب لي بلدا أكون فيه فلو أعلم أنك تبقى لم أختر عن قربك، قال: عليكم بالشام ثلاثا، فلما رأى النبيﷺ كراهيته للشام قال: هل تدرون ماذا يقول الله عز وجل؟، يقول: يا شام يا شام

---

(1) –سورة النازعات: 13-14.

(2) –البيهقي، شعب الإيمان، ج1، ص315.

(3) –مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص120.

(4) –رواه أحمد في مسنده، كتاب: مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب، باب: مسند عبد الله بن عمر...، (دم: دار الفكر، دط، دت)، ج2، ص119. (انظر أيضا: أحمد شاكر، المسند الإمام أحمد بن حنبل، (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ط1، (1414هـ-1994))، ج7، ص133).

(5) –رواه ابن حبان في صحيحه، باب: الحجاز واليمن والشام وفارس وعمان: رقم الحديث: 7261، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، (1407هـ-1987م))، ج8-9، ص206.

أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي، أنت سيف نقمتي وسوط عذابي، أنت الأندر وإليك المحشر»[1].

وعلى هذا، فالقائلين بأن التغيير يقع في صفات الأرض لا في ذاتها، يكون احتمال الحشر إلى بيت المقدس أمر وارد، وإن تبدلت صفاتها بتبدل صفات الأرض الحياة الدنيا في اليوم الآخر، خاصة وأن أرض بيت المقدس هي جزء من أرض الشام التي جاءت الأحاديث على ذكرها بأنها أرض المحشر.

وفي هذا يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوي لحديثه عن الشام «... وإليها المحشر والمعاد، كما أن من مكة المبدأ، فمكة أم القرى من تحتها دحيت الأرض والشام إليها يحشر الناس كما في قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾[2] نبه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ وإيليا معاد في الخلق، وكذلك الأمر فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إيليا ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى مملكة المهدي بالشام، فمكة هي الأول والشام هي الآخر في الخلق والأمر الكونية والدينية»[3].

ويقول أيضا: «...ودلت الدلائل المذكورة على أن "ملك النبوة" بالشام والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر وهناك يحشر الخلق»[4].

وعلى هذا الأساس، نقول بأنه من المسلمين من اعتقدوا في بيت المقدس أنها الأرض التي سيكون عليها يوم الحساب في اليوم الآخر، مما زاد من مكانتها في قلوب المسلمين، فكما ارتبط المسلمون بهذه الأرض في حياتهم الدنيا على أنها أرض القبلة التي كانوا يصلون إليها والأرض التي كان أسري بالنبي ﷺ إليها، وكان معراجه منها، ارتبطت أيضا حياتهم الآخرة بها، الأمر الذي عمق شدة تعلق المسلمين بها، وزادت من قدسيتها عندهم.

---

(1) –وقد صححه الألباني في كتابه تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، ص32.

(2) –سورة الحشر: 2.

(3) –أحمد بن تيمية، مجموعة فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المغرب: مكتبة المعارف، دط، دت)، ج27، ص507.

(4) –المصدر نفسه، ص43.

المطلب الرابع: أرض المقدسات الإسلامية

وكما علمنا سابقا بأن أرض فلسطين ترجع قدسيتها في الإسلام إلى كونها أرض قبلة أولى وأرض إسراء ومعراج، وأرض محشر ومنشر، فهي كذلك مقدسة لكونها تحوي مقدسات إسلامية هامة على رأسها المسجد الأقصى المبارك، والصخرة المشرفة التي جاءت الآثار على ذكرها على أنها المكان الذي عرج منه النبيﷺ ، وعلى هذا الأساس الروحي تبوأت هذه المقدسات مكانة روحية خاصة في نفوس المسلمين، فقصدوها بالزيارة وذلك بغية الصلاة لفضل الصلاة بالمسجد الأقصى بزيادة الحسنات والتقرب من الله عز وجل، خاصة وأن فكرة الالتجاء الروحي إلى المكان المقدس أمر جوهري في طبيعة الأديان جميعا، وهي بصفة خاصة في طبيعة الأديان السماوية، وسنقتصر في هذا المطلب على ذكر أهم المقدسات المتواجدة بأرض فلسطين، وليس جميعها، والمتمثلة في:

1-المسجد الأقصى

المسجد الأقصى أحد أهم الأماكن الدينية المقدسة في الإسلام، يأتي في المرتبة الثانية بعد المسجد الحرام بمكة من حيث التقديس.

وقدسية المسجد عممها القرآن الكريم وثبتها بنص آية الإسراء السابقة الذكر، ومن منطلق الآية الكريمة تأتي قداسة ومباركة المسجد الأقصى لتعمم هذه القداسة وتشمل أرض المسجد الأقصى على أرض فلسطين باعتبار أن المسجد الأقصى جزء من أرض القدس، وأرض القدس جزء من أرض فلسطين، وعلى بلاد الشام، لأن أرض فلسطين هي جزء منها، وهكذا فإن حركية البركة تنطبق على كامل المنطقة التي ضمت أرضها أرض المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين ومسراهﷺ إليه، وعليه تأتي مسؤولية المسلمين في الحفاظ على هذه المقدسات وحمايتها التي هي واجب كل مسلم[1].

وتسميته بالأقصى جاء ذكرها في القرآن الكريم من سورة الإسراء، وفيها ما هو صريح بشأن المسجد على أنه خاص بالمسلمين لأن لفظ المسجد هو المبنى الخاص بعبادة المسلمين[2].

---

[1] -عبد الفتاح حسن أبو علية، القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، ص41-42.

[2] -محمد أحمد محمود حسن، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، ص96.

فحين نزول الآية الكريمة لم يكن في ذلك المكان بناء معروف للمسجد الأقصى وإنما سمي في الآية مسجد لأنه مكان العبادة[1].

وأما أمر بناء المسجد الأقصى قديما، فقد تعددت الروايات التاريخية في أمر بنائه إن كان داود عليه السلام أول من بدأ ببنائه أم ابنه سليمان عليه السلام، أم هناك غيرهما من بدأ بأمر البناء.

يذكر مجير الدين الحنبلي بأنه اختلف فيمن بنى بيت المقدس أولا، فروى بعض العلماء أن أول من بناه هم الملائكة، ومنهم من قال أنه آدم عليه السلام، ومنهم من قال بأنه سام بن نوح[2]. هذا قبل داود عليه السلام، كما اختلف أيضا في أمر بنائه زمن داود إن كان هو أم ابنه.

فذكر ابن الأثير بأن بناءه كان زمن داود عليه السلام، وقد كان اكتشافه للمكان على إثر دعائه منه بأن يكشف وباء الطاعون الذي أصابهم، فاستجاب الله له، فاتخذ ذلك المكان مسجدا وبدأ بناءه وتوفي قبل أن يستكمله، فأوصى ابنه سليمان بإتمامه[3].

كما ذكر رواية أخرى، مفادها أن سليمان هو أول من ابتدأ بناء المسجد لاشتغال داود بالحروب، وهو ما ذكره أيضا اليعقوبي[4]، وقد ذكر مجير الدين الحنبلي رأيا توفيقيا بين هذه الآراء على أساس أن داود وسليمان عليهما السلام لم يكونا هما المؤسسان لهذا البناء، وإنما مجددان له على أساس قديم[5].

وكما اختلف فيمن وضع حجر الأساس للمسجد الأقصى قديما والذي انحصرت تسميته اليوم بمبنى المسجد الواقع جنوبي مسجد الصخرة اختلف أيضا حول تاريخ بنائه، فمن الروايات ما

---

(1) –معين أحمد محمود، تاريخ مدينة القدس، (دم: دار الأندلس، ط1، 1979م)، ص175.

(2) –مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص70–71.

(3) –محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط5، 1405هـ–1985م)، ج1، ص127.

(4) –المصدر نفسه، ص127. انظر أيضا: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر، دط، دت)، ج1، ص58. انظر أيضا: المسعودي، مروج الذهب، ص56–57.

(5) –مجير الدين الحنبلي، المصدر السابق نفسه، ص74.

تفيد أن من باشر بالبناء هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام 72 أو 74 للهجرة الموافق لـ691-693م.

وهناك رواية أخرى تفيد أن الذي باشر البناء هو الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقد وفق المؤرخ عارف العارف بين هذا التعارض، فذكر بأن الخليفة عبد الملك بن مروان هو من باشر البناء وبلغ تمامه في عهد الوليد[1].

وهذا إن دل، فإنما يدل على مدى اهتمام المسلمين بهذا المسجد لمكانته الدينية العالية في نفوسهم، إذ لم يتوقف أمر الاهتمام به عند حكم المماليك فقد، وعلى إثر الزلزال الذي تعرض له هذا المسجد عام (130هـ-746م) وآخر عام (158هـ-774م)، والذي دمر البناء فأمر بإنشائه الخليفة الفاطمي الظاهر، كما أجريت على المسجد ترميمات كثيرة في عهد سلاطين المماليك والعثمانيين، وصولا إلى فترة تشكيل المجلس الإسلامي الأعلى في عهد الانتداب البريطاني، وهي أحدث الإصلاحات، وكانت سنة 1922م[2].

وكذلك إصلاحات 1938م التي كانت في ساحة الحرم، وكذلك بعض أعمال الزخرفة والنقش تحت أيادي مهندسين وفنيين مصريين[3].

والشكل الهندسي للمسجد يضم طرازا معماريا بيزنطيا ويونانيا وسوريا وعربيا إسلاميا اشترك فيه مهندسون ومعماريون وفنيون أبدعوا في تصميمه وزخرفته تشهد الدنيا على روعة فنه وجماله إلى يومنا هذا[4].

أما بالنسبة لمساحة المسجد الأقصى فأمر مختلف فيه لاختلاف وسيلة القياس بين الذراع الشامي الذي قيس به مجير الدين الحنبلي[5]، والذراع المالكي الذي قيس به ابن بطوطة[6]، وأما

---

(1) -أحمد العلمي، عصام فؤاد، إبراهيم الدقاق، المقدسات في القدس الشريف، (فلسطين: مشورات وزارة الإعلام الفلسطينية، ط1، 1996م)، ص5.

(2) -المرجع نفسه، ص5-7. انظر أيضا: محمود العابدي، قدسنا، (دم: مطبعة الجبلاوي، دط، 1972)، ص94.

(3) -معين أحمد محمود، تاريخ مدينة القدس، ص179.

(4) -أحمد العلمي، المقدسات في القدس الشريف، ص6.

(5) -مجير الدين الحنبلي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص

(6) -ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1، ص33.

قياساته حديثا كما أوردها محمود العابدي بأن طوله 80 مترا وعرضه 55 مترا، وقد حددت جميع أعمدته القديمة، وبذلك تم توحيد أشكالها وعددها خمسة وثلاثون عمودا، ومعها تسعة وتسعون سارية مربعة[1].

وهذه الأعمدة تقوم على قواعد جميلة تعلوها تيجان في غاية الإبداع والجمال، وفي أعلى الأقواس صنفان من الشبابيك يقسم القسم السفلي نحو الرواقين الجانبيين، وسطح الرواق الرئيسي أعلى من سطح الرواقين المجاورين له، وفوق كل رواق من هذين الرواقين نصبة من الخشب مرتفعة قليلا في الوسط وتسمى "الحملون"، أما بالنسبة للقباب، فهي تسعة قبة السلسلة وقبة المعراج وقبة محراب النبي وقبة يوسف وقبة الشيخ الخليلي وقبة الخضر وقبة موسى وقبة سليمان، وأخيرا القبة النحوية.

أما المآذن المتواجدة في المسجد الأقصى فهي أربعة: مئذنة باب المغاربة، مئذنة باب السلسلة، مئذنة باب الغوانمة، ومئذنة باب الأسباط[2].

وللمسجد أيضا سبعة أبواب يربط بينها وبين السبع قناطر مؤلفة للرواق الذي يقابل الداخل إلى المسجد من جهة الجنوب من الحرم، وعدى هذه الأبواب بابين، واحد في الجهة الشرقية والآخر في الجهة الغربية، وهناك أيضا مدخل لجامع النساء في الركن الجنوبي الغربي للمسجد، وقد بني في عهد الفاطميين، ويقع في الجهة الشمالية الغربية إيوان كبير، ويقع بالقرب منه إيوان جميل يسمى محراب زكريا[3].

والحديث عن المسجد الأقصى يطول لكثرة ما جاء في وصفه، نقتصر على هذا القدر*.

وقد تعرض المسجد الأقصى الذي يعد من أهم مقدسات المسلمين بأرض فلسطين إلى عمليات الحفر فأصبح مهددا بالسقوط، والنوايا اليهودية تجاه هذا المسجد والمدينة بكاملها باتت من

---

(1) –محمود العابدي، قدسنا، ص97.

(2) –أحمد العلمي، المقدسات في القدس الشريف، ص6.

(3) –مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص45 وما بعدها. انظر أيضا: محمود العابدي، قدسنا، ص94.

* –لمزيد من التفصيل، انظر: مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص45 وما بعدها.

الأمور المعلن عنها وما عمليات التهويد السريعة للمدينة إلا من دلالات هذه النوايا، هدفها الأساسي هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه، ولذلك جاءت الحفريات تحت هذا المسجد مثبتة لذلك.

وقد أفصح وزير الأديان زيرح فارهافنيك عن مرامي أعمال الحفريات والتنقيب تحت المسجد الأقصى وحواليه قائلا: «إن الدراسة التنظيمية تستخدم مادة للبحث في بلورة أفكار تمكن دمج وضع حائط المبكى الروماني والثقافي والتاريخي مع تطلعات الشعب اليهودي في تشييده للهيكل الثالث»، كما أجمل أمين القدس روحي الخطيب في تقرير له بتاريخ 25-08-1974م، أهداف اليهود من الحفريات المقامة تحت المسجد الأقصى، للكشف عن أكبر قدر ممكن من الآثار الهيرودية المتعلقة بالهيكل، وأما الآثار المكتشفة الأخرى والتي تعود إلى عصور أخرى كالعصر الإسلامي والبيزنطي والروماني، ورغم أهميتها وكثرتها لا تحظى بنفس الاهتمام، بل إن وجودها يشكل عائقا في بعض الأحيان للكشف عما يريدون، والدليل على ذلك تركيزه على المناطق التي تبدو مشجعة أكثر للكشف عن آثار ترجع إلى ما يسمونه بالعصر اليهودي[1].

غير أن هذه الحفريات باءت بالفشل في العثور على دلائل أثرية ولو حتى دليلا واحدا عن وجود الهيكل، وهو ما أثبته المراقبون على ما توصل إليه الأثريون، وهو ما أكده الصحفي ديفيد بريس جونز في استطلاع له مع المسؤول عن التنقيب بنيامين مازار[2].

2-مسجد قبة الصخرة

ارتبطت الصخرة المشرفة بالإسلام منذ كانت قبلة المسلمين والأنبياء من قبل، وهي أيضا المكان الذي عُرج منه عليه السلام للسماوات العلا، وعليه جاء اعتناء المسلمين بها، حيث أقاموا بها مسجد قبة الصخرة.

يقع مسجد قبة الصخرة في الجزء الشمالي من ساحة المسجد الأقصى، وقد بني فوق الصخرة المشرفة[3].

---

(1) -محمد علي أبو حمده، المسجد الأقصى المبارك وما يتهدده من حفريات، (عمان: مطبعة الشرق، دط، (1402هـ-1982م))، ص66.

(2) -المرجع نفسه، ص66. انظر أيضا: محمد حلاء إدريس، أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، ص54.

(3) -فايز فهد جابر، القدس ماضيها وحاضرها ومستقبلها، (عمان: دار الجيل، ط1، 1985)، ص44.

وتقع الصخرة نفسها تحت قبة المسجد مباشرة طولها من الشمال إلى الجنوب حـــوالي 18 مترا، وعرضها من الشرق إلى الغرب 13 مترا ونصف، ارتفاعها يتراوح بين 1مترا في بعض أجزائـها و 2مترا في الأجزاء الأخرى منها[1].

ويتجه جانبها المنحدر نحو الشرق وأسفل الصخرة يوجد كهف عمقه متر ونصف، حيـث الصخرة، وكأنها معلقة بين السماء والأرض، وهي خلاف الصخرة التي يتحدث عنها اليهود الـــتي وردت في أسفارهم تحت اسم "أبين هاشيتا" بمعنى حجر الأساس، والتي كانت تتوسط هيكلهم الذي هدم أكثر من مرة[2].

فبين صخرة نواة قدس الأقداس التي أقيم عليها هيكل سليمان وبين الصخرة المشرفة الـــتي أقيم عليها مسجد الصخرة تباعد كبير، وذلك انطلاقا من وصف التلمود لبهذه الصخرة التي يذكـــر بأنها ترتفع على سطح الأرض بثلاثة أصابع، بينما الصخرة المشرفة ترتفع عن مستوى الأرض بنحـــو متر كامل وعليه يبطل الزعم اليهودي القائل بأن مسجد قبة الصخرة قد قام مقام الهيكل[3].

وقد بدأ العمل ببناء مسجد الصخرة ما بين عام (66هـــ-685م) و (68هـــ-688م) بـــأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وقد أشرف على هذا البناء رجاء بن حيـــوة الكنـــدي[4]. ولقد أراد الخليفة عبد الملك من هذا البناء تحقيق ما جاء من الأحاديث النبوية من شد الرحال إليـــه وأنه مسرى النبيﷺ ومعراجه، خاصة وأن حادثة الإسراء والمعراج هي جزء من العقيدة الإســـلامية،

---

(1) -محمد سلامة النحال، فلسطين أرض وتاريخ، ص201. انظر أيضا: عبد الفتاح أبو علية، عبد الحليم عويـــس، بيـــت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، ص41-42. لمزيد من التفصيل في وصف الصخرة انظر أيضا: مجير الدين الحنبلي، الأنـــس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص53 وما بعدها. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأســـفار، ج1، ص33-34.

(2) -فايز فهد جابر، القدس ماضيها حاضرها ومستقبلها، ص44.

(3) -محمد أحمد محمود حسن، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، ص127.

(4) -رجاء بن حيوة الكندي: (112هـــ)، وفيها توفي أبو المقدام رجاء بن حيوة الكندي الشامي الفقيه، وكـــان شـــريفا نبيلا. انظر: الحافظ الذهبي، العبر في خبر من عبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلميـــة، ط1، (1405هـــ-1985م))، ج1، ص106.

فكان من حسن التدبير إقامة مسجد يتعبد فيه المسلمون بهذا المكان الذي يضرب بجذور قداسته إلى الأنبياء السابقين، حيث كانوا يتعبدون[1].

أما بالنسبة لموقع البناء، فيذكر عبد الفتاح حسن أبو علية بأن بعض الكتاب والمؤرخين قالوا بأن مسجد الصخرة يضم مسجد عمر رضي الله عنه، وذلك بناء على روايات كثيرة لقدماء ومحدثين، فذكروا بأن الإفرنجة ظلوا يسمون مسجد الصخرة بمسجد عمر[2].

وهو ما ذكره غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" من أن الصخرة المقدسة واقعة وسط جامع عمر[3].

أما من حيث وصف المسجد، فتوجد به قبة واسعة تغطي سقفه على شكل مسنن، طول كل ضلع من أضلاعه 20 مترا وارتفاعه 10 أمتار، وقد وصف القبة ابن الفقيه في كتابه "مختصر البلدان"، فقال: والقبة بناها عبد الملك بن مروان على 12 ركنا و30 عمودا، وهي قبة عليها صفائح الرصاص وصفائح النحاس مذهبة وجدرانها من الداخل وملبسة بالرخام الأبيض»[4].

وقال ابن بطوطة في وصفها: «هي أعجب المباني وأثمنها وأغربها شكلا، قد توفر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد، يصعد إليها في رخام ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروذ بالرخام أيضا محكم في الصنع، وكذلك داخلها [...] وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار»[5].

هذا من حيث وصف قبة الصخرة، أما أبواب مسجد قبة الصخرة فلها أبواب من الجهات الأربع بابها القبلي ويقابل المسجد الأقصى، وعن يمين الداخل منه يوجد المحراب ويقال له دكة

---

(1) محمد أحمد محمود حسن، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، ص8. انظر أيضا: عبد الفتاح حسن أبو علية، القدس دراسة تاريخية، ص71-72.

(2) عبد الفتاح حسن أبو علية، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، ص66-69.

(3) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص159.

(4) عبد الفتاح حسن أبو علية، المرجع السابق، ص74.

(5) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1، ص33.

المؤذنين، وباب شرقي يقابل قبة السلسلة، والباب الشمالي ويسمى أيضا باب الجنة، والباب الغربي يقابل باب القطانيين[1].

وتوجد حول قبة الصخرة خمس قبب تحيط بها من الشرق قبة السلسلة أقيمت في عهد عبد الملك، وعن يمين الصخرة من جهة الغرب، وقبة المعراج، وكذلك قبة موسى، وتوجد في اتجاه باب السلسلة، وكانت تعرف قديما بقبة الشجرة وكذا قبة الطومار، وتقع على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة مما يلي الشرق، وأخيرا قبة سليمان بالقرب من باب الدويدارية[2].

وقد بلغ من تعظيم المسلمين لقبة الصخرة، كما جاء في كتاب أن المسلمين كانوا يطحنون الزعفران ويمزجونه بالمسك والعنبر والماء وردي الجوري ويخمرونه ليلة كاملة ويذهبون به كل اثنين وخميس إلى مسجد قبة الصخرة، وذلك بعد اغتسالهم وبعد أن يغسلوا الصخرة يأتون بمجامر الذهب والفضة فيها العود الممزوج بالمسك والعنبر، ويدورون بها حول الأعمدة كلها، ثم يحملون البخور ويدورون حول الصخرة وينادي المنادي في سوق البزارين أن الصخرة قد فتحت للناس، فمن أراد الصلاة فليأت[3].

وعلى هذا الأساس نقول بأن مكانة هذا المسجد جاءت من مكانة ما يحتويه من أهم أثر إسلامي، وهو الصخرة المشرفة التي عرج منها المصطفى ﷺ ، ومنها تعرج الملائكة مما أعطى المسجد قدسية خاصة لدى المسلمين عامة، ولا أدل على ذلك مدى اهتمام المسلمين بهذا المسجد واعتنائهم به على مر تاريخهم.

3-حائط البراق

وقد اكتسب هذا الحائط تسميته بحائط البراق، من ربط النبي ﷺ براقه عند هذا الحائط عندما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك[4].

---

(1) -سيد عبد المجيد بكر، أشهر المساجد في الإسلام، (المملكة العربية السعودية: مطابع سحر، دط، دت)، ج1، ص318.

(2) -المرجع نفسه، ص318.

(3) -محمود العابدي، قدسنا، ص93.

(4) -أحمد العلمي، المقدسات في القدس الشريف، ص 7.

ومن هذه الحادثة اكتسب قداسة خاصة عند المسلمين منذ وطئت قدمه ﷺ هذا المكان حتى الآن. وحائط البراق هو جدار يبلغ طوله بالأمتار إلى ما يزيد عن المائة متر، وعلوه نحـــو عشـــرين مترا[1].

والحجارة الضخمة المتواجدة في أسفل الحائط وخاصة المداميك الستة المنحوتة والتي ترجـــع حسب رأي أغلب علماء الآثار إلى زمن هيرودس (الهيكل الثاني)، أما المداميك الثلاثة التي تعلوهـــا فهي ترجع إلى عهد أحدث، ومن المرجح أنها ترجع إلى عام 500 ق.م، وأما ذلك الجزء من الحـــائط الذي كان دائما مدار خلاف ونزاع بين المسلمين واليهود، فهو ما يمثل 30 مترا من الحائط، والـــذي يمتد أمامه رصيف بحيث لا يستطاع سلوكه إلا من الجهة الشمالية من زقاق ضيق من باب السلسلة، ويمتد هذا الرصيف جنوبا إلى حائط آخر، ويفصل هذا الحائط بخط مستقيم رصيف حائط البراق عند بضعة بيوت عربية خصوصية، وعن موقع مسجد البراق في الجهة الجنوبية[2].

ويقوم حائط ثالث في الطرف الشمالي من الرصيف وفيه باب يفصل هذه الجهة عن الفنـــاء المتواجد أمام مقر الحاج أمين الحسيني، والذي صادرته سلطات الاحتلال مؤخرا وحولته إلى "كنيـــس يهودي". أما الجهة المقابلة للحائط، فيحدها الحائط الغربي وبيوت حارة المغاربة، وعلى مسافة قصيرة من الرصيف في الجهة الجنوبية يوجد داخل الحائط تجويف كغرفة صغيرة تقول النقول الإسلامية بـــأن النبي ﷺ ربط فيه براقه ليلة أسري به، وفي هذا المكان المقدس يوجد موضع الحلقة التي ربط بهـــا ﷺ البراق.

وعلى هذه البقعة المباركة ترتكز مساعي اليهود لضرب المقدسات الإسلامية، حيث أقـــاموا الحفريات تحت حائط المسجد لادعائهم بأنه من بقايا آثار هيكلهم. وحائط البراق غير حائط هيكـــل اليهود، ذلك لأن تعليمات الإمبراطور الروماني أدريانوس لقائده بإخماد ثورة اليهود أدت إلى القضـــاء وتدمير الهيكل تدميرا شاملا، وإزالته من الوجود، وبناء هيكل آخر لعبادة الشمس على أنقاضه[3].

---

(1) –فايز فهد حابر، القدس ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ص25.

(2) –المرجع نفسه، ص25.

(3) –المرجع نفسه، ص 26.

4-الحرم الإبراهيمي

الحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل هو من الأماكن المقدسة التي يقصدها المسلمون لغرض الصلاة وزيارة أضرحة الأنبياء عليهم السلام[1].

ويأتي في القدسية بعد القدس، ويقصده المسلمون بالزيارة من جميع أنحاء العالم الإسلامي، خاصة وأن إبراهيم عليه السلام نبي من أنبياء الله، فيصلي المسلمون عليه خمس مرات في الصلاة الإبراهيمية، ويعظمونه ويذكره القرآن بأجل الصفات، ونظرا لهذه المكانة الرفيعة لإبراهيم 22 عند المسلمين عمل الأمويون على بناء مسجد الخليل فوق المغارة التي تضم قبور الأنبياء، وأصبح المسلمون يعتبرونه رابع مسجد في الإسلام[2].

غير أن هذا الحرم دُنس من طرف سلطات الاحتلال الإسرائيلي ومنع المسلمون من تأدية الصلاة فيه، وقد صرح وزير الأديان اليهودي "زيرح" في اجتماع عقد في القدس بتاريخ 12-08-1967م، بأن المغارة التي تتواجد بالحرم الإبراهيمي مكان مقدس لليهود، وأنه حقهم بالشراء والفتح[3]، خاصة وأن أطماع الصهاينة في السيطرة على الأماكن المقدسة بأرض فلسطين ظهرت نواياهم في ذلك منذ دخولهم إليها، محاولين بشتى الطرق والوسائل الاستيلاء على مكان البراق، وتسلحوا واستعملوا القوة في ذلك والتمهيد للاستيلاء على الأقصى بهدف تدميره وبناء الهيكل مكانه[4].

أما من حيث موقعه، فالحرم الإبراهيمي يقع جنوب شرق مدينة الخليل، ويحيط المسجد سور عظيم بسمك ثلاثة أذرع نصف من كل جانب، وعدد مداميكه من أعلى مكان هو عند باب القلعة من جهة الغرب 15 مدمكا، وارتفاع البناء من ذات المكان عند باب القلعة جهة الغرب 26 ذراعا عند الطبلخانة (مكان دق الطبل)، وعرض كل مدماك من السور نحو ذراع وثلث ذراع[5].

---

(1) -عبد الحميد السائح، ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى، (مصر: دار الشعب، دط، 1970)، ص61.

(2) -محمود السمرة، فلسطين أرضا وشعبا وقضية، ص105.

(3) -عبد الحميد السائح، المرجع السابق، ص61.

(4) -محمد سلامة النحال، فلسطين أرض وتاريخ، ص203.

(5) -وصف الحرم الإبراهيمي: www. Hebron 2000. Tripod Com/ haram

وللمسجد مئذنتان قائمتان على السور الأولى من جهة الجنوب الشرقي، والثانية من جهة الشمال الغربي، وهما مربعتا الشكل، ترتفع كل واحدة منها على 15 مترا فوق السطح وانقام داخل السور طوله قبلة الشمال من صدر المحراب عند المنبر إلى صدر المكان الذي به ضريح يعقوب عليه السلام 80 ذراعا، وعرضه شرقا بغرب من السور الذي به باب الدخول إلى صدر الرواق الغربي الذي به شباك يتوصل منه إلى ضريح سيدنا يوسف عليه السلام 41 ذراعا، يزيد ثلث أو نصف ذراع. وعلى نحو النصف من جهة الجنوب إلى الشمال، وهو ثلاثة أكوار الأوسط منها يرتفعان الكورين الملاصقين له من جهة الشرق والغرب، والسقف مرتفع على أربعة أسوار محكمة البناء، وبصدر البناء المعقود تحت الكور الأعلى يقع المحراب، وبجانبه المنبر الأثري ويقابل المحراب والمنبر دكة المؤذنين، وهي قائمة على عمد رخامية على شكل دائري، وهو من عمارة تعود إلى عهد السلطان محمد بن قلاوون (732هـ-1331م) [1].

أما وصف المسجد حديثا، ففي داخل المسجد السليماني يوجد المصلى الرئيسي والصحن المكشوف وما يحيط به من أروقة وقباب وغرف، ويحد الصحن المكشوف من الجهة الجنوبية إيوان معقود والقبتان ترمزان لقبري إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجته سارة، وبينهما فسحة معقودة بجوارهما غرفة سدنة المسجد، كما توجد منارة فوق الركن الشمالي الغربي لجدار الحصن السليماني، وأخرى فوق الركن الجنوبي الشرقي، ويلاصق الجدار الشرقي الحصن من الخارج مسجد الحاوي، ويلاصق الجدار الغربي للصحن من الخارج ابتداء من الركن الجنوبي الغربي غرفة سيدنا يوسف عليه السلام تعلوها المدرسة المنسوبة للسلطان حسن، والغرفة ترمز للقبر، ثم السلم المستحدث سنة 1950.

أما بالنسبة لمداخل المسجد حاليا ثلاثة، الأول يقع في الجنوب الشرقي للمسجد، وهو الباب الرئيسي له درج، والباب دمره اليهود في عام 1968، والباب الثاني يقع في الشمال الغربي، ويقع الباب الثالث قرب الميضأة الغربية[2].

---

(1) -وصف الحرم الإبراهيمي: www. Hebron 2000. Tripod. Com/ haram.

(2) -المرجع نفسه.

خامسا: الزوايا

توجد إلى جانب هذه المقدسات السابقة الذكر زوايا كثيرة من أهمها:

1-الزوايا النقشندية: وسميت أيضا بالأزبكية، وتقع في حارة الواد بالقرب من زوايا الحرم الشمالية الغربية، وعلى بعد بضعة أمتار من باب الغوانمة بناها مؤسس الطريقة النقشندية الشيخ محمد بهاء الدين نقشيند البخاري فوق أرض اشتراها لإيواء الغرباء، وإطعام الفقراء من مسلمي بخارة وتركستان وجاوة[1].

2-زاوية الهنود: أسسها بابا فريد شكر كنج، من مسلمي الهند، وقد أتى بيت المقدس قبل 4 قرون للعبادة وتقع شمال المدينة بداخل السور عند باب الساهرة، وفيها مسجد، ولها وقف بسبب حطة.

3-الزاوية البسطانية: أقيمت قبل سنة (770هـ-1368م)، أوقفها الشيخ عبد الله البسطاني، وموقعها في حارة المشارقة[2].

4-الزاوية القادرية: وسميت بزاوية الأفغان أيضا لكثرة المنتمين إليها من الأفغان، وتقع في حائط الواد، تبعد بضعة أمتار من الزاوية النقشندية إلى الجنوب الغربي.

5-الزاوية المولاوية: تقع في حارة السعدية، ويقيم فيها المؤيدون لهذه الطريقة ببيت المقدس في أوائل الحكم العثماني[3].

6-زاوية المغاربة: وهي بأعلى حارة المغاربة، وقف الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي، وكان رجلا صالحا، وقد أنشأها من ماله الخاص ووقفها على الفقراء والمساكين.

7-زاوية البلاسي: تقع بظاهر القدس الشريف من جهة القبلة، تنسب للشيخ محمد البلاسي، وكان من أهم الصالحين وقبره بها، ويقصده الزوار للزيارة[4].

---

(1) -الأهمية الدينية لمدينة، www. http : beddam. Jeeran. com

(2) -مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2 ، ص 100.

(3) -الأهمية الدينية لمدينة، المرجع السابق.

(4) -مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2 ، ص96-97.

6-الأضرحة والمقامات

وحيث أن أرض بيت المقدس اشتهرت بكثرة الزائرين لها من علماء وباحثين ورجال دين، لمكانتها الدينية المتميزة الأمر الذي جعل لهؤلاء الزائرين إطالة الإقامة بها والتوصية بدفنهم بها، ومن هذه الأضرحة:

1-مقبرة ماملا: وتسمى مأمن الله أيضا، أو باب الله، ويسميها اليهود ببيت النصارى بأبياد وهي من أكثر المقابر المتواجدة هناك، تقع غربي مدينة القدس على بعد كيلومترين من باب الخليل، وهي المكان الذي نصب فيه سيدنا سليمان ملكا، وفيها دفن عدد كبير من الصحابة والمجاهدين أثناء الفتح.

2-مقبرة الساهرة: سميت أيضا مقبرة المجاهدين، تقع عند سور المدينة من الجهة الشمالية، وعلى بعد بضعة أمتار من الباب المعروف بالساهرة، وهي المقابر الإسلامية القديمة العهد.

3-مقبرة باب الرحمة: تقع عند سور الحرم من الشرق فوق وادي جهنم، وهي من المقابر الإسلامية المشهورة، فيها قبور عدد من الصحابة والمجاهدين، اشتركوا في الفتح الإسلامي العمري والصلاحي، وهي أقرب الترب للمدينة[1].

4-المقبرة اليوسفية: وتقع عند باب الأسباط، وإلى الشمال من مقبرة باب الرحمة.

5-مقبرة النبي داود: وتقع في حي النبي داود عليه السلام على جبل صهيون.

6-مقبرة الأحشديين: وتقع في مقبرة باب الأسباط، وبها قبر محمد بن طخيح الأخشيدي، مؤسس الدولة الأخشيدية بمصر[2].

وأخيرا نقول وبناء على قدسية أرض فلسطين ومكانتها الدينية الهامة لدى المسلمين، ذلك الرباط الإلهي الذي شدّ به المسلمين بالمسجد الأقصى جعل من أرض فلسطين ليست مجرد أرض فحسب، بل هي أرض الأنبياء وقبلتهم، ومورث الرسالات السماوية والرسالة الخاتمة، وهي أرض

---

(1) -مجير الدين الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص120-122.

(2) -الأهمية الدينية للمدينة؛ www. http : beddam Jeeram. com

المسجد الأقصى ثالث الحرمين، فهي بذلك أرض وقف إسلامي بمعناها الديني، ائتمن الله المسلمين عليها، وانطلاقا من قداسة أرض فلسطين تكون بذلك ليست مجرد أرض يدور الصراع حولها لأجل حدود جغرافية أو أهداف سياسية فحسب، بل هي أرض لها من المكانة الدينية لدى الديانات الثلاث ما يجعلها **أثرا في توجيه الصراع الدائر بالمنطقة، خاصة وأن الطرف المواجه في الصراع منطلقاته الفكرية والسياسية دينية بحتة.**

والسؤال الذي **نطرحه هنا إلى أي مدى تؤثر قدسية الأرض على الصراع** الدائر بالمنطقة؟ **وهو ما سنحاول الإجابة عنه في الفصل الموالي.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

أثر قدسية الأرض على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل

الجذور الدينية للصراع

عرفت الأرض المقدسة صراعات كثيرة وعنيفة لما لها من قدسية خاصة لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث، فالصراع حولها اتسم بصبغته الدينية ومنذ القدم، فمحاولة بني إسرائيل الدخول أرض كنعان بقيادة موسى عليه السلام ومن بعده يشوع، كانت منطلقاته الفكرية دينية بحتة، كما شهدت المدينة المقدسة أيضا في القرنين 12 و13 للميلاد[1] صراعا عنيفا بين المسلمين والمسيحيين كان للمقدّس فيها أثره الظاهر، وذلك من خلال:

-أن الحرب الصليبية كانت حربا مقدسة، وذلك بسبب الطبيعة الخاصة لفكرتها التي انطلقت منها، والقائمة على استرداد الأراضي المقدسة التي ضاعت من أيدي المسيحيين، وإنقاذ قبر المسيح ومقدساتهم من المسلمين[2]. وهذه الفكرة قد عضدتها حملات الحج المستمرة التي أكدت بأن قبر المسيح والأماكن المقدسة هي إرث للمسيح[3]، وعليه أن تظل تحت السيطرة المسيحية.

-ارتباط فكرة الحرب الصليبية بالنظام السياسي المقدس، فقد ورد في إحدى عظات البابا أوربان الثاني أن: «الرب هو الذي يدعوكم ولست أنا، وليعلموا كل حاضر وليبلغ كل غائب أنها أوامر المسيح». كما كانت تحية البابا للصليبيين لاعتبارهم "جنود المسيح"، وعليه أطلق الصليبيون على أنفسهم بأنهم "جيش الرب"[4].

وهذا ما يعطي دلالة واضحة على أن الحرب الصليبية كانت حربا دينية بدءا بتسميتها الدالة عليها وانتهاء إلى أهدافها واسترجاع المدينة المقدسة، حتى أن هذه الحرب عدّت وسيلة لخلاص

---

(1) رشاد الإمام، مدينة القدس في العصر الوسيط، (تونس: الدار التونسية للنشر، دط، 1396هـ-1976م)، ص47.

(2) جوناثان ريلي سميث، ما الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، (مصر: دار الأمين، ط1، 1999م)، ص41. ينظر أيضا: محمد نور الدين أفاية، الغرب المتخيل، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م)، ص146.

(3) إيتش. إ. مايير، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، (مصر: دار الأمين، ط1، 1999م)، ج1، ص12.

(4) جوناثان ريلي سميث، المرجع السابق، ص43.

أولئك الذين يشاركون فيها، وهم إنما يقومون بواجبهم نحو المسيح، وتخليص قبره من حكم المسلمين ووجب عليهم تحرير المدينة المقدسة بكاملها[1].

ولقد كان اتسام الحرب بالقداسة من تأثير المسلمين إبان استرداد المسلمين لإسبانيا التي تركت أثرها في الرؤية المسيحية للحرب، واعتبرت استرداد القدس حربا مقدسة[2].

وبقيت أرض فلسطين المقدسة تحت السيطرة المسيحية بعدما كانت تحت الحكم الإسلامي، إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي وأراد أن يسترجع حكم المسلمين للأرض المقدسة أرض بيت المقدس، وتجدد الصراع مرة أخرى بين المسيحيين والمسلمين، وكانت فكرة استرجاع المسلمين لأرض بيت المقدس ذات خلفية دينية محضة، لما تمثله هذه المدينة في فكر وعقيدة المسلمين، ولما لها من المكانة الهامة في قلوبهم، وما تحويه أراضيها من مقدسات المسلمين خاصة المسجد الأقصى الذي باركه الله تعالى بنص القرآن، كما كان إليه إسراؤه ومعراجه منه ﷺ، فكان دافع المسلمين في هذه الحرب إنما استرجاع بيت المقدس إلى الحظيرة الإسلامية، فبمجرد أن دخلت جيوش المسلمين إلى القدس قصد صلاح الدين والمسلمين معه زيارة المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة وقام بإزالة الآثار المسيحية بالمسجدين، كما قام بتحصين بيت المقدس بتجديد أسوارها، وإقامة الأبراج العسكرية لحمايتها[3].

وقد كان استرجاع المسلمين لبيت المقدس من يد الصليبيين أثره البالغ في أوربا المسيحية وعلى رأسها البابوية التي نادت بعدها بحملة صليبية جديدة لاستعادة القدس، ولكنها باءت بالفشل، مما اضطرهم إلى فكرة المفاوضات التي انتهت باحتفاظ المسيحيين بالمناطق الساحلية الممتدة من عكا حتى حيفاء على أن مدينة بيت المقدس تبقى تحت حكم المسلمين، مع السماح للحجاج المسيحيين بالحج من طريق واحد وهو طريق عكا[4]. وبقيت الأرض المقدسة تحت حكم المسلمين حتى أواخر العهد العثماني واحتلال الإنجليز لها، وتسليمها للعدو الإسرائيلي بموجب وعد بلفور، ومن هنا تحت

---

(1)- جوناثان ريني سميث، مرجع سابق، ، ص46.

(2)- المسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3157.

(3)- سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، ص157-158.

(4)- المرجع نفسه، ص158.

الصراع من صراع مسيحي إسلامي إلى صراع طرفاه المسلمين والمسيحيين من جهـــة، والطـ... ف الصهيوني من جهة ثانية، وبهذا تكون الحرب الصليبية قد انتهت كما يقول الجنرال اللنبي عندما دخل إلى القدس بعد الحرب العالمية الأولى، حيث أن الإنجليز كانوا ينظرون إلى أنها حرب بين المســيحيين والمسلمين، ولكنها ليست كذلك، حيث يقول: «لقد انتهت الحرب الصليبية»[1].

وبانتهاء الحرب الصليبية بدأت مرحلة جديدة من الصراع تحولت أطرافه ليدخـــل بذلـــك طرف ثالث في الصراع حول الأرض المقدسة وهو الطرف اليهودي، ودخول هذا الأخير في هـــذا الصراع كان ذو خلفية دينية توراتية بلورتها فكرة الأرض الموعودة وأرض الميعاد، والتي على إثرهـــا عاد اليهود إلى أرض فلسطين. وبعودتهم عاد الصراع مرة أخرى للظهور، فهل لقدسية الأرض أثـــر على هذا الصراع، كما كانت عليه زمن لحروب الصليبية؟ وإن كانت كذلك فإلى أي مدى تؤثـــر قدسية الأرض على الصراع الدائر بالمنطقة؟

---

[1]-تيسير جبارة، تاريخ فلسطين، ص98.

المبحث الأول: أثر قدسية الأرض على الجانب الحربي من الصراع

وسنتناول في هذا المبحث ما إذا كان لقدسية الأرض أثر على الجانب الحربي من الصراع.

المطلب الأول: قدسية الأرض والصراع في مراحله الأولى

سنتناول في هذا المطلب عنصران مبتدئين بالمرحلة البلفورية كعنصر أول، ثم ننتقل بعدها لمرحلة الثورات الشعبية كعنصر ثان.

1-الخلفية الدينية لوعد بلفور

تتضح الخلفية الدينية لوعد بلفور[1] من خلال مساعي الصهاينة في البحث عن مكان مناسب لإقامة وطن قومي لليهود، وتركيزهم على أرض فلسطين كأنسب مكان، لأنه ومنذ ظهرت الصهيونية كحركة في الوجود السياسي، وعملت على تشجيع الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين مستغلة أماني اليهود في العودة إلى أرض الأجداد كما يدعون، فكانت أولى الدعوات لإنشاء وطن قومي لليهود دعوة السير هنري فنش[2] عام 1616م، في كتابه "نداء اليهود"، وبعد مرور قرنين من الزمن بدأت تظهر هذه الدعوة مرة أخرى لحل المشكلة اليهودية، حيث برز اتجاهان: اتجاه ينادي بالإدماج التام على يد موسى مندلسن[3]، واتجاه ثاني يرفض فكرة الإدماج كحل للمسألة اليهودية وينادي بإيجاد وطن قومي لليهود، خاصة بعد انتشار ما يسمى بعداء السامية، حيث ظهر

---

[1]-وعد بلفور (Balfour Declaration): هو التصريح البريطاني الرسمي الصادر في 02 نوفمبر 1917. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج1، ص560.

[2]-هنري فنش (1558-1625): (Henry Finch): صهيوني غير يهودي، اهتم بالدراسات الدينية له كتاب "أورشليم الجديدة" و"الاستعارة العظيمة للعالم"، حيث دعا اليهود إلى التمسك بحقهم في أرضهم الموعودة. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3197.

[3]-موسى مندلسون (1729-1786): (Moses Mendelson): رائد حركة التنوير اليهودية، ولد بألمانيا تلقى تعليما دينيا سافر إلى برلين، حيث درس الطب والفلسفة واللغات، تأثر بموسى بن ميمون، وبنزعته العقلانية وبسبينوزا. له كتابات في الفلسفة، اهتم باليهود وبذل جهده في القضاء على عزلتهم، له كتابات تحدث فيها عن الحرية الدينية وحرية الضمير من سيطرة الحاخامات، ويعد الأب الحقيقي لحركة التنوير. انظر: المسيري: الموسوعة اليهودية، مج3، ص1147-1150.

ليوبنسكر[1] رافضا فكرة الإدماج متهما دول أوربا بعدم تطبيقها المساواة في معاملتها لليهود، و[illegible] جاءت دعوته منهاجا واضحا لتنفيذ فكرة إنشاء وطن قومي[2].

وفي إطار القومية، قرر الصهيونيون أن يبحثوا لهم عن مكان مناسب لدولة أحلامهم، فقد أجرى تيودور هرتزل[3] محادثات عديدة مع كبرى دول العالم في تحديد الأرض التي ستقام عليها دولة إسرائيل، فكانت أولى مساعيه لدى السلطان عبد الحميد أن يمنح الصهيونية مكانا تحتله بفلسطين، بهدف تكوين شركة ذات امتياز، وبعدما أفصح هرتزل في خطاب له من هدف الصهيونية بإقامة وطنا قوميا للشعب اليهودي رفض السلطان عبد الحميد ذلك[4].

وبفشل هذا المشروع عرضت مناطق أخرى، حيث اقترح هرتزل في مناقشة له مع وزير المستعمرات البريطانية شومبرلان (Joseph Chamberlain) أثينا، لكن بريطانيا رفضت ذلك وبعدها اقترحت عليهم خلق منشأة يهودية في العريش، ثم عرضت عليهم منطقة (GUAS) بالقرب من نيروبي أي أوغاندا ولكنه رفض هذا الاقتراح من طرف الوفد الروسي المجتمع في المؤتمر الصهيوني الحادي عشر عام 1903م، ثم جاء عرض بريطانيا عام 1903م مقترحا بأن تكون شرق إفريقيا مستقر اليهود الجديد، غير أن المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905 رفض ذلك، وحدد فلسطين هدفا له لإقامة الوطن اليهودي القومي اليهودي، لأنه المكان الوحيد الذي يأمل اليهود في الرجوع إليه، وبذلك تكون الصهيونية باختيارها أرض فلسطين قد اختارت أرض صهيون لما لها من مكانة في الوجدان اليهودي[5].

فهي الأرض التاريخية التي سكنها أجدادهم، ومن حقهم العودة إليها على حد ادعائهم، خاصة وأنهم يعدّون أنفسهم أنهم ليسوا في أرضهم، وأنهم غرباء في أرض الشتات، وأن إقامتهم فيها

---

[1]-ليوبنسكر (1821-1891): (Leo Pinsker): طبيب روسي صهيوني استيطاني وزعيم جماعة أحباء صهيون، ولد [illegible] روسيا درس القانون، تأثر بأفكار حركة الاستنارة اليهودية، يرفض اليهودية التقليدية، وهو من دعاة القومية اليهو[illegible] انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3275-3278.

[2]-تيودور هرتزل (1860-1904): (Hortzel Thédore): يهودي من هانقاريا، مؤسس الحركة الصهيونية العالمية. Lucien Toledane, Les juifs Maghrébins, P294.

[3]- سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، ص67-69.

[4]- ج.م.ن. جمبرز، فلسطين إليكم الحقيقة، ج1، ص83.

[5]-دوريس بن سيمون، إسرائيل وشعوبها، ص45.

مؤقتة، ولابد أن يعودوا إلى أرض فلسطين، أو كما يسمونها "إرتس يسرائيل".

كما أن تفضيل أرض فلسطين عن غيرها وطنا قوميا لهم، إنما هو تأثر بدعوة "فكرة القدم". التي تعتمد على مبدأ حب القديم، ومحاولة الرجوع إليه، وقد وجدت هذه الفكرة ما يعتنقها من اليهود المشتتين عند فئة من الصوفيين، فعادوا إلى عصر "اليشع"، وهذا ما بعث الأمل اليهودي من جديد في عودة فعلية إلى فلسطين، بإرادة إلههم عن طريق الحركة الصهيونية التي تعمل على تأسيس دولة قومية بها[1]. ويتضح ذلك من خلال رفض الصهاينة العرض الإفريقي، حيث اتجهت أنظار الكثيرين من أعضاء الحركة وتركزت على أرض فلسطين وهو موقف هرتزل نفسه، حيث كانت فلسطين الأرض المفضلة لديه فإقامة الدولة اليهودية، وأنها المكان الذي لا يمكن الاستغناء عنه[2].

وبهذه الأرضية الخصبة وجدت الصهيونية فرصتها بتحقيق أملها لإقامة الوطن القومي بأرض فلسطين عندما بدأت الحرب العالمية الأولى وبدأت الدول باقتسام أملاك الدولة العثمانية، فعمل حاييم وايزمان بتوطيد علاقاته بكبار ساسة إنجلترا وبمساعدة بلفور[3] بعدما أصبح وزيرا للخارجية البريطانية، الذي كان له دور كبير في إصدار الوعد الذي عرف باسم "وعد بلفور"[4].

ويذكر المؤرخ البريطاني جفريز أن بلفور وبعد اختراعه الذي أهله بأن يمنح لقب "الأشراف" أو أن يكرموه بإعطائه مبلغا ماليا غير أن بلفور رفض ذلك واختار بأن تكون المساعدة لشعبه لا له، ثم أخذ يشرح آماله في إعادة توطين اليهود في الأرض المقدسة، وهذا هو منشأ التصريح البلفوري عن الوطن القومي لليهود بأرض فلسطين[5]. هذا التصريح الذي توليه إسرائيل أهمية كبيرة

---

(1)-أرنولد توينبي، فلسطين جريمة ودفاع، ص50-51.

(2)-ج.م.ن جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ج1، ص82.

(3)-بلفور جيمس آرثر (1930-1945): (Balfours James .A): سياسي بريطاني محافظ وصهيوني مسيحي صاحب التصريح أو الوعد الذي حمله اسمه، تلقى تعليما مشبعا بتعاليم العهد القديم، اهتم بالمسألة اليهودية. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، ج1، ص560.

(4)-سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، ص170.

(5)-ج.م.ن. جفريز، المصدر السابق، ص300-301.

كمستند قانوني* في إقامتها لـ(دولة إسرائيل).

وقد صدر هذا الوعد في 02 نوفمبر 1917م، من طرف الحكومة البريطانية، حيث أعلنت فيه عن تعاطفها مع الآمال الصهيونية اليهودية، ويتضح ذلك من خلال العبارة الواردة في التصريح «إن حكومة صاحب الجلالة لتنظر بعين العطف إلى مسألة إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي...»[1].

فإذا كان الإصدار الرسمي للوعد من بريطانيا، فإن صياغة الوعد كانت صهيونية بحتة، والعبارة الواردة "وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي"، إنما هو تأكيد لرغبة الصهاينة في تحقيق فكرتهم عن "صهيون"، ولقد جاء في خطبة هرتزل الرئاسية للمؤتمر الصهيوني الأول: «إن هدف الصهيونية هو أن تنشأ في فلسطين وطنا للشعب اليهودي معترفا به اعترافا علنيا، وفي ظل ضمانات قانونية»، وبهذا تكون عبارة "وطن قومي" الواردة في تصريح بلفور قد استعملها الصهاينة قبلهم، مما يعطي دلالة واضحة في إصباغ الوعد بالعقيدة الصهيونية، بجعل فلسطين بلدا يهوديا يكون ملجأ لمشاعرهم القومية والروحية معا[2].

فعبارة "الوطن القومي" التي قصد الصهاينة تضمنيها في الوعد، تعطي الوعد دلالة دينية واضحة على اعتبار أن اليهود لا ينتمون إلى الأوطان التي يعيشون فيها في الشتات، وإنما ينتمون إلى وطن قومي واحد وهو فلسطين، والتي يعبرون عنها بـ"الأرض المقدسة"[3]. كما ربطت الصهيونية أيضا إصدار الوعد بالحقوق التاريخية التي تدعيها فلسطين وتقدم لذلك بأن الوعد لم ينشئ حقا، بل أعاد الحق لأحصابه، فقد ورد في المذكرة التي قدمتها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر السلام الذي انعقد بجنيف عام 1919 بأن أرض فلسطين هي الموطن التاريخي لليهود[4].

والحقوق التاريخية لم يتم التصريح عنها حين إصدار الوعد مباشرة، بل تم التصريح عنها بعد

---

* -إن وعد بلفور باطل من الناحية القانونية من أوجه عدة. انظر: جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ج1، ص291 وما بعدها. انظر أيضا: عائشة راتب، مشروعية المقاومة المسلحة، المجلة المصرية للقانون الدولي، مج2، القاهرة، 1970، ص171.

(1)-انظر: النص الكامل بملحق رقم (1).

(2)- ج.م.ن. جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ج1، ص85، 294.

(3)-المسيري، الموسوعة اليهودية، مج6، ص3024.

(4)-سعيد تيم، النظام السياسي الإسرائيلي، (بيروت: دار الجيل، الأردن: الأهلية للنشر، ط1، 1989)، ص43.

ذلك بثلاث سنوات، حيث أفصح عنها رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج في مختلف المناسبات حين قدم وجهة نظره في مجلس العموم لمناقشة حول فلسطين، أين أشار إلى "حقوق اليهود التاريخية" في فلسطين[1].

وأخيرا نقول أن إصدار وعد بلفور لم يلق معارضة من اليهود حتى عند أكثرية المتدينين منهم، لأن الاعتقاد اليهودي يعتبر هؤلاء الأشخاص مجرد وسائط تاريخية يسيرها الرب لإسرائيل. وحتى لو جاء الوعد ذو صبغة سياسية فهو ذو خلفيات وأبعاد تاريخية دينية الهدف من ورائه إعادة اليهود من الشتات إلى "الموطن التاريخي" بصفة رسمية في إقامة دولتهم التي جاء في إعلان قيامها أنه: «بموجب الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي قد أنشئت هذه الدولة». كما ورد الإعلان في الفقرة الخامسة: «أن حق الشعب اليهودي في الانبعاث داخل وطنه الخاص اعترف به تصريح بلفور»[2].

فأهداف وعد لا تنتهي عند حد إنشاء الوطن القومي لليهود بأرض فلسطين فحسب، وإنما تتعدى إلى جعل فلسطين بكاملها يهودية، كما هي إنجلترا إنجليزية.

ولقد كانت أطماع اليهود نحو الحرم الشريف منذ البداية، حيث أعلنوا عن نيتهم بصراحة بوضع أيديهم على المقدسات بالمدينة المقدسة، ذات الصلة بهم على حد زعمهم، والمتمثلة في حائط المبكى ومكان الحرم القائم، الذي يدّعُون بأنه مكان هيكلهم المقدس، وقد جاء في تقرير لمندوب فلسطين العام الإنجليزي بتاريخ 07 من حزيران 1920: «أن نائب رئيس الجمعية الصهيونية ورفقائه قدموا طلبا مؤيدا من إبراهيم إسحاق كوك رئيس الحاخامين ومجلس الربانيين بوضع يد اليهود على حائط المبكى وجميع أماكن الهيكل، الذي هو الحرم القائم في وسطه، ومسجدا الصخرة والأقصى»[3].

كما أعلن اللورد ألفرد موند ملتشت الإنجليزي اليهودي في مقال له بعد صدور وعد بلفور: «إن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أضحى قريبا، وإني سأكرس بقية حياتي لبناء

---

(1) ج.ه.د حفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ص297.

(2) سعيد نيم، النظام السياسي الإسرائيلي، ص43.

(3) محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، (بيروت: المكتبة العصرية، ط2، 1959)، ج1، ص27.

هيكل عظيم مكان المسجد الأقصى»[1].

فالوعد إذن كان بمثابة البداية التي يتحرك اليهود منها لتحقيق أمانيهم الدينية التي تبدأ بالوطن، فالدولة ثم إسرائيل الكبرى المنصوص عليها في توراتهم التي تتحقق بموجبها المملكة، بسيطرتهم على المدينة المقدسة وإعادة بنائهم للهيكل مكان المسجد الأقصى تمهيدا لمجيء المسيح الذي طال انتظاره ليعيد مجدهم الضائع.

ولما علم العرب بنية اليهود في مقدساتهم أعلن الفلسطينيون من مسلمين ومسيحيين رفضهم للوعد بإقامة المظاهرات وإنشاء الجمعيات الإسلامية المسيحية، وحتى القيام بثورات، ومن دلائل هذا الرفض مسارعة الفلسطينيين إلى تشكيل الجمعيات الوطنية التي عرفت بالجمعيات الإسلامية المسيحية، والتي ينطوي اسمها على تضامن الشعب الفلسطيني على اختلاف دياناتهم في الدفاع عن الوطن من الأطماع اليهودية[2].

ولقد عقدوا مؤتمرهم الأول في أوائل سنة 1919م بمدينة القدس بحيث قرروا فيه رفضهم لوعد بلفور، وكذلك رفضهم للهجرة اليهودية والمطالبة بتوقيفها لما تشكله من أخطار مستقبلية على وجودهم، وهو ما أدركه الشعب الفلسطيني منذ الإعلان عن وعد بلفور الذي يحمل في مضمونه أبعادا تشكل خطرا عليهم وعلى تواجدهم بأرضهم منذ آلاف السنين[3].

2-مرحلة الثورات الشعبية:

إن مساهمة الإسلام في المقاومة كانت على امتداد فترات الانتداب، ومنذ بدأت معه الأهداف الصهيونية في أرض فلسطين تتضح، فنجد أن الإسلام ومقاومة المستعمر لم ينفصلا عن بعضهما البعض، بل كان الدين العامل الأساسي الذي شكل الأرضية الفكرية لتعبئة الجماهير، والتي تمثلت في حركات التحرر وإنشاء الجمعيات في مختلف المناطق الفلسطينية[4].

---

[1]-محمد عزه دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ص27. انظر أيضا: تيسير جبارة، تاريخ فلسطين، ص98.

[2] محمد عزة دروزة، مصدر سابق، ج1، ص35.

[3]-المصدر نفسه، ص36.

[4]-صلاح الدين الجورشي، الانتفاضة-فلسطين المحررة أم فلسطين الإسلامية، (دم: دار البراق، ط1، دت)، ص131.

كما أن الأرضية التي انبثقت منها المقاومة الفلسطينية انطلاقتها كانت من المساجد، ولقد عمل خطباء المساجد على بث فكرة المقاومة باعتبارها واجبا دينيا، كما أن المفاهيم الدينية كالدفاع عن المقدسات ونيل الشهادة في سبيل الله كانت كثيرة الرواج في تلك الفترة[1]، كما أن استعمال المفاهيم الإسلامية والنظائر التاريخية كاسترجاع صورة الحروب الصليبية للأذهان قد عمل على وضع الصراع في إطاره التاريخي للشعور بالتواصل في النضال ضد اليهود والصراع معهم، أخذا بصورة الصراع الديني[2].

فقد كانت القيادات الإسلامية وعلى رأسها مفتي القدس الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ينظر إلى القضية على أساس ديني وطني، تتمثل في حماية الأماكن المقدسة من عمليات التخريب والتهويد، والتصدي للهجرة اليهودية ورفضها لإقامة الوطن القومي اليهودي[3].

ومنذ إصدار الوعد وإفصاح اليهود عن نواياهم الخاصة بالمقدسات ومحاولاتهم السيطرة عليها والمسلمون يحتجون رافضين إقامة الوعد المشؤوم والهجرة اليهودية التي أدركوا مخاطرها على وجودهم وخطورة أطماع اليهود بمقدسات، وقد كانت ثورة البراق إحدى أهم حوادث الصراع على المقدسات بين المسلمين واليهود بصورة بارزة، خاصة وأن المكان الذي تفجر فيه الصراع مكان مقدس عند كلا الطرفين المتنازعين.

فما يطلق عليه الحائط الغربي أو حائط المبكى في الاصطلاح اليهودي، هو مكان يولونه القداسة لارتباطه التاريخي بالهيكل. كما جرت التقاليد اليهودية اعتباره بقايا هيكل سليمان عليه السلام على حد زعمهم، وإقامة بعض شعائرهم الدينية والبكاء عنده، وهو عند المسلمين ما يعرف بحائط البراق، حيث أنه مكان ملاصق لجدار الحرم الشريف، وهو ذو صلة بالرسول الكريم محمد ﷺ، فهو المكان الذي ربط فيه دابته المعروفة بالبراق[4].

---

[1]-موسى البديري، الفلسطينيون بين الهوية القومية والهوية الدينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع21، شتاء 1995، ص13.

[2]-المرجع نفسه، ص13.

[3]-صلاح الدين الجورشي، الانتفاضة، ص132.

[4]-محمد عزه دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج1، ص61.

ونظرا لعمق الصلة بهذا المكان عند كل من المسلمين واليهود على حد إدعائهم، حدثت حوله صدامات كثيرة بينهم، بعدما جاءت محاولات اليهود قبل هذا بشرائه تارة، وكان ذلك عام 1919م بواسطة حاكم القدس البريطاني "رونالد ستورز" آنذاك[1]. غير أن العرب رفضوا ذلك لقدسيته وللصلة الروحية التي تربطهم به، خاصة بعدما اتضحت أطماع اليهود بمقدساتهم ومحاولات نقل ملكيته لهم تارة أخرى، فقد حاولت اللجنة الصهيونية في أوائل الاحتلال البريطاني نقل ملكية الحائط إلى اليهود[2]، لتكون لهم الحرية الدينية في الوصول إلى الجدار وأداء صلاتهم وتلاوة الأدعية بتملكهم مكانه الديني كما يزعمون، حتى أن مطامعهم وصلت إلى حد نشر صور للهيكل اليهودي الجديد مكان مسجد الصخرة يعلوه العلم الصهيوني والكتابات الصهيونية، مما أثار هواجس المسلمين ومخاوفهم من نوايا اليهود[3].

واستمر اليهود الصهاينة في استفزازاتهم وعملوا على تغيير الوضع بالنسبة للأماكن المقدسة وأخذوا يجلبون إلى مكان الحائط أثاث المصلى من كراسي ومقاعد والمناضد واللفائف وغيرها، مما أصاب المسلمين الشعور بالقلق والغضب إزاء إقامة اليهود بطقوسهم عند الحائط، عندها بدأ مفتي القدس الحاج الأمين الحسيني حملته بالإصرار على أن الحائط ملك للوقف الإسلامي، وأنه جزء من الحرم الشريف، وأنه المكان الذي ربط به الرسولﷺ براقه بعد الإسراء، وعليه فلا يجوز لليهود أن يكون تعاملهم معه على انه ملك لهم، يحضرون إليه أثاث الصلاة، وينفخون في الأبواق التي يتعمدون إزعاج المسلمين في صلاتهم، كما اعتبر اليهود أيضا بأن تعالي أصوات الصوفيين عند الأذكار وصوت الأذان من الأمور التي تزعجهم عند أدائهم طقوسهم الدينية، ورغم تدخل المجلس الإسلامي لفتح الجزء المتقطع الشمالي من الحائط، غير أنه لم يضع حدا لهذه الاعتداءات[4].

وتواصلت ادعاءاتهم بإقامة المظاهرات، فكانت الأولى من طرف مجموعة من الشبان اليهود في 5 أوت 1929، في القدس عند الحائط حاملين العلم اليهودي، وأقسموا على الدفاع عن الحائط

---

(1)-أحمد طربين، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار، (دم: مطبعة الجبلاوي، دط، 1972م)، ص43.

(2)-عبد الحميد أحمد السائح، ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى، ص90.

(3)-محمد عزه دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج1، ص61.

(4)-كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص611-613.

حتى الموت[1]، وازدادت حدة التوتر من الجانبين، وقابل المسلمون مظاهرة اليهود بمظاهرة تلتـــه في الأسبوع الذي بعده، كانت أشد صخبا وحماسا، وبقي طرفا الصراع يتربصان ببعضهما حتى حـــدث اشتباك بينهما، بدأت بأحياء المدينة المقدسة، حيث تتواجد المقدسات التي اشتعلت نار الحرب مـــن أجلها، لتمتد بعدها إلى يافا وما حولها، ثم إلى الخليل وصفد وغيرهما، وقد استمرت حالة التوتر نحـــو أسبوعين، وكانت في شهر أوت من عام 1929، والتي عرفت بثورة البراق، ووصل عدد الضحايا نحو 200 قتيل و600 جريح، أكثريتهم يهود[2].

وبهذا تكون المدينة المقدسة قد دخلت مرحلة جديدة من الصراع بلغت ذروته مع ازديـــاد التوتر الذي كان الحائط ذو الطبيعة المقدسة أهم العوامل في تصعيد حدة التوتر وانفجار الصراع بـــين المسلمين واليهود الصهاينة، وعلى إثرها أرسلت الحكومة الإنجليزية لجنة تحقيق وصلت إلى القـــدس في 19 من جوان 1930[3]. وبعد الاستماع إلى الطرفين المتصارعين، والتحقيق في ذلك من حيث إثبـــات الحق للمسلمين وقدسيته ووقفيته عندهم، وبالنسبة لليهود من حيث إثبات علاقتهم الدينية التقليديـــة والتقديسية بالمكان وحقهم في ترددهم على المكان لأجل إقامتهم الشعائر الدينية المرتبطة به[4].

وبعد استماع لجنة البراق إلى كلا الطرفين، وبعد التحقيق في ذلك، أقرت بملكيـــة الحـــائط للمسلمين باعتباره جزء من حائط الحرم الشريف، والتي هي من أملاك الوقف[5]. كمـــا أصـــدرت اللجنة السماح لليهود بالتردد على المكان لأداء الصلوات على أن يكون أثاث الطقوس لا يتجـــاوز المنارات واللفائف في مقابل ذلك منع المسلمون من رفع أصواتهم عند أذكارهم بالنسبة للصوفيـــة، كما منعوا من السير بحيواناتهم على الطريق الذي فتح لليهود لإقامة طقوسهم عند الحائط[6].

وقد عدّ هذا الحكم انتصارا للمسلمين لكسبهم المعركة من أجل الحائط، وما لبث الصـــراع أن هدأ حتى اشتعل مرة أخرى بإقامة مظاهرات احتجاج على تدفق الهجرات اليهودية، خاصة بعـــد

---

[1]- كارين أمسترونج، مرجع سابق، ص613.

[2]- محمد عزه دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج1، ص62-63.

[3]- عبد الحميد السائح، ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى، ص95.

[4]- محمد عزه دروزة، المصدر السابق، ج1، ص77.

[5]- عبد الحميد السائح، المرجع السابق، ص95. انظر أيضا: محمد عزه دروزة، المصدر السابق، ج1، ص78.

[6]- كارين أمسترونج، المرجع السابق، ص617.

أن تولى هتلر الحكم، والتي كانت بأعداد كبيرة وبصورة مكثفة، لأنهم أدركوا مخاطرها على وجودهم، وازداد الغضب العربي، وتفاقم الخطر، حيث خرجت المظاهرة من الحرم بعد صلاة الجمعة وعلى رأسها الزعماء والشيوخ مما كان لها الأثر الكبير في نفوس المتظاهرين، حيث أكسبوا المظاهرة قوة وحماسا، وتلتها مظاهرة أخرى بمدينة يافا، وفيها بلغ الصراع ذروته، حيث بلغ عدد القتلى نحو 30 قتيلا، بالإضافة إلى عدد كبير من الجرحى، ومع استمرار لا مبالاة السلطات الإنجليزية من الهجرات اليهودية المستمرة ومن الاحتجاجات العربية، خاصة مع ازدياد بيع الأراضي وتسهيل عمليات انتقالها لليهود[1].

وقد تصدى علماء وفقهاء فلسطين لحملة بيع الأراضي في مؤتمر لهم أصدروا خلالها فتوى تحريم بيع الأراضي حفاظا على بقائها بيد المسلمين، لأنهم كانوا يدركون أطماع اليهود الصهاينة بالأرض المقدسة، حتى أنهم وصموا الباعة والسماسرة بالخيانة وحرموا الصلاة عليهم أو دفنهم بمقابر المسلمين[2]. وبهذا كانت نسبة ابتياع الفلسطينيين لأراضيهم أقل عن 1%، وإنما حصل اليهود على أكثرية الأراضي من الملاك اللبنانيين، أو ما كان من أملاك الدولة التي منحتهم إياها حكومة الانتداب، وأكثرية الأراضي التي حازوها كانت قبل وعد بلفور[3].

وقد كان من جراء موقف السلطات الإنجليزية أن ازداد التوتر واستمرت خلايا الجهاد بالتسلح، وكان أن تفجر الصراع مرة أخرى عام 1935م، وبما عرف بثورة عز الدين القسام ليعلنها فيها الثورة الجهادية ضد الإنجليز، ونظرا لعدم توافق القوى استشهد القسام وبعض رفاقه، غير أن هذه الثورة كانت مثلا للجرأة في الجهاد العلني، وكانت المقدمة لقيام الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936، والتي أعقبها الإضراب العام الذي اتسم بالاستمرارية حتى تتوقف الهجرة اليهودية وبيع الأراضي لليهود، وقد تطور الإضراب الذي دام 180 يوما إلى حركات كفاح مسلح، ثم إلى ثورة عارمة انضوى تحتها آلاف المجاهدين[4].

---

(1)-محمد عزه دروزة، مصدر سابق، ج1، ص112-119.

(2)-صلاح الدين الجورشي، الانتفاضة، ص132.

(3)-محمد عزه دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما حاورها، (لبنان: دار الكلمة للنشر، ط1، 1980)، ج2، ص50.

(4)-المرجع نفسه، ج2، ص52-55. انظر أيضا: صلاح الدين الجورشي، الانتفاضة، ص132.

وبدخول الصراع مرحلة العنف والحرب وأمام إصرار العرب على رفضهم للوضع، جاءت محاولة السلطات البريطانية لحل القضية الفلسطينية بقرار تقسيم البلاد بين طرفا النزاع ليدخل بذلك الصراع مرحلة جديدة في غاية الأهمية، وهي مرحلة الحروب العلنية.

المطلب الثاني: مرحلة الحروب العلنية

1-حرب 1948:

إن قرار التقسيم الصادر عن هيئة الأمم المتحدة، والذي نص على إنشاء دولتين يهودية وفلسطينية، مع وضع المدينة المقدسة تحت رعاية الأمم المتحدة، نظرا لوضعها الديني الخاص بكل من اليهود والمسلمين[1]، أثار الغضب العربي لما فيه من قرارات مجحفة بحق الشعب الفلسطيني، فجاء موقفهم بالرفض له بالكامل، خاصة فيما يتعلق بالمدينة المقدسة لأن القبول بتدويلها يعني التنازل عنها، وحتى وإن كان التدويل سيكون من ناحية الإشراف الديني أو السياسي، ففي كل الأحوال قبول العرب بتدويلها يعني دخولهم في مرحلة الاعتراف الضمني بالتنازل عنها، ولن يكون لهم حق في الحديث عن مصيرها بعد ذلك، كما أنها تعد إحدى المراحل الأولى تمهيدا لحكمها من طرف اليهودي الذين يطمحون إليه منذ عودتهم[2].

كما جاءت الفتاوي الصادرة عن علماء المسلمين والتي رفعت بدورها من قداسة الأرض والقضية الفلسطينية فجعلت منها إحدى نواقض الإيمان وشروط صحته، فتوى سماحة الشيخ محمد آل كاشف الغطاء من العراق الذي كفر من يقر بمشروع التقسيم، وعدم جواز الصلاة عليه ودفنه بمقابر المسلمين[3].

---

(1)-وليد الخالدي، الإسلام والغرب والقدس، مجلة الدرسات الفلسطينية، ع31، صيف 1998، ص10.

لمزيد من التفصيل في قرار التقسيم، انظر أيضا: محمد عزه دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج2، ص115. كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص617 وما بعدها.

André Bathélemy, Esraéliens et palestiniens du dialogue à la paix, (Lyon, Chronique social, 1992), p63-67.

(2)-محمد جمال طحان، وصف اليهود في الإنجيل -اليهود والأوهام الصهيونية-.

www. ofouq. Com/libirary- tahhan/ jews/ Jews- 04 .

(3)-صلاح الدين الجورشي، الانتفاضة، ص134.

أما الجانب اليهودي، فقد قبلوا قرار التقسيم بالفرحة، وأخذوا يقيمون الاحتفالات بالشوارع وصلوات الشكر في المعابد، حيث أنهم اعتبروه أول نصر نالوه منذ عهد المكابيين[1]، كما قبلت به القيادة الرسمية لهم، غير أن هذا القبول اللفظي لم يعلن فيه عن قبولهم بالقدس كجزء منفصل، وكما تشهد خطة دالت التي وضعها الهاغاناه[2] لأن (الدولة اليهودية) كانت قد خططت لضمها فيما بعد[3]، هذا وقد جاءت انتقادات بيجن[4] لبن غوريون[5] في الكنيست لقبوله بقرار التقسيم، لأن هذا يعارض إسرائيل الكبرى التي يدعو لها، كما كانت معارضة أحد أهم المفكرين المغالين أوري ريفي جرينبرغ أحد أعضاء حزب حيروت آنذاك معارضة قوية لفكرة تدويل القدس، لأنها تحتوي على الأماكن الدينية والتاريخية اليهودية[6].

وعلى إثر هذا الرفض والذي ابتدأ عند الفلسطينيين بإضراب عام، ثم تلته الثورة المسلحة، واندلع القتال بين الطرف الفلسطيني في إطار غير نظامي سمي بـ"الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني[7]، والقوات اليهودية الأكثر تنظيما، حيث أنهم كانوا قد أعدوا أنفسهم منذ وقت طويل

---

[1]-عارف العارف، النكبة، (بيروت، المكتبة العصرية، دط، دت)، ج1، ص29.

[2]-الهاغاناه (Haganah): كلمة عبرية تعني الدفاع، وهي منظمة عسكرية صهيونية استيطانية تأسست في القدس عام 1920، قد انصب اهتمامها على العمل العسكري، وبعد أن اكتمل البناء التنظيمي لها أصدر بن غاريون حل الإطار التنظيمي لها وحولها إلى جيش الدفاع الإسرائيلي. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج7، ص3712-3713.

[3]-وليد الخالدي، الإسلام والعرب والقدس، ص10. انظر أيضا: كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص621.

[4]-مناحم بيجن (1913-1992): (Menahem Begin)، ولد ببولندا زعيم صهيوني تلميذ لهرتزل وزعيم لحزب حيروت وتحالف الليكود وسياسي إسرائيلي وهو عضو في الكنيست وزعيم منظمة الأرجون. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج7، ص3843.

[5]-ديفيد بن غوريون (1886-1973): (David Ben Gurion): زعيم صهيوني عمالي وسياسي إسرائيلي ولد ببولندا، درس التوراة والتلمود وكتب الصلوات في المدارس الحاخامية له عدة مؤلفات أهمها: بعث إسرائيل ومصيرها (1952) وإسرائيل سنوات التحدي (1963). انظر: المسيري، المرجع السابق، مج7، ص3839-3843.

[6]-كولن شيندلر، إسرائيل الليكود والحلم الصهيوني، ترجمة: محمد فجار، (الأردن: الأهلية للنشر، ط1، 1997)، ص67.

[7]-وليد الخالدي، وثائق مختارة عن حرب 1948، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع34، ربيع، 1998، ص22. انظر أيضا: عارف العارف، النكبة، ج1، ص73. محمد عزه دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما حاورها، ج2، ص63.

لاحتمالات الحرب[1].

شهدت أرض فلسطين ستة أشهر أعنف المعارك بين العرب واليهود لمكانتها الدينية لدى كليهما، وقد عرفت المدينة المقدسة خلالها معارك حامية واشتباكات عنيفة لم تشهدها أية مدينة فلسطينية أخرى بسبب أهميتها الدينية لما تحويه من مقدسات لكلا طرفي الصراع، ولأهميتها الاستراتيجية كذلك، ضف إلى ذلك كثرة تواجد اليهود الساكنين بها الذين أوشكوا على الاستسلام لولا خذلان المسؤولين بالجامعة العربية لقائد الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني الذي استشهد مع أصحابه في معركة القسطل في 08 أفريل 1948م[2].

لقد كانت المدينة المقدسة مركزا لأشد وأعنف الصراعات بين القوات العربية التي دخلت الحرب دفاعا عن أرض المقدسات الإسلامية والقوات اليهودية في المرحلة الأولى للحرب، وكانت معركة القدس القديمة، وغيرها من المعارك الكثيرة معركة على أشدها حاول فيها اليهود الوصول إلى القدس القديمة، حيث تتواجد المقدسات التي يدور الصراع حول إحكام السيطرة عليها، غير أن القوات العربية استطاعت من خلال هذه المعركة أن تطهر المدينة المقدسة من اليهود وتدنيسهم لها[3].

فخلال هذه الحرب، عمل اليهود على تركيز قسم كبير من القوات في غرب المدينة المقدسة في الأحياء الاستيطانية التي تشكل الجزء الأكبر منها وشنوا هجمات شرسة لاحتلال المدينة القديمة، إلا أن استماتة الفلسطينيين وجنود الجيش الأردني في دفاعهم عن المدينة القديمة صدت هذه الهجمات، و لم ينجح الجيش الإسرائيلي إلا في احتلال الأحياء المختلطة القريبة من الأحياء اليهودية، وأسقطت هذه الهجمات و لم ينجح الصهاينة إلا في احتلال الأحياء التي سقطت في الأيام القليلة، قبل دخول القوات الأردنية إلى المدينة، فيما تمكن المناضلون العرب من طرد القوات الإسرائيلية من الحي اليهودي داخل المدينة، وفي 30 نوفمبر 1948، تم توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار بين الجيش الأردني

---

(1)-فرانتس شايدل، إسرائيل أمة مفتعلة، ص139.

(2)-صلاح الدين الجورشي، الانتفاضة، ص132-133. لمزيد من التفصيل انظر: عارف العارف، النكبة، ج1، ص165.

(3)-عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على المسيحية والإسلام، ص303.

والقوات الإسرائيلية، وتم تعيين خط تقسيم المدينة[1].

فمدينة المقدسات كانت هي الدعامة الأساسية في تحريك عملية الحروب دفاعا عنها أو هجوما وتوسعا للسيطرة عليها، لأن امتلاك المدينة بما فيها من مقدسات هو امتلاك لفلسطين، ومن يخسرها يعد خاسرا لفلسطين بكاملها[2].

غير أن السيطرة العربية لم تدم إلى انتهاء الحرب إذ انعكست الأمور، وبفضل التسلح والمساعدات الإنجليزية لليهود، وأمام محاولاتهم للوصول إلى فتح الطرق المؤدية إلى المدينة المقدسة وفك الحصار عن اليهود المتواجدين في القدس الغربية، وقد حقق رجال الهاجاناه ذلك ليدخل الصراع بذلك مرحلة جديدة، حيث هاجمت قوات الهاجاناه قرية دير ياسين في العاشر من أفريل. وارتكبت بها أفضع الجرائم من قتل وتشويه دون تفريق بين أطفال ونساء وشيوخ، مع أن القرية لم تكن موقع حرب مما بث الرعب والفزع في السكان الفلسطينيين الذين تركوا أرضهم ومنازلهم وكل ما يملكون ناجين بأرواحهم من هول ما رأوه من رجال الهاجاناه وقبل رحيل القوات الإنجليزية في 15 ماي هاجم الأرجون[3] مدينة يافا ونظرا للرعب الذي تسبب من جراء ما حدث في مذبحة دير ياسين هرب السكان ليبحثوا لهم عن ملاذ لهم وكان هذا من أهم الأسباب التي يسرت لهم السيطرة على مناطق كثيرة كما يسرت لهم الطريق للتوسع في القدس الغربية وأجبر أهلها على ترك منازلهم ولجأ الكثير منهم إلى القدس الشرقية[4].

وباقتراب انتهاء الانتداب الإنجليزي الذي عين بيوم 15 ماي 1948 ازدادت القوة عند

---

[1]-محمد رشاد الشريف، تطور مدينة القدس جغرافيا وسكانيا خلال القرن الأخير، جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية، www. Aqsa-mubarek-org.

[2]-عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على المسيحية والإسلام، ص303.

[3]-الأرجون (Irgun): وتعرف أيضا باسم اتسل (Etzel)، وهذه الكلمة اختصار للعبارة العبرية "أرجون تسفاي ليومي يارتس إسرائيل"، أي المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل، وهي منظمة عسكرية صهيونية تأسست في فلسطين عام 1931 من انشقاق أعضاء الهاجاناه، الذين انشقوا على المنظمة الأم، وجماعة مسلحة من بيتار، من أبرز مؤسسيها روبرت بينكر الذي كان أول رئيس لها بعد إعلان قيام (إسرائيل)، أدمجت المنظمة في جيش الدفاع الإسرائيلي. المسير، الموسوعة اليهودية، مج7، ص3714-3715.

[4]-كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص621-622. انظر أيضا محمد عزه دروزة ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج2، ص129-131، André Barthelemy , Israéliens et Palestiniens P68

اليهود من حيث الكم والكيف مع استغلال الذعر الذي بثوه في قلوب الفلسطينيين مع تسهيلات الإنجليز لليهود السيطرة على المدن التي تنسحب منها بمنع دخول الإمدادات للفلسطينيين للدفاع عنها بدعوة تزايد المذابح وهكذا سقطت المدن الواحدة تلوى الأخرى وزادت مساحة اليهود عما هو مخصص عما هو مخصص لهم في قرار التقسيم كيافا وجزء كبير من الجليل الغربي وكذلك قرى اللد والرملة التي دخلت تحت سيطرة اليهود وقد كان رجال الأرغون الذين تولوا أمر القدس يعلنون عزمهم على تطهير القدس وإعلانها عاصمة (لإسرائيل)[1].

وهكذا ظلت المدينة المقدسة محل صراع كبير بين القوات اليهودية والقوات العربية، هذه الأخيرة لم تتخل على المدينة ومقدساتها باذلة كل جهودها وإمكاناتها في إبقاء سيطرتها عليها والقوات اليهودية التي اتضحت نياتها بشأن المدينة المقدسة منذ بداية الصراع بمحاولة الاستيلاء عليها وجعلها عاصمة لدولتها التي تسعى لإقامتها.

ولما كان إجلاء القوات الإنجليزية عن أرض فلسطين كان اليهود مستعدين لإعلان دولتهم حيث عقد بن غوريون اجتماعا بمتحف تل أبيب يوم 14 ماي أي قبل رحيل الإنجليز بيوم واحد ليعلنوا بذلك قيام (دولة إسرائيل) ففي اليوم التالي مباشرة كانت القوات اليهودية مستعدة للهجوم على القدس القديمة لتحقق بذلك ما كانت تهدف إليه القدس الموحدة عاصمة لها غير أن وصول القوات الأردنية إلى المدينة القديمة حال دون تطبيق الهجوم والوصول إليها[2].

وهكذا أعلن بن غوريون قيام (دولة إسرائيل) في إعلان رسمي وعلى (أرض إسرائيل) على أساس حقهم الطبيعي والتاريخي كما يدعون[3] وتظهر الاتجاهات الدينية في تكوين (دولة إسرائيل) من حيث الاسم الذي تتخذه وكأنها تعيد أمجادها بقيام الدولة، كما أن تبنيها للرموز والشعارات الدينية، كالعلم الذي استمدت ألوانه من شال الصلاة، ورمز الدولة المتمثل في الشمعدان الذي فيه استرجاع السيادة اليهودية والعودة إلى أرض أجدادهم، أما المتدينون فقد رأوا فيه رضوخا لتعاليم الإله ونصوص التوراة[4].

---

[1]-محمد عزه دروزة القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج2، ص132-133، 203.

[2]-كارين أمسترونج ، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص622.

[3]-سعد تيم، النظام السياسي الإسرائيلي ص55.

[4]-عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والدولة في إسرائيل ص296

كما أن إنشاء (دولة إسرائيل) يمثل لهم خروجهم من أسر الشتات جسديا وروحيا مع عدم القطيعة مع سنوات المنفى الذي هو جزء مهما من تاريخهم[1]، وقيام الدولة إنما يدل على تحقيق نبوءة الخلاص على حد قول بن غوريون: «إننا نعيش في أيام المسيح».والإنجاز الأخير في التاريخ اليهودي والمتمثل في إنشاء الدولة يوازي الأحداث التاريخية المهمة كالخروج والدخول بقيادة يوشع وغيرها من حيث أهميته[2].

وهكذا أصبحت (الدولة الجديدة) هي الوريث الشرعي والطبيعي لمملكة داود التي يريدون استعادتها والدولة الجديدة بهذه الحدود إنما هي النواة الأولى أو البداية لتكوين مملكتهم الممتدة على حدود إسرائيل الكبرى وما حرب 1948 إلا البداية الأولى التي ارتكزت عليها لتوطيد جذورها في تكوين الدولة كمرحلة أولى لقيام إسرائيل الكبرى ومحاولاتها الاستيلاء على المدينة المقدسة خير دليل على ذلك حتى تكون عاصمة لها كما كانت عليه في عهد مملكة داود وهذا ما عمل اليهود الصهاينة على تحقيقه.

2-حرب 1967:

لم يتوقف الصراع بين اليهود والفلسطينيين عند حرب 1948 التي على إثرها أرست إسرائيل (دولتها) التي طالما خططت لتحقيقها كبداية لحلم طالما راود اليهود الصهاينة بتحقيق إسرائيل الكبرى التي حددتها التوراة فحيازة الأرض بالحدود التي حددتها توراتهم كانت أقوى حجة لدى بن غوريون في أحقية اليهود في تملكهم لها وهذا ما سعى الصهاينة إليه وقد جاءت حرب 1967 لتحقيق ذلك فقد قال موشي ديان[3] لما سئل عن حدود إسرائيل: «ولماذا نعين حدودا وعندنا التوراة»[4].

---

[1]-روبرت آساراف، أزمة ورجال في إسرائيل ص233.

[2]-عبد الفتاح محمد ماضي، مرجع سابق، ص296.

[3]-موشي ديان (1915-؟): (Moché Dayan): سياسي وعسكري، متخصص في علم الآثار، ساهم وهو في الخامسة عشرة من عمره في الهاغانا، شارك في حرب 1948 وقاد معركة سيناء عام 1956، ترك الجيش عام 1957، بعدها وصل دراسته بعلم الآثار بالجامعة العبرية بالقدس، اقتحم الحياة السياسية في حزب حيروت، عين كوزير للدفاع في حكومة الاتحاد الوطني، التي شكلت عشية حرب 1967. وبقي في هذا المنصب حتى حرب 1967، بقي في السلطة حتى عام 1974. انظر: دوريس بن سيمون، إسرائيل وشعوبها، ص106-107.

[4]-شفيق مقار، المسيحية والتوراة، ص113.

ومشروع إسرائيل الكبرى لا يمكن أن يتحقق من دون المدينة المقدسة ووضع الأيدي ع مواقع المقدسات ولذلك ظلت هذه الأماكن موضع صراع بين اليهود والفلسطينيين فنجد أن حائط البراق بالقدس المحتلة بقي محل صراع حتى عام 1967 عندما احتل الجيش الإسرائيلي القدس الشرقية والصدمات التي حدثت في هذه الحرب إنما كانت صدمات مشاعر فالحرم الشريف يقوم على المكان الذي يعتبره اليهود موقع هيكلهم فهم يعتقدون حائط المبكى جزء لما تبقى من هذا الهيكل كما أن هذا الحائط يمثل للمسلمين المكان الذي ربط به محمد ﷺ البراق على أنه يشكل جزءا من الحرم القدسي الشريف وعلى ما تقرر في حرب 1948 بعد اتفاقية الهدنة التي نصت على حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة، إلا أن القوات الأردنية التي كانت متواجدة بمدينة القدس لم سمح لليهود لأن يصلوا إليه طيلة الفترة الممتدة من 1948-1967، وذلك باعتبار هذه الأماكن مقدسات إسلامية لا يجوز لليهود تدنيسها وانتهاك حرمتها[1].

ولذلك فالحائط كان منذ مجيء عام 1967 في نظر الإسرائليين رمزا للأماني المحرومة خاصة وأن معظمهم لم يشاهد الحائط والمدينة القديمة حتى غير المتدينين منهم والذين سيطرت على عقولهم العبارات التوراتية، التي كان يرددها اليهود في المنفى كعبارة "إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني" وكان كل ما يسيطر على أفكارهم الوصول إلى القدس القديمة حيث المقدسات التي طالما حلموا برؤيتها[2]، ولقد عبر الحاخامات اليهود عن شوقهم للمدينة القديمة، التي تم اقتطاعها من الجسد الإسرائيل على حد تعبير أحدهم*، واعتبروا ترك الأماكن المقدسة في أيدي الغير خطيئة كبرى[3]. ولما أحس الإسرائيليون بقرب حرب جديدة كانت مخاوف كثيرة تساورهم خاصة بعد تحرك الجيوش

---

(1)-ابراهيم أبو لغد، قمويد فلسطين ترجمة أسعد رزوق (دم: رابطة الإجتماعيين الكويت ومركز الأبحاث الفلسطينية، 1972)، ص392-393.

(2)-كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ص393.

*-الحاخام ريفاي يهودا كوك.

(3)-المرجع نفسه، ص638.

العربية المحيطة نظرا للأزمة النفسية التي مروا بها مخافة أن تتكرر لهم هولوكسوت[1] جديدة[2]، غير أنهم استغلوا عدم الاستعداد العربي للحرب وبادر الجيش الإسرائيلي بالحرب ووجه ضرباته على الحدود الأردنية لأن القدس الشرقية كانت تابعة لها، وسوريا ولبنان ثم تطور الوضع ليمتد عدوانها المفاجئ والكبير على مصر ثم على سورية والأردن[3].

ومع عدم التكافؤ بين القوات الحربية والاستعدادات، فشلت القوات العربية في الدفاع عن القدس رغم ما بذلوه من جهده في الدفاع عن القدس الشريف، وفي اليوم السابع من جوان حاصرت القوات الإسرائيلية المدينة ودخلتها من بوابة الأسد وفي تلك الأثناء كان أول ما اتجه الإسرائيليون إليه الوصول إلى الحائط ووقوفهم عنده وقد مثل لهم هذا حدثا تاريخيا لم يشهدوه منذ فترة السبي والشتات حيث استعادوا صلتهم بأهم وأكبر الأماكن قدسية التي طالما حلموا بها كما نفخوا في الشوفار ورتلوا المزامير احتفالا بالانتصار[4].

وقد كان وصول الجنود الإسرائيليين إلى المواقع المقدسة بمثابة الصاعقة التي حلت بالعرب المسلمين حيث أن مكان المجسد الأقصى الشريف قد دنس باحتلال الجيش الإسرائيلي المدينة القديمة ودخولهم إلى ساحته، وهكذا تحول الصراع إلى كفّة الإسرائيليين، فما كان إسلاميا أصبح يهوديا حيث استطاع الآلاف منهم أن يجتمعوا عند الحائط وأن يعلق عليه شارة مكتوبة عليها "بيت كنيست" (هيكل)، والعرب المسلمين الذين كانوا يؤدون الصلاة في جامعي الحرم الشريف فوق الحائط سوف يؤدونها بناء على منة السلطة اليهودية بعدما فقد العرب المسلمين سلطتهم على المدينة المقدسة وأصبحوا يعيشون تحت سلطة الاحتلال[5].

---

[1]-هولوكست: كلمة يونانية تعني حرق القربان بالكامل، ويشار إلى الإبادة بهذه الكلمة في معظم الأحيان، ويرجع اختيار هذا المصطلح من اليهود تعبيرا منهم عما حدث ليهود غرب أوروبا الذين أحرقوا كقربان الهولوكوست في عملية الإبادة النازية. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج2، ص946.

[2]-ابراهيم أبو لغد، تهويد فلسطين، ص393. أنظر أيضا: كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص639.

[3]-محمد عزه دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها ،ج2، ص82. لمزيد من التفصيل، في حرب 1997 أنظر أيضا: André Barthélemy, Israéliens et Palestiniens P87-89.

[4]-كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص639.

[5]-ابراهيم أبو لغد، تهويد فلسطين، ص393.

واحتلال 1967 أدى للتوسع في الحدود حيث ضمت أراضي سيناء في الحدود مع مصر وهضبة الجولان من جهة سوريا كما احتلت القدس القديمة التي استطاعت الجيوش العربية الأردنية حمايتها عام 1948 كما اجتازوا نهر الأردن إلى مسافة واسعة من شرقه[1]، واعتبر ذلك اليهود تحريرا حققه الجيش الإسرائيلي للأراضي المقدسة التي تشكل قلب أرض الميعاد التي وعد الله بها شعبه المختار كما يزعمون، فكان ذلك إحياء للوعد التوراتي[2]، ولأن القدس هي حلم العودة التي قصد اليهود التوجه إليها في الحرب هدفهم في ذلك السيطرة عليها لأن السيطرة عليها تعني السيطرة على فلسطين بكاملها.

هذا وقد جاءت التفسيرات الدينية عقب هذا انتصارهم في هذه الحرب، إذ أنها مهدت الطريق لتحقيق الهدف المسيحاني لليهود باشتمال حدود (دولتهم) على حدود التوراة التي تتحقق بها إسرائيل الكبرى والعمل على ترسيخها أكثر بعملية الهجرة بتجميع يهود الشتات لأجل التمهيد لعودة المسيح الذي طال انتظارهم له[3]، ولأن بعودتهم إلى أرض فلسطين يبدء معها الخلاص بحسب ما يعتقده حاخاماتهم[4].

كما صرح الجنرال موشي ديان أيضا أمام حائط البراق، بأن الجيش الإسرائيلي قد وحد المدينة المقدسة المقسمة ثم قال: «لقد عدنا إلى أكثر أماكننا قداسة.. لقد عدنا ولن نتركها قط مرة أخرى» وبعد ضم الكنيست في 28 من جوان القدس الشرقية ضما رسميا أعلنها جزءا من (دولة إسرائيل) وكان ليفي أشكول[5] قد أعلنها عاصمة لإسرائيل الأبدية عشية الاحتلال[6].

---

(1)-محمد عزه دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها، ج2، ص72.
أنظر أيضا André Barthélemy, Israéliens et Palestiniens p88

(2)-روبرت آساراف، أزمة ورجال في إسرائيل، ص40

(3)-أليعزر شفايد، أهداف الصهيونية اليوم، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع33، شتاء 1998، ص93.

(4)-كارين أمسترونج، القدس مدينة واحد وعقائد ثلاث، ص641

(5)-ليفي أشكول (1895-1969): (Levy echkol)، ولد بروسيا، هاجر إلى فلسطين في الثامنة عشرة من عمره، ساهم في خلق المنظمة النقابية الصهيونية وحزب المابال (M.A.P.A.L) والهاغاناه، عين كوزير للدفاع في الحكومة المؤقتة، ثم وزيرا للزراعة عام 1951، فوزيرا للمالية عام 1952. انظر: دوريس بن سيمون: إسرائيل وشعوبها، ص105.

(6)-المرجع نفسه، ص647-648.

وبهذا تتضح الأهداف الصهيونية في أرض فلسطين بأنها أهداف بالدرجة الأولى تتمثل في السيطرة على المواقع المقدسة بالمدينة، حيث المقدسات الإسلامية وما سبق ذكره فيه ما يدل على ذلك، كما أن التخلص العاجل من حي المغاربة وضم القدس، كلها تظهر بأن الصراع هو صراع على المقدسات قبل كل شيء، لأنها تمثل أحد أهم الرموز الدينية بالأثر الروحي، مما يجعل الأطراف المتصارعة تضحي بنفسها من أجل الدفاع عنها، بالنسبة للمسلمين والاستشهاد في سبيل حمايتها من تدنيس اليهود لها والاستماتة بالنسبة لليهود من أجل الحصول عليها وبعدما تحقق لهم ذلك عملوا على نسف حي المغاربة لأن اليهود يعتقدون بأن عودتهم إلى مكانهم المقدس يقتضي إلغاء الوجود الإسلامي وتدميره واستباحته، كما استباحوا هذا الحي استباحوا أيضا زاوية أبي مدين هذه المنطقة التي تعد وقفا إسلاميا وهي تحيط بجدار الحرم القدسي حيث يوجد ما يسمى بحائط المبكى والذي يعرف عند المسلمين بالبراق وجعلوا منها ساحة واسعة إلى باب الخليل غير مبالين بحرمة الاحتجاج الفلسطيني كما استباحوا أيضا الحرم القدسي بحيثه إليهم متظاهرين بالصلاة فيه على أساس أنه محل هيكلهم الذي يريدون إقامته على أنقاض المسجد الأقصى الذي يخططون لهدمه وهذا ما يفسر الحريق الذي أشعلوه في 21 أوت 1969 والذي أصاب منه المنبر والمحراب الذي كان قد نصبه صلاح الدين الأيوبي كما التهمت النيران بعض أركانه وسقفه[1].

وعلى إثر هذه الكارثة التي هزت العالم الإسلامي والتي كان لها الأثر العميق في الشعب العربي الذي بدأ يشهد نوايا اليهود، وما يفعلونه في مقدساتهم أفعالا لا أقوالا مما فجر الطاقات الثورية في الشعب الفلسطيني، الذي كان يعيش حياة الشتات والبؤس في المخيمات، كل هذه الظروف جعلته يندمج في العمل الفدائي وعلى مختلف مستوياته ومجالاته، وقد أخذت قوته وآثاره تتصاعد حتى وصلت العمليات الفدائية في الأسبوع الواحد المائة أو أكثر، وقد تميزت بالشعبية والشمول هدفهم في ذلك تحرير فلسطين من الوجود اليهودي المعتدي، وإعادة فلسطين إلى سيادة العرب المسلمين وتطهير أماكنهم المقدسة، من الوجود اليهودي الذي عمل على انتهاك حرمتها[2].

وهكذا لم يتوقف الصراع بين اليهود الصهاينة والعرب المسلمين الفلسطينيين منذ استيلاء الإسرائيليين على القدس عام 1967، وبداية عملية التهويد الواسعة بالمدينة والتي كانت بدايتها هدم

---

(1)-محمد عزه دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم، والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما حاورها، ج2، ص85 و86.

(2)-المرجع نفسه، ص87-88.

حي المغاربة، ليتوالى الهدم بعده أحياء كثيرة، على حساب الشعب الفلسطيني الذي شرد لأجل إقامة مستوطنات يهودية، لجعلها مدينة يهودية وطمس كل ما هو إسلامي، لتتوجه بعدها إلى المسجد الأقصى حيث تقام الحفريات للبحث عن الأثر اليهودي به، كل هذا ولد غضبا وسخط المسلمين خوفا على المسجد من الانهيار خاصة بعد الحريق الذي استهدفه.

بهذا الحادث الخطير الذي استهدف أهم المقدسات الإسلامية بالمنطقة كان أحد أهم العوامل التي فجرت الصراع مرة أخرى ليفرز صدامات عديدة مع اليهود خاصة وأن نيتهم باتت واضحة في هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه تعجيلا لقدوم المسيح وهو هدف دافيد روهان الذي قام بإشعال الحريق على أمل أن فعله هذا يمهد للمجيء ا الثاني للمسيح[1].

وكان من أثر هذه الأحداث أن أصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة قرارات عديدة في سنوات 1969 و 1970 و1971 تقرر فيها الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه وتقرير مصيره ولكنها قرارات بقيت حبرا على ورق لم تصل حيز التنفيذ مع التعنت الإسرائيلي ومراوغته[2].

وبهذا التحول استكملت مكونات الصراع حلقاتها حيث تصاعدت حدة بعد المقدّس الديني في هذا الصراع وأصبح تحرير القدس المحتلة مطلب المسلمين الأساسي بوصفها قبلتهم الأولى وحرمهم الثالث ومكان الإسراء والمعراج الخاص بهم وأنها أرضهم التاريخية كأمة عربية إسلامية[3].

وفي ظل هذه التحولات الأساسية اعتبرت القدس محور الصراع ورمزيته ومكونه الحضاري والديني والسياسي ورغم استمرار العدوان اليهودي على الأماكن المقدسة وعلى الأرض والسكان منذ عام 1967 بتهويد المدينة المقدسة ومحو معالم الحضارة العربية الإسلامية فيها فمنذ ذلك الحين توحد النضال العربي الإسلامي السياسي والمقاوم لتحريرها وأصبحت القدس والحرم الشريف فيها على وجه التحديد قاعدة للصراع وهو ما جعل عمق الحق الفلسطيني فيها يمتد إلى العمق الإستراتيجي العربي والإسلامي كاملا وعلى الجانب الأخر تزايد التمسك اليهودي بالقدس كاملة

---

[1]- كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص660.

[2]- محمد عزه دروزة، مرجع سابق، ج2، ص88.

[3]- حواد الحمد، القدس نجاح إسرائيلي واضح نحو التهويد جغرافيا وسكانيا WWW Yafa-news.com/ tareek 1/t7

موحدة كعاصمة أبدية لإسرائيل بوصفها المكان المقدس الوحيد لليهود في العالم[1].

ولقد عاش الشعب الفلسطيني على إثر هذه الظروف سنوات عصيبة من الطرد والتشرد غير أنهم لم يستسلموا أبدا فالصمود والإصرار على تواجدهم الجسدي بالمدينة المقدسة كان سلاحهم في المقاومة، هذا التواجد الذي سيذكر الإسرائيليين دائما بأن المشكلة الفلسطينية لم يتم حلها مع استمرار العمل الفدائي أيضا الذي لم يتوقف مند دخول اليهود إلى أرض فلسطين واحتلالها[2].

3-حرب 1973:

لم يتوقف الصراع عند حرب 1967 والتي احتلت (إسرائيل) بمقتضاها أراضي شاسعة من الدول العربية التي لم تستسلم لهذا الوضع وجاءت حرب رمضان المبارك والتي دام التحضير لها ثلاث سنوات وقد فاجأت فيها القوات المصرية والسورية (إسرائيل) في 06 أكتوبر 1973 وبينما اليهود يحتفلون بعيد الغفران ولهذا اصطلحوا عليها حرب الغفران (يوم كيبور)[3]، ولقد غيرت هذه الحرب الحالة الوجدانية لكلا طرفي الصراع حيث استطاع العرب من خلالها استعادة الأراضي التي احتلتها القوات الإسرائيلية في حرب 1967 ولقد استغرق فيها الجيش الإسرائيلي أياما لصد الهجوم المفاجئ بفضل الإمدادات الأمريكية التي سارعت في إنقاذها من هزيمة كادت تقضي على وجودها[4]، ولقد جاءت تفسيرات المتدينين لهذه الحرب كجماعة الحاخام كوك برؤية مفادها أن هذه الحرب كانت عقوبة من الله لأنه أعطاهم فرصة لا مثيل لها عام 1967 ومن جراء تقصيرهم في استعمار المناطق التي احتلوها عاقبهم الله بحرمانهم منها كما حملت جماعة المؤمنين التي كونها هذا الحاخام إلى طرح عملية إنشاء المستوطنات في فلسطين كوسيلة أخرى لعملية الخلاص عن طريق النشاط الاستعماري الذي يعتبرونه عملا مقدسا للتعجيل بقدوم المسيح المنتظر وهذا ما يفسر عملية تكثيف النشاط الاستيطاني في حكومة العمل برئاسة مناحم بيجن آنذاك[5].

---

[1]-جواد الحمد، مرجع سابق.

[2]-كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص660.

[3]-محمد عزه دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث، على فلسطين وما جاورها ج2، ص100-101.

[4]-كارين أمسترونج، المرجع السابق، ص660.

[5]-المرجع نفسه، ص661.

وبخرب 1973 تكون إسرائيل الكبرى التي يعمل اليهود على تحقيقها قد انحسرت إلى حدود أرض فلسطين وقد كان لها وقع كبير في نفوس الإسرائيليين الذين كانوا قد رأوا نبؤات العهد القديم في سنوات الستينات قد بدأ تحقيقها وما بقي لهم إلا أن يسيطر على موقع الحرم القدسي لإقامة هيكلهم الذي يعجل بقدوم المسيح لا انتظاره كما هو في توراتهم.

ومما سبق نخلص إلى أن المقدسات بأرض فلسطين كان لها بالغ الأثر في الجانب الحربي من الصراع الدائر بين الفلسطينيين والإسرائيليين، فقد عملت المقدسات على ازدياد حدة التوتر، وكانت أحد أهم العوامل الأساسية في حدوث معارك كثيرة، بلغت ذروتها مع دفاع الفلسطينيين عنها، والحيلولة دون وصول قوات اليهود إليها، كما أنها كانت المحرك الأساسي لليهود في هجومهم الذي تسبب في إصابة المسجد الأقصى والكثير من المساجد وحتى المقدسات المسيحية ، محاولين بذلك وبكل الطرق الحصول على المدينة المقدسة وما يدل على ذلك شهود المدينة لأكثر وأعنف المعارك بين الفلسطينيين والإسرائيليين فالاشتراك في الموقع المقدس هو الذي زاد من تعقيد الصراع الذي وصل إلى حد الحروب.

المبحث الثاني: أثر قدسية الأرض على الجانب السلمي من الصراع

بعد أن عرفنا مركزية المدينة المقدسة باعتبارها جزء من الأرض المقدسة ومدى تأثيرهـــا في تعقيد الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين إلى حد تفجر الصراع ليأخذ بذلك صـــورة الحـــرب المشتعلة بينهما نظرا لما تمثله مدينة القدس لدى الجانبين، كما أنها تشكل المحور الأساسي في العمليـــة السلمية التي جاءت كمرحلة تالية بعد مرحلة الحرب التي سبقتها، هذا التحول من سياسة الحرب إلى سياسة السلام كان توجه ذو مصالح إسرائيلية بالدرجة الأولى، بسبب مقتضيات الاقتصاد الإسرائيلي في إطار النظام العالمي الجديد، كما أن (إسرائيل) لم يعد لها في الإمكان القدرة على تحمل تكـــاليف الحرب المالية والبشرية المتزايدة، ضف إلى ذلك الإرهاق والتذمر الذي ظهر في وســـط المســـتوطنين (أزمة الخدمة العسكرية)[1].

لكل هذه الأسباب اتجهت (إسرائيل) من الحرب إلى السلام ليدخل الصراع بعدها مرحلـــة جديدة يغلب عليها الطابع التفاوضي كوسيلة بديلة لحل هذا الصراع الذي اتسم بتجذره واستمراره الطويل ومن هنا نطرح الإشكال الذي يتمحور حول مدى تأثير قدسية الأرض على الجانب السلمي (المفاوضات) من الصراع؟ وبعبارة أخرى ما مدى تأثير المقدّس في العملية السلمية؟

إن تميز أرض فلسطين بالقداسة عند اتباع الأديان الثلاثة جعل منها محل صراع عنيف بـــين أتباعها خاصة فكل من الإسرائيليين والفلسطينيين لم يتنازل أحدهما للأخر عن المدينة المقدسة لما تمثلـــه من أهمية دينية كبيرة لديهما فمنذ إعلان إسرائيل عن (دولتها) وهي تصرح بأن مدينة القدس عاصمة لها ومن جانب آخر نجد أن الفلسطينيين ومنذ وقوع القدس تحت الاحتلال والعـــرب والمســـلمون يعقدون المؤتمرات التي يؤكدون فيها كل مرة على عودة القدس إلى السيادة العربية ورفض تدويلـــها ومقاومة تهويدها غير أن ضعف موقف الأمة العربية والإسلامية مكـــن إســـرائيل مـــن مواصلـــة استراتيجيتها في العمل على طمس المعالم الإسلامية للمدينة بمشاريعها المعلنة والخفية[2].

---

[1]-المسيري، الموسوعة اليهودية، مج7، ص3956-3957.

[2]-غازي الربابعة، القدس في معاهدة السلام العربية الإسرائيلية مقال من كتاب القدس الخطـــاب الإســـلامي المعـــاصر ص276، 279-280.

وعلى صعيد آخر نجد أن موقف الطرف المسيحي الرسمي من قضية القدس آخذ في الانحسار فبعد أن كان يطالب بالحفاظ عليها موحدة مع ضمان حرية الوصول للعبادة لجميع الأديان دون عائق وذلك خلال الأربعينيات مع معارضته للسيطرة الإسرائيلية على الأماكن المقدسة[1].

وفي أثناء مناقشة خطة التقسيم وبعد حرب 1948 أيد فكرة تدويل المدينة غير أن موقف الفاتيكان تحول من تدويل المدينة إلى تدويل البلدة القديمة بعد1967 ومع حلول ديسمبر 1993 عدل الفاتيكان عن المطالبة بالتدويل وأصبح يطالب بالضمانات الدولية[2]، كما تعاهد الفاتيكان بالاتفاق بينه وبين إسرائيل بالبقاء بمنأى عن النزاعات الزمنية بشأن الأراضي والحدود وهو ما نصت عليه المادة الحادية عشر من الاتفاق وكذا إشارته إلى تسهيل عملية الحج للمسيحيين إلى الأماكن المقدسة ويعد هذا الاتفاق مكسبا إسرائيليا، خاصة وأن توقيعه جاء في مرحلة ما زالت مسألة القدس غير محلولة. وقبول الفاتيكان بتوقيع هذا الاتفاق في هذه الأوضاع، له من الدلالات ما يوحي بقبولها الوجود الإسرائيلي بالقدس الشرقية، غير أن هذا الاتفاق لا يلغي حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإصراره على القدس عاصمة لدولته[3].

وسنعرض في هذا المبحث لأهم اتفاقيات السلام لنبين من خلالها، ومن خلال ما جاء فيها بشأن الأماكن المقدسة خاصة ما تعلق منه بشأن القدس، باعتبارها أهم الأماكن قدسية عند كل من الفلسطينيين والإسرائيليين، لنعرف من خلالها مدى تأثير قدسية الأرض على اتفاقيات السلام.

المطلب الأول: اتفاقية كامب ديفيد:

ما إن بدأت عملية السلام بين العرب وإسرائيل عقب حرب 1973، حتى عادت قضية القدس للظهور، فعلى امتداد عام 1978 ومع تكثيف المباحثات بين الجانبين انتهت بعقد اتفاقية

---

[1]-دوري غولد، القدس الحل الدائم في دراسة لمركز يافي للدراسات، ص128، أنظر أيضا، فايز فهد جابر، القدس ماضيها حاضرها مستقبلها، ص 202.

[2]-المرجع نفسه، ص122

[3]-أسامة الحلبي، مسألة القدس في ضوء الاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع31، صيف 1997، ص117. انظر أيضا: حواد الحمد، القدس عبر التاريخ، العربي الدائم واليهودي الطارئ، WWW. Aljazeera. Net/ NR/ exeres/ 05235 78F- 101D- A85. 03/10/204.

كامب ديفيد[1]، وقد تضمن المشروع المصري في هذه الاتفاقية أحكاما بشأن القدس، على أساس انسحاب إسرائيل وتشكيل مجلس بلدي مشترك وضمان حرية العبادة والوصول إلى أماكنها غير أن الرئيس سادات قد قدم لكارتر في الوقت نفسه ورقة تنازلات منها ما هو بشأن القدس لبقائها موحدة على ما ذكره وليام كرانت في كتابه عن مفاوضات كامب ديفيد[2]، ذلك لأن الانسحاب الإسرائيلي كان أمرا مستحيلا خاصة بالنسبة للقدس التي تعتبرها المكان الذي لا يمكن التنازل عنه من أرض ولأنها تعتبر المناطق التي احتلتها مناطق محررة وقد حدد مناحم بيغن رئيس وزراء اسرائيل وجهته السياسية بعد زيارة السادات إلى القدس بعدم العودة إلى حدث 1967، فالضفة الغربية (السامرة ويهودا) والقطاع يجب أن تكون جزءا من الكيان الإسرائيلي، كما يعتبر عملية الاستيطان بهما حق مشروعا كما هو أيضا مشروعا في كل انحاء القدس[3]، فالمطالبة بالانسحاب الكامل لإسرائيل من الضفة والقطاع بل وحتى العودة إلى تقسيم القدس أمر مستحيل على حد قول مناحم بيجن بأنه ليس الرجل الذي يسمح بضياع الحلم التاريخي لإسرائيل الذي يقوم على إسرائيل الكبرى لذلك لا يمكن التنازل عن أرض إسرائيل لأن الشعب يؤمن بكامل الأرض لا بجزء منها[4].

وهكذا اصبح الموقف المصري بعد أن كان يطالب بتحرير القدس وضرورة عودتها للسيادة العربية كاملة أصبحت مطالبتها والدول العربية مجتمعة بإعادة القدس الشرقية فقط إلى السيادة العربية وأن تكون جزء من الدولة الفلسطينية مع ضمان حرية وصول أتباع الديانات الثلاث للأماكن المقدسة للمدينة[5].وحتى اتفاقية الحكم الذاتي التي تضمنتها اتفاقية كامب ديفيد فسرها الطرف الإسرائيلي على أنه حكم ذاتي للسكان فقط من حيث أمور حياتهم اليومية كالصحة والتعليم مع

---

[1]-هوتسما وآخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، (دم: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، (1418هـ-1998م))، ص8135، لمزيد من التفصيل في الاتفاقية أنظر طاهر شاش، المواجهة والسلام في الشرق الأوسط (القاهرة: دار الشروق،ط1، 1415هـ-1995م) ص 103 وما بعدها، منيرالهور طارق الموسى مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية (عمان: دار الجيل للنشر، ط2، 1986) ص178 وما بعدها، محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل (القاهرة: دار الشروق، ط7، 1996) ج2، ص411 وما بعدها.

[2]-طاهر شاش، المواجهة والسلام في الشرق الأوسط، ص103.

[3]-غازي الربابعة، القدس في معاهدة السلام العربية الإسرائيلية، ص281.

[4]-محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ج2، ص413.

[5]-غازي الربابعة، القدس في معاهدات السلام العربية الإسرائيلية، ص282.

بقاء الأرض تحت السيادة الإسرائيلية لذلك رفضت مطالبة الجانب المصري في المفاوضات اشتمال منتخبين في المجلس الإداري سكان القدس الشرقية لأنه يحد من سيادتها على القدس الشرقية[1].

وبالتالي خرجت الاتفاقية دونما إشارة لموضوع القدس والفصل فيه بإيجاد حلول ما بشأن السيادة حول القدس واكتفت بتأجيل البحث في ذلك إنقاذا لمسيرة السلام لأن الخلاف حول السيادة عليها وعلى الأماكن المقدسة المتواجدة بها هي نقطة الافتراق بين الجانبين نظرا لصعوبة الموقف الذي سيواجهه إن تنازل أحد الطرفان للآخر عليها لما تمثله هذه المدينة من أهمية دينية لكليهما[2]، فحضور الدين في عملية التفاوض يعطل سيرها كما يقول بذلك محمد حسنين هيكل لحساسيته لدى كلا الطرفين خاصة وأن (إسرائيل) تقوم أصلا على أسس ودعاوي دينية والمفاوض الإسرائيلي نفسه موجود على طاولة المفاوضات بشرعية لا سند لها إلا ما جاء في التوراة[3].

لذلك نجد أن مناحم بيجن يطرح موقف دينيا متعصبا في الضفة الغربية وهكذا فإن الليكود[4] وأنصاره من جماعة جوش إيمونيم[5] تدعي بأن كل أرض إسرائيل أعطيت من قبل القوة الإلهية، وواجب اليهود أن يستعيدوا هذه الأرض من العرب ولو كان ذلك بقوة السلاح[6]، وعليه فقد كان الموقف الإسرائيلي قائما على مبدأ عدم التنازل عن الأرض الموعودة لأن التنازل عنها يعني التنازل عن إسرائيل الكبرى عكس ما كان عليه الموقف المصري الذي قدم تنازلات كبيرة في هذه

---

(1)-غازي الربابعة، القدس في معاهدات السلام العربية الإسرائيلية، مرجع سابق، ص281.

(2)-طلال العتريسي، المنظمات الشعبية والأهلية والواقع التفاوضي الراهن حول القدس، مقال من كتاب القدس في الخطاب الإسلامي المعاصر، ص105.

(3)-محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ج2، ص435.

(4)-الليكود: تجمع سياسي وبرلماني صهيوني أنشئ في سبتمبر 1973 من كتلة غاحال وأحزاب المركز الحر والقائمة الرسمية وحركة أرض إسرائيل الكاملة، ويمارس تكتل الليكود أثرا ضاغطا شكليا وعمليا في اتجاه التوسع والتشدد مع العرب. انظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج5، ص598.

(5)-جوش إيمونيم (Gush Emunim): وهي عبارة عن عبرية تعني "كتلة المؤمنين"، وهي حركة صهيونية استيطانية، وهي ليست حزب وإنما هي حركة شعبية غير ملتزمة، إلا على أرض إسرائيل، وقد تأسست رسميا عام 1947، غير أن التأسيس الفعلي للحركة كان في حوان 1967، وقد تركز نشاطها على العملية الاستيطانية وتصعيدها. انظر: المسيري، الموسوعة اليهودية، مج7، ص 3733.

(6)-فيليب جيللون، أنا صهيوني وأطالب بدولة للفلسطينيين ترجمة عبد العظيم حماد، تقديم أنيس منصور (القاهرة: دار المعارف، دط 1978)، ص37.

الاتفاقية الأمر الذي ولد الرفض العربي والفلسطيني عقب توقيع هذه الاتفاقية[1].

المطلب الثاني: اتفاقية أوسلو

جاء عقد اتفاقية أوسلو في 13 سبتمبر1993 كإحدى نتائج الانتفاضة التي استطاعت أن تؤثر في فكر بعض اليهود الأكثر صلابة من المتشددين كإسحاق رابين الذي أقنعته الانتفاضة أنه من غير الممكن أن تبقى (إسرائيل) محتفظة بالأراضي المحتلة فلما أصبح رئيسا لوزراء إسرائيل عام 1992 كان على استعداد للدخول في مفاوضات سلام مع منظمة التحرير الفلسطينية فكان أن تم ذلك في العام التالي 1993 بعقد اتفاقية أوسلو التي تقضي بتسليم إسرائيل قطاع غزة وجزء من الضفة (يبدأ بأريحا والمساحة التي حولها) إلى الإدارة الفلسطينية[2]، فالبداية كانت بغزة على أساس أنها ذو كثافة سكانية فلسطينية عالية مما جعل الانتفاضة فيها بصورة قوية، الأمر الذي جعل إسرائيل على استعداد للانسحاب منها منذ سنوات، غير أنّ ربين لم يفعل ذلك لأنه سيبدو وأن الانسحاب من غزة هزيمة للجيش الإسرائيلي أمام أطفال الحجارة[3]، أما بالنسبة لأريحا فوافقت على إضافتها على أساس أنها ليست بعيدة عن القدس، وقربها من نهر الأردن يفتح الباب أمام حل أفضل في المستقبل لإقامة اتحاد "كونفيديرالي" بين الأردنيين والفلسطينيين، أضف إلى ذلك بأن منطقة أريحا لا توجد بها مستوطنات يهودية، مما يسهل عملية الانسحاب[4].

هذه هي المرحلة الأولى من الاتفاق وتستمر ستة أشهر، حيث يتم فيها الانسحاب من قطاع

---

(1)-لمزيد من التفصيل في الرفض العربي لاتفاقية كامب ديفيد، أنظر طاهر شاش المواجهة والسلام في الشرق الأوسط، ص108-111

(2)-كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص666-667. لمزيد من التفصيل في: الاتفاقية انظر: طاهر شاش، المواجهة والسلام في الشرق الأوسط، ص272 وما بعدها. علي الجرباوي، البعد الفلسطيني الإسرائيلي للصراع منذ أوسلو حتى الآن، من كتاب: صراع القرن الصراع العربي مع الصهيونية وإسرائيل عبر مائة عام، (الأردن: مؤسسة عبد الحميد شومان، ط1، 1999م)، ص178. انظر أيضا: ويليام ب.كوانت، عملية السلام، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، (1414هـ-1994م))، ص409-410.

(3)-محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ج3، ص272.

(4)-طاهر شاش، المواجهة والسلام في الشرق الأوسط، ص276.

غزة ومنطقة أريحا التي ستحدد مساحتها في المفاوضات اللاحقة[1]، غير أن تماطل الحكومة الإسرائيلية في التنفيذ وتمسكها بوجود مستوطنات عرقل تطبيق الاتفاق، وأخذت تصرح بما يناقض الاتفاق خاصة فيما يتعلق بالقدس الموحدة عاصمة لها والخليل بإقامة المستوطنات فيها[2]. هذه الأخيرة التي عملت حكومة الليكود على زرعها بمناطق الضفة وغزة، وقد مثلتها حركة غوش إيمونيم لاعتبارات دينية وتاريخية في الأساس، خاصة مدينة الخليل ونابلس، حيث قبر يوسف عليه السلام وغيرها من المناطق، وحتى أن استيطانها للأماكن الآهلة بكثافة السكان العرب يهدف منع أية إمكان لتقسيم الأراضي التي احتلتها، ومن ثمة تقوم بضمها إليها في نهاية المطاف[3].

كانت هذه هي المرحلة الأولى من الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي في الثامن من شهر سبتمبر 1995 تم في طابا المصرية توقيع المرحلة الثانية، غير أن الاختلاف كاد يهدد مجمل الاتفاق، غير أن الممثل الأمريكي الدبلوماسية المصرية تمكنتا من سحب عقد الاتفاقية إلى واشنطن، حيث تم التوقيع عليها، وكان مما نص عليه الاتفاق انتقال مسؤولية الإشراف على الأماكن المقدسة في الضفة والقطاع إلى الجانب الفلسطيني، مع كفالة حرية العبادة للجميع، خاصة في مدينة الخليل[4]، للتواجد اليهودي بقلبها والأوجه التاريخية والدينية الحساسة المتعلقة بها، واتخذت ترتيبات أمنية بشأنها تتمكن بها السلطات الفلسطينية من ممارسة المسؤوليات تجاه السكان الفلسطينيين، وفي الوقت نفسه تحتفظ (إسرائيل) بمسؤولياتها تجاه الإسرائيليين وحمايتهم وزيارة الأماكن المقدسة، كما حدد الاتفاق ترتيبات خاصة بالنسبة لقبر راحيل ببيت لحم، وقبر يوسف عليه السلام بنابلس[5].

واتفاقية طابا كانت تعني للمتدينين التخلي عن الضفة الغربية أمر لا مفر منه، لذلك قرروا منع حصول ذلك والوقوف ضد رابين مهما كلفهم ذلك، خاصة القاطنين منهم بمنطقة يهودا الضفة

---

(1)-علي الجرباوي، البعد الفلسطيني الإسرائيلي للصراع منذ أوسلو حتى الآن، من كتاب صراع القرن الصراع العربي مع الصهيونية وإسرائيل عبر مائة عام، ص178.

(2)-حسين الشريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام، (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، دط، 1996)، ج4، ص366.

(3)-حوزف ألفير، المستوطنات والحدود، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع21، شتاء 1995، ص80-81.

(4)-حسين الشريف، المفهوم السياسي لليهود...، المرجع السابق، ج4، ص367، 370.

(5)-وثائق مفاوضات السلام، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع24، خريف 1995، ص210.

الغربية وقطاع غزة، كما ظهرت خلافات بشأن الجلاء عن منطقة الجليل التي أدت إلى تأجيل الاتفاق بشأنها، الأمر الذي يصر عليه الفلسطينيون شأنها شأن باقي مدن الضفة الغربية ووضعها تحت إشرافهم، غير أن الموقف الإسرائيلي اعتبر أن الأمر مستحيلا لتواجد بعض المئات من المستوطنين اليهود بالمنطقة خاصة بعد تصاعد المد الديني ممثلا في الليكود الذي يقوم على مبدأ عدم التنازل[1].

أما بالنسبة لمدينة القدس فلم تتناولها بالبحث نظرا لحساسيتها لكلا الطرفين، وعلى ذلك كانت من الأمور المؤجلة للتسوية النهائية لصعوبة الفصل في شأنها، ولقد استهدفت إسرائيل من إدراج موضوع القدس إلى مفاوضات النهائية حتى تكون لها فرصة أكبر لتهويدها، وتحقيق زيادة سكانية يهودية، حتى إذا طرحت قضية القدس للمفاوضات لا يبقى للعرب فيها سوى الأماكن الدينية يسمح لهم بإدارتها، وبذلك تحل قضية القدس دينيا لا سياسيا، لأنهم يدركون أنه من يملك السيادة السياسية يملك السيطرة الدينية[2].

غير أن اتفاقية أوسلو قوبلت بمعارضة شديدة من الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، حيث شعر الجانبان بأن قيادتهم قد قدمت تنازلات كبيرة للطرف الآخر، ولأنه أيضا تأجل البحث بشأن مستقبل القدس حتى ماي 1996، مع اعتراف ضمني بأنها ستكون من أكبر العوائق صعوبة[3].

فقد ظهر الرفض في الموقف الفلسطيني في جميع الأطراف المعنية مباشرة بالصراع، حيث عارضته بشدة، وتمنت له الوفاة، وقد عملت جاهدة على تعطيل تنفيذها، كما أدانت الأحزاب المعارضة الفلسطينية والعربية الاتفاق، واعتبروه كارثة وطنية، واتهموا السلطة بالتفريط[4].

وفي أعقاب توقيع الاتفاقية انقسم جمهور اليهود في فلسطين، أيضا إلى معسكرين بين مؤيد للاتفاقية ومعارض لها[5]، وكان الرفض على أشده من طرف أحزاب اليمين غلاة المتطرفين منهم،

---

(1)-روبرت أساراف، أزمة ورجال في إسرائيل، ص75.

(2)-غازي الربابعة، القدس في معاهدات السلام العربية الإسرائيلية، ص283.

(3)-كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص 667

(4)-ممدوح نوفل، أفاق الوضع الفلسطيني للضفة الغربيةبعد اتفاق طابا واغتيال رابين، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع25، شتاء 1996، ص60.

(5) إبفراح ياعر، عملية أوسلو والرأي العام في إسرائيل، أوراق إسرائيلية، 2003/01/03. www.Almash-had.org

لأنهم يرون في هذه الاتفاقية نهاية لحلم إسرائيل الكبرى[1].

كما أنهم اعتبروا تاريخ انعقاد الاتفاقية يوما أسود في تاريخ (إسرائيل)، وأقسموا بأنهم سيستخدمون كل وسيلة من أجل تعطيل تنفيذها حفاظا على أرض إسرائيل التاريخية ولليهود الحق في استيطان الضفة الغربية، متهمين رابين في ذلك بالخيانة الوطنية[2].

لقد شهدت فلسطين آنذاك انقساما لم تشهده من قبل، حيث أثمرت بيئة التطرف والتعصب الديني توعدات وإشارات واضحة في صفوف اليمين توجب بفتوى دينية بإهدار دم رابين، وكل من يفرط في أرض إسرائيل بسبب عملية التسوية التي ينتهجها، وذلك من خلال إخضاعه لما يسمى بـ"حكم دير موسير"، وهو حكم حاخامي قديم يبيح قتل أي شخص يعرض اليهود عمدا للخطر بنقل معلومات أو نقل ممتلكات الشعب اليهود إلى شعب أجنبي، غير أن الكثير من الحاخامات يرون أنه قد عفا عليه الزمن[3].

وبعدما جاءت مصادقة الكنيست على الاتفاق المبدئي شهدت مناطق الضفة والقطاع حداد الإسرائيليين حيث كان ذلك نهاية مشروع الاستيطان وقبول إعادة تقسيم جديد لأرض الميعاد التي تعد انتهاكا للشرائع الدينية التي تحرم التنازل عن أقل قطعة أرض إلى غير اليهود، فأصبحوا يرون أن الأرض المقدسة بدأت تتلاشى بفعل انسحاب قوات الجيش الإسرائيلي، الذي يعد تهديدا لمستقبل الاستيطان وبالتالي تهديدا لإسرائيل الكبرى[4]، وبعد موت رابين وتولي شمعون بيريس رئاسة الحكومة مكانه ومع تصاعد اليمين الإسرائيلي قام باستبدال حل رابين القائم على الفصل الجغرافي بحل مركب يقوم على الاستعداد لإقامة دولة مستقلة في قطاع غزة والإبقاء على الضفة الغربية منطقة سيادية يعيش فيها فلسطنيون وإسرائيليون معا ويكون الفصل فيها وظيفيا لا جغرافيا[5]. وعلى الرغم من إدعاءات ناتنياهو باحترام حكومته لما تم الاتفاق عليه في أوسلو إلا أن هذا الالتزام اللفظي لم يعقبه

---

[1]-روبرت آساراف، أزمة ورجال في إسرائيل، ص73.

[2]-ممدوح نوفل، آفاق الوضع الفلسطيني في الضفة الغربية... ص60.

[3]-عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والدولة في إسرائيل، ص483. أنظر أيضا ممدوح نوفل، أفاق الوضع الفلسطيني ص60.

[4]-روبرت آساراف، أزمة ورجال في إسرائيل، ص93-94.

[5]-علي الجرباوي، البعد الفلسطيني الإسرائيلي الصراع منذ أوسلو حتى الآن، ص189.

التزام حقيقي للمبادئ التي قامت عليها عملية السلام الجارية مع الجانب الفلسطيني وبقيت عقيدة "الأرض الموعودة" تشكل القاعدة الأساسية في توجهات الحكومة اليمينية تجاه الفلسطينيين وعليه فإن هدفهم من المفاوضات هو ضبط أو تعديل أي اتفاق مع الجانب الفلسطيني بما يتوافق مع هذه العقيدة ولذلك اتجهت سياسات الليكود للحد من أضرار أوسلو التي قلصت من حدود إسرائيل[1] وبهذا نجد أن اتفاق أوسلو لم يتطرق إلى موضوع القدس وأرجأ النظر فيها إلى الوضع النهائي نظرا لحساسية المدينة المقدسة، وتمسك كل من الطرفان بها عاصمة لدولته ولهذا السبب تأجل البحث في شأن موضوع القدس إلى الوضع النهائي وذلك تجنبا لعرقلة مسيرة السلام.

المطلب الثالث: اتفاق الخليل:

في ظل عدم الانسحاب الإسرائيلي من منطقة الخليل والتمسك بها لقدّاستها ونظرا لتواجد المسلمين واليهود بها شهدت المدينة خلافات عديدة بشأنها وصل الحقد اليهودي الذي بلغ مداه في مذبحة الحرم يوم 25 فيفري 1994، إذ كان حدثا رهيبا والذي زاد من بشاعتها أنها لم تكن في ساحة القتال وإنما كانت بداخل مسجد الحرم الإبراهيمي وهو من أغلى المقدسات الإسلامية، فبالرغم من تحديد عدد المستوطنين بقلب مدينة الخليل لحساسيتها فقد كان الفاعل من المستوطنين على حدودها، وقد جاء هذا الانفجار منذ دخل إليها الحاخام "موشى لفينجر" عقب 1967، ومطالبته بمدينة الخليل كلها أرضا يهودية باعتبارها مدفنا للآباء من أنبياء اليهود[2].

وبناء على ما سبق، ونظرا لأهمية المنطقة من الناحية الدينية لم يتوقف الخلاف بشأنها وتوصلت المفاوضات حولها حيث جاء توقيع اتفاق الخليل.

وقد توقيع اتفاق الخليل في 15 جانفي 1997، وقد جاء هذا الاتفاق كمحاولة لتخفيف حدة التوتر والاشتباكات الأمنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين الدائرة بالمدينة، خاصة وأن مدينة الخليل مقدسة عند كل منهما مما جعلها تعاني من مشاكل أمنية لا تعاني منها مناطق الضفة الغربية

---

(1) أحمد سامح الخالدي، حكومة الليكود وبعض الخصائص المميزة على المسار الفلسطيني، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 28، خريف 1996، ص13-14.

(2)-محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ج3، ص 371.

التي تم إخلاؤها[1] ومن ثم تم نقل السلطات التي عمدها الجيش الإسرائيلي باسم عملية تسليم المفاتيح في مقر القيادة العامة لجيش الاحتلال وكان بذلك دخول ياسر عرفات مدينة الخليل المحررة جزئيا يوم 19 جانفي [2].

ونظرا لحساسية المنطقة تم تقسيمها في هذا الاتفاق إلى مناطق أمنية وذلك في برتوكول الخليل الذي جاء تكملة لاتفاق أوسلو عام 1995، وقد قسمت المدينة إلى ثلاث مناطق:

منطقة "أ" وتعني قطاع مدينة الخليل تشرف عليه السلطة الفلسطينية من الناحيتين الأمنية والمدنية.

منطقة "ب" وتعني القرى التابعة للخليل والمخيمات المحيطة بها والذي تشرف عليه السلطة الفلسطينية مدنيا ولكن من الناحية الأمنية يقع تحت سيطرة القوات الإسرائيلية.

منطقة "ج" وهي قطاعات من مدينة الخليل تقع تحت السيطرة الإسرائيلية بشكل كامل[3].

ونظرا للتواجد الفلسطيني والإسرائيلي بالمدينة حيث الحرم الإبراهيمي كما أنها تعد المدينة الوحيدة التي تتواجد المستوطنات الإسرائيلية في قلبها لهذا السبب كانت المدينة الوحيدة التي تم توقيع اتفاقية مستقلة بين الطرفين بشأنها، عام 1995، وفي عام 1997 تم التوقيع عليها وبتالي تم تقسيم المدينة إلى قسمين قسم " H1" يقع تحت السيطرة الفلسطينية وتتراوح مساحتها 80 كلم^2 (أي ما يمثل 80% من مساحة المدينة) وقسم "H2" يقع تحت سيطرة القوات الإسرائيلية وتغطي مساحتها 4.3 كلم^2 (أي ما يمثل 20 %من مساحة المدينة) وتتضمن المركز المدينة والبلدة القديمة بالإضافة إلى الحرم الإبراهيمي والمستوطنات[4].

فالملاحظ أن الجانب الإسرائيلي يحاول دائما إحكام سيطرته على المناطق حيث تتواجد

---

[1]-روبرت أسارف، أزمة ورجال في إسرائيل، ص214.

[2]-بشارة حضر، أوروبا وفلسطين، -من الحروب الصليبية حتى اليوم- ترجمة منصور القاضي مراجعة جورج أبي صالح (بيروت، د ر، ط1، 2003)، ص372.

[3]- www.Hebron Media,and Democracy

[4]-المرجع نفسه.

المقدسات وهي دائما تحاول في سياستها فرض الأمر الواقع بعملية تكثيف الاستيطان بالمدينة بإقامة المستوطنات في قلبها والتي يقطنها مستوطنون متطرفون وهم يعملون بشكل دائم على انتهاك حقوق الشعب الفلسطيني والاعتداءات المتكررة عليه كما فرضوا سيطرتهم على الحرم الإبراهيمي أحد أهم المقدسات الإسلامية بحجة أن هذا المكان من أقدس الأماكن بالنسبة لليهود ولا تزال عملية التهويد متواصلة إلى حد الآن.

والجدير بالذكر أن استلاء المستوطنين على أقسام واسعة من الحرم قد ضيق الخناق على الفلسطينيين بسبب حظر التجول المفروض على المدينة بسبب الصراع المستمر بين المسلمين والإسرائيليين على الحرم الإبراهيمي.

ونظرا للمضايقات التي يفعلها المستوطنون اتجاه المسلمين الذين يقصدون الحرم لأداء صلاتهم وإغلاق قوات الاحتلال الدائمة للمسجد ومنع تواجد المصلين فيه بالإضافة إلى نقاط التفتيش المتمركزة حوله كل هذا أدى إلى الحد من إقبال المسلمين إليه بشكل كبير في كثير من الأيام كما اقتصر القدوم على كبار السن أما الشباب فيصعب عليهم ذلك نظرا لما يتعرضون إليه من مضايقات واعتقالات من قبل القوات الإسرائيلية[1].

غير أن هذا الاتفاق الذي قضى بتقسيم مدينة الخليل وضع رفضه أهل الخليل أنفسهم ويناضلون من أجل تغير هذا الاتفاق الظالم الذي يكرس شرعية الاستيطان اليهودي في الخليل[2].أما على الصعيد الإسرائيلي فنجد أن أعضاء الليكود قد عارضوا هم أيضا برتوكول الخليل وذلك خوفا من انتصار استراتيجية السلام التي تتعارض بدورها مع منطلقات وأهداف الليكود ولاءاته للطرف الفلسطيني والعمل على تكريس إسرائيل الكبرى بفرضهم على نتنياهو تصعيد حملة الاستيطان في جبل أبو غنيم مثلا وحتى يشكل ذلك مدخلا لفرض وقائع نتائج الحل النهائي بما يتماشى مع سياسة الليكود[3]. وكما نجد الطرف الإسرائيلي وككل مرة لا يلتزم بتطبيق ما يتوصل إليه في الاتفاقيات بحيث يتم إلغاؤها وهو ما حصل لهذا الاتفاق فقد تم إلغاءه وعدم الاعتراف به، هو ما جاء على

---

(1)- www.Hebron Media,and Democracy مرجع سابق.

(2)-صخر أبو زار، الاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية بين الواقع والتوقعات، www.Afaq.org/main

(3) [illegible] www Albayan Co.ae ،2003 سبتمبر 26

لسان رئيس الحكومة الإسرائيلي آريئيل شارون خلال جلسة الحكومة الأسبوعية أنه: «من الواضح أن اتفاق الخليل لاغ ولا يتم تطبيقه بطبيعة الحال ولا معنى له» وقد جاءت أقوال شارون ردا على طلب وزير البناء والإسكان الإسرائيلي ناتان شيرانسكي لإلغاء اتفاق الخليل الذي وقع عام 1997 وهذا ما يوضح السياسة الإسرائيلية التوسعية بالمنطقة القائمة على مبدأ عدم التنازل تحت شعار" إسرائيل الكبرى"[1].

وعليه يصعب التوصل إلى حل نهائي بشأن المناطق التي تتواجد بها المقدسات التي يشترك فيها طرفا الصراع من حيث القدسية وهذا الأمر عقّد من مواصلة مسيرة السلام والتوصل إلى حل نهائي.

المطلب الرابع: اتفاقية كامب ديفيد الثانية (اتفاقية الحل النهائي):

جاءت مفاوضات كامب ديفيد الثانية، التي بدأت في 11جويلية 2000 بعد أن وصلت قناة المفاوضات السرية التي كانت انطلاقتها من تل أبيب ثم انتقلت إلى "ستكهولم" ثم عادت مرة أخرى إلى حيث بدأت بمجرد تفاهم بين الرئيس عرفات وباراك، وذلك لتحديد المواضيع الرئيسية التي سيتناولونها والمتمثلة في قضايا:القدس واللاجئين والمستوطنات والسيادة والحدود[2].

وقد طرحت قضية القدس في قضايا الحل النهائي حيث اقترحت إسرائيل والولايات المتحدة أن تترك السلطة الوطنية الفلسطينية السيادة على الحي العربي (المسيحي والإسلامي) ومساحته لا تتعدى ثلث كيلومتر مربع فقط ذلك لأن إسرائيل لم توافق على طرح مسألة القدس بأكملها[3]. أما مسألة السيادة على الحرم القدسي الشريف فقد اقترح الجانب الإسرائيلي على المفاوضين الفلسطينيين سيادة ما فوق أرض الحرم في حين ترجع السيادة الإسرائيلية على ما تحت الأرض وقد رفض الجانب الفلسطيني هذا الاقتراح خوفا من اكتساب صيغة شرعية لعمليات الحفر التي تقوم بها جماعة أمناء الهيكل أسفل الحرم وهذا الرفض هو ما عجل بفشل المفاوضات التي استمرت لمدة أسبوعين[4].

---

[1]-فينكس فريش، ديانا بحور: شارون اتفاق الخليل غير ذي صلة: www.arabiynet.com .

[2]-المركز الفلسطيني للإعلام، كامب ديفيد الثانية بين الفشل واستمرار التفاوض:
www palestine-info. net/ arabic/ analysis/ index

[3]-بوابة القدس، القدس في مفاوضات التسوية: www Alquads gate.com

[4]-المرجع نفسه.

وقد كان الرفض الفلسطيني مدعوما بالموقف المصري الذي شدد على الطرف الفلسطيني بعدم تقديم أي تنازل يتعلق بالسيادة على القدس وهو الموقف نفسه الذي اتخذته السعودية التي تعتبر نفسها مسؤولة على المقدسات الإسلامية في العالم العربي وقد كان للموقف المصري السعودي أثر مباشر على موقف عرفات الذي قدم تنازلات كثيرة بخصوص اللاجئين والمستوطنات والسيادة والحدود غير أنه لم يستطع أن يقدم تنازلات بشأن مدينة القدس نتيجة للموقف الفلسطيني الداخلي من جهة، والموقف العربي من جهة أخرى[1].

وقد حاولت مصر بعد سلسلة من الضغوط الأمريكية التقدم باقتراح غير مكتوب يضمن السيادة الفلسطينية على كامل منطقة الحرم القدسي والقدس القديمة ما عدا حائط البراق والحي اليهودي غير أن هذا الاقتراح لقي رفضا من قبل الحكومة الإسرائيلية لأنها تصر على السيادة على كامل القدس بما فيها القدس الشرقية ومنطقة الحرم مع إعطاء صلاحيات دينية للفلسطينيين على المساجد مع الاحتفاظ بما تحت الأرض لزعمها بوجود هيكل سليمان تحت الحرم القدسي الشريف[2].

ومع الليونة التي أظهرتها السلطة الفلسطينية باقتراحها تقاسم السيادة مع الإسرائيليين على حائط البراق مقابل السيادة المشتركة على المساجد لإصرار الحكومة الإسرائيلية على رفض السيادة الفلسطينية على القدس القديمة ومنطقة الحرم القدسي واكتفاء الحكومة الإسرائيلية بإعطائها للسلطة الفلسطينية صلاحيات دينية على منطقة الحرم في القدس ولا يزال هذا الموقف يحول دون تقدم المفاوضات[3].

وعلى ذلك فتوجهات طرفي الصراع الفلسطيني والإسرائيلي تتجه جميعها نحو القدس بشأن السيادة عليها لتواجد المقدسات بها فالطرف الفلسطيني بقي مصر على سيادته للقدس الشرقية على الأقل واحتفاظه بذلك الإشراف على المقدسات فهذه الأخيرة هي الشيء الوحيد الذي لا يستطيع الجانب الفلسطيني التنازل عنه.

---

[1]-المركز الفلسطيني للإعلام، كامب ديفيد الثانية وبين الفشل واستمرار التفاوض.

[2]-المركز الفلسطيني للإعلام، هل بقيت القدس العقدة الوحيدة في المفاوضات.

[3]-المرجع نفسه.

والغربية، وهي بالنسبة إليه هدفهم الثابت، لما تشكله هذه المدينة في الوعي الديني الإسرائيلي والسياسي من أثر.

فمدينة القدس تشكل المركز الديني والسياسي معا وقد اتخذها داود عاصمة لملكه كما أنها أيضا عاصمة لملوك اليهود وهي أيضا عاصمة لإسرائيل الآن لأنها المدينة الأكثر قداسة فهي موقع الهيكل الأول والثاني على ما يعتقده الإسرائيليون[1]. ولذلك كان ارتباط اليهود بالقدس عندهم ارتباطا بالمدينة ككل، لا بأماكنها المقدسة فحسب، فاعتبر القدس دائما عاصمتهم وحدهم محاولين إعادتها عاصمة دينية قومية لهم[2].

والحكومة الإسرائيلية تعمل جهدها للسيطرة على المدينة من خلال صنع الحقائق الميدانية التي تطرح من خلال العمليات الإستيطانية التوسعية قبل الشروع بالتفاوض مع الجانب الفلسطيني[3].

كما تؤكد تصريحات ومواقف قادة (إسرائيل) تمسكهم الشديد بالقدس ونظرتهم إلى أبعادها الدينية والسياسية وإلى البعد النفسي بتعظيم هذه المدينة في قلوب اليهود وحثهم على المزيد من الإستيطان فيها يقول بن غوريون: «لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس من دون هيكل» وهذا المفهوم هو ما كرره شمعون بيريس بدعواه إلى إسكان المهاجرين في القدس وهو ما ردده أيضا شامير من قبله وأيضا نتنياهو وأيضا باراك معتبرا أن التنازل عن قسم من القدس الشرقية أمرا عظيما وفرصة يجب على الفلسطينيين اغتنامها وإلا فالمفاوضات مهددة بالتوقف وباراك سيتراجع عما اتفق عليه في اتفاقية كامب ديفيد[4].

وفي ظل هذا التمسك المستمر بالقدس عاصمة أبدية وكاملة لإسرائيل، وفي المقابل لذلك نجد الطرف الفلسطيني قد حصر السيادة على القدس القديمة بدلا من القدس كاملة، وموحدة ولا حتى القدس الشرقية، بل ركز في هذه الاتفاقية على القدس القديمة، وبذلك تم تجاوز طرح موضوع

---

(1)-Alan unterman , dictionnaire de judaisme traduit de l'anglais par cathrine cheval, . (paris, edition thames et hudson sarl, 1997) P146

أنظر أيضا .Isaie, G brillet,(paris edicion du cerf 1945) P07.

(2)-دوري غولد، القدس الحل الدائم في دراسة لمركز يافي، ص 119.

(3)-مهند عبد الحميد، القدس بين استراتيجيتين (دم: منشورات وزارة الإعلام الفلسطينية، دط، دت) ص06.

(4)-ظلال العتريسي، المنظمات الشعبية والأهلية والواقع التفاوضي الراهن حول القدس، ص111-112.

حتى القدس الشرقية، بل ركز في هذه الاتفاقية على القدس القديمة، وبذلك تم تجاوز طرح موضوع القدس بشطريها للمفاوضات، وهذا ما يتفق مع الرؤية الإسرائيلية وأهدافها إلى حد كبير[1].

هذا، وعلى صعيد الموقف المسيحي بشأن المقدسات في اتفاقية كامب ديفيد الثانية ما أصدره بطاركة القدس الكاثوليك والأرمن والأرثدكس في بيان مشترك لهم في 19 جوان 2000، وقبل انعقاد المؤتمر داعين إلى عدم الفصل بين الأحياء المسيحية في المدينة القديمة، وذلك في حالة التوصل إلى اتفاق سلام، وقد جاء هذا موازيا مع موقف الفاتكان والبابا يوحنا بولس الثاني الذي ناشد الأطراف في القمة إلى: «عدم إهمال البعد الروحي لمدينة القدس»، هذا إلى دعوات مسيحية أخرى أكدت على ضرورة تدويل المدينة المقدسة كحل أمثل لوضع هذه المدينة، وأن العمل على تدوينها وعدم تركها بيد القوة الغاشمة هو واجب مقدس، كما دعوا كل الطوائف العمل على تأليف فريق مسيحي مشرقي للاتصال بالمسيحيين في الغرب، للتأكيد على تدويل المدينة حفاظا على المقدسات[2].

ومنذ توقفت مفاوضات كامب ديفيد الثانية والمواقف الإسرائيلية لا تزال ثابتة بشأن القدس كعاصمة موحدة وأبدية (لدولة إسرائيل)، بينما نجد الطرف الفلسطيني يقدم تنازلات بشأن السيادة على كامل القدس، في الوقت الذي يتمسك فيه الوسط الرسمي للقرارات الدولي التي تقر عدم جواز احتلال الأراضي بالقوة ومنها القدس، يعترف ضمنا أو علانية بالكيان الإسرائيلي، وفي مقابل ذلك يميل الوسط الشعبي والحزبي بكامل اتجاهاته الوطنية والقومية والإسلامية إلى رفض الاعتراف بالكيان الإسرائيلي، وإلى اعتبار القدس كاملة تحت السيادة الفلسطينية[3].

وقد أصدرت بعض هذه الأحزاب والمنظمات بيان تندد فيه بما جرى بالمفاوضات، واعتبرت القدس قضية مركزية في القضية الفلسطينية، داعية العرب والمسلمين لحشد طاقاتهم لمنح استلابها أو طمس تاريخها. كما سيرت بعد هذه المنظمات تظاهرات استنفار داعية فيها إلى الجهاد ورفض التفاوض لتحرير القدس، كما حدث في الأردن وبلاد أخرى عربية وإسلامية بشأن مستقبل القدس[4].

---

[1]-المركز الفلسطيني للإعلام، هل بقيت القدس العقدة الوحيدة في المفاوضات.

[2]-طلال العتريسي، المنظمات الشعبية والأهلية ...، مرجع سابق، ص108-109.

[3]-المرجع نفسه، ص114.

[4]-المرجع نفسه، ص114.

وأخيرا نقول بأن الصخرة التي تحطمت عليها مفاوضات كامب ديفيد كانت القدس، وخاصة موضوع السيادة على القدس الشرقية والمقدسات المتواجدة بها، في ظل تمسك كل من الطرف الفلسطيني والإسرائيلي بموقفه تجاه القدس، هذه الأخيرة التي حالت دون التوصل إلى حل نهائي بشأن الصراع الدائر حولها.

وعليه يكون للأماكن المقدسة أثر كبير في الجانب السلمي من الصراع، بحيث كانت أحد أهم الأسباب التي تعثرت المسيرة السلمية بسببها لصعوبة الفصل بشأنها، فعلى امتداد المسيرة التفاوضية لم يتوصل في أي واحدة من هذه الاتفاقيات إلى حل نهائي للقضية الفلسطينية، وكانت قضية السيطرة على المدينة المقدسة وجعلها عاصمة والمقدسات من أهم العوائق الصعبة التي حالت دون التوصل إلى حل نهائي، الأمر الذي أدى إلى فشل المسيرة السلمية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: علاقة المقدسات بالانتفاضة

جاءت انتفاضة الشعب الفلسطيني كرد فعل للأوضاع التي كان يعيشها تحت سلطة الاحتلال رافضا بذلك كل أنواع الظلم والقهر التي عانى منها طويلا، وذلك بعد أن فشل الحل السلمي في استرجاع حقوقه، فكانت انتفاضة شاملة تصميما منه على المقاومة المستمرة طالما الاحتلال مستمر.

غير أن هذا لا يعني توقف المقاومة في ظل سنوات السلام، فمقاومة الشعب الفلسطيني للمحتل لم تتوقف وانطلاق شرارة الانتفاضة عام 1987، لا يعني انعدامها قبل ذلك، ونظرا لصعوبة الإلمام بجميع جوانب الانتفاضة وبسنواتها الطويلة، سنقتصر في هذا المبحث على أسباب تفجر الانتفاضة، مركزين في ذلك على انتفاضة 1987 وانتفاضة 1996 وانتفاضة 2000، كأهم محطات للانتفاضة الفلسطينية لنعرف من خلالها مدى تأثير المقدسات في تفجيرها.

المطلب الأول: انتفاضتي 1987-1996 :

انفجرت الانتفاضة في التاسع من ديسمبر 1987 غير أنها لم تكن الانتفاضة الأولى لقد سبقتها انتفاضة عام 1985 وخاصة في شهري مارس وأفريل و لم تكن هي الأخرى أولى الانتفاضات بل كانت الخامسة في الترتيب منذ عام 1967، فقد وقعت الأولى في عام 1967 والثانية عام 1974 والثالثة عام 1976، والانتفاضة الرابعة عام 1982 وقد بدأت كرد فعل لممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلية ضد سكان الضفة التي اقتحمت مخيمين بالقرب من مدينة بيت لحم واعتقال العشرات من الشبان متهمة إياهم بتأييد منظمة التحرير، وإلقاء القنابل الحارقة والحجارة على المستوطنين الإسرائيليين في المنطقة[1].

لم تتوقف الأحداث عند عام 1982 بل استمرت لتنفجر مرة أخرى على إثر مقتل طالبين في جامعة بير زيت، وقد جاء هذا الحادث على إثر مظاهرات احتجاج قام بها طلبة هذه الجامعة محتجين على الحادث الذي تعرض له المسجد الأقصى من اعتداء من طرف نحو خمسة عشرة يهوديا من

---

[1]-محمد خالد الأزعر، المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1991)، ص54.

طلاب معهد ديني في مستوطنة كريات أربع، ويطلقون على أنفسهم "أمناء جبل الهيكل"[1]، وقد أصدر مجلس الأوقاف في اليوم ذاته أي في 2 مارس 1982 بيان شجب الاعتداء ضد المسجد الأقصى مستنكرا فيه هذه الأعمال الاستفزازية محذرا السلطات الإسرائيلية من عواقب الاعتداءات المتكررة ، معتبرا أن المسجد الأقصى بكل ساحاته ومصلياته مسجدا خاصا بالمسلمين، وأفعالهم هذه تعد تحديا لشعور المسلمين وانتهاكا لحرمة مقدساتهم[2].

ومع إعلان مجلس الوزراء الإسرائيلي في جلسة له انعقدت بتاريخ 4 ديسمبر 1986، بأن الجنود عملوا خلال هذه الأحداث كما ينبغي بهدف منع حوادث الإخلال بالنظام، وعلى إثرها أعلن الفلسطينيون الإضراب والحداد في الضفة والقطاع لمدة ثلاثة أيام احتجاجا على تلك الممارسات، وبانتهاء عام 1986 كانت حصيلة الشهداء 21 مواطنا من الضفة والقطاع[3]، ثم تأتي بعدها انتفاضة ديسمبر 1987 لتتبوأ الذروة في تصاعد المقاومة الفلسطينية، وتطورها منذ ديسمبر من عام 1986، الذي شهد مطلعه عدة اعتداءات على المقدسات الإسلامية بالقدس حيث يتواجد المسجد الأقصى المبارك والحرم الإبراهيمي بالخليل، وقد وصلت إلى حد أن نواب حركة "هتحيا" وأيضا لجنة الشؤون الداخلية بالكنيست وكذا عدد من الحاخامات قاموا بمحاولة اقتحام المجلس الأقصى والصلاة فيه، في هذا ما له دلالاته إذ أصبحت محاولات الاعتداءات على المقدسات الإسلامية تضم عناصر حكومية رسمية إلى جانب قوى إرهابية غير رسمية، وفي هذا تشجيع للحكومة الإسرائيلية على هذه العمليات واستفزاز لمشاعر المسلمين[4].

كل هذا كان له أثره البالغ في ازدياد حدة الانتفاضة التي بلغت حدها الأقصى مع انتفاضة ديسمبر 1984.

إن تفجر انتفاضة ديسمبر جاءت بمثابة نقلة هائلة في تاريخ المقاومة الفلسطينية من حيث أداة المقاومة التي أصبحت تقوم على المقاومة المدنية، غير أنها لم تنفرد به وإنما كان أسلوبا في مقاومة

---

[1]-أحمد العلمي، أيام دامية في المسجد الأقصى، (عمان: دار الجيل، ط1، 1983)، ص17-19.

[2]-أنظر نص هذا البيان في الملحق رقم (2).

[3]-محمد خالد الأزعر، المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة، ص56.

[4]-المرجع نفسه، ص57.

الشعب الفلسطيني الذي بدأ ينشط في الثمانينات وهو ما يسمى بالكفاح السلمي الطويل، الذي يحمل معه الإصرار على المقاومة ضد الاحتلال، فالانتفاضة ثورة بالمعنى الحقيقي ليست مجرد حدث انقلابي ذو فترة زمنية محدودة[1].

وقد كانت أحد أهم الأسباب الهامة والمباشرة في تفجير هذه الانتفاضة:

أولا: الحادث الذي تعرض له أربعة من المواطنين الفلسطينيين في غزة، وقد نجم عن مطاردة سيارة عسكرية إسرائيلية لهم عمدا، وقتلهم وهو ما أثار الغضب في صفوف الشعب وهذا الحادث ما هو إلا تكرار لأحداث كثيرة سابقة له مما كان يتعرض له الفلسطينيون من الأعمال التعسفية من قمع وقتل وتشريد[2].

ثانيا: تهميش وتجاهل القضية الفلسطينية وحقوق الشعب بتقرير مصيره ضمن قمة ريجان-جورباتشوف وذلك باعتبارها من القضايا الساكنة في ذلك الوقت قياسا بالقضايا التي كانت مشتعلة كقضية أفغانستان وبلدان أمريكا اللاتينية الوسطى وغيرها[3]، وبهذا أحس الشعب بأن القضية قضيته وهو من يتولى حلها وبالطريقة التي يراها الأنسب لاسترجاع حقوقه ما دامت دول العالم تتجاهل قضيته، فكان خياره الانتفاضة التي أشعلها في ديسمبر 1987.

ثالثا: انتقال الجنرال المتشدد آرييل شارون أحد قادة الليكود إلى مسكن بحي الواد بالقدس العربية، للإقامة فيه وكان في هذا العمل من التلميح ما يعبر عن تصميم اليمين اليهودي على البقاء في القدس، وفي هذا ما يفيد استمرار نوايا اليهود بالمدينة وبالمقدسات التي يحاولون في كل مرة الوصول إليها[4].

وقد كان لهذا السبب الأخير خاصة دوره الفعال في اشتعال نار الانتفاضة مرة أخرى، وصلت قمتها بوصول شارون إلى المدينة المقدسة هذا العمل الذي استفز به شعور المسلمين بالمنطقة.

---

[1]-أسامة الغزالي حرب، تطورات القضية الفلسطينية: ندوة أفاق القضية الفلسطينية بعد عامين من الانتفاضة، المستقبل العربي، س12، ع123، ماي 1989، ص125-126.

[2]-لطفي الخولي، الانتفاضة والدولة الفلسطينية (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1409هـ-1982م)، ص21.

[3]-المرجع نفسه، ص22.

[4]-كارين أمسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص665.

وقد كانت انتفاضة ديسمبر أوسع الانتفاضات مقارنة بسابقاتها، لتشمل بذلك معظم الأراضي الفلسطينية كما كانت أطولها نفسا وتنظيما، لأنها كانت تتويجا لمجموعة من الانتفاضات المتتابعة في الساحة الفلسطينية منذ عام 1982[1].

فامتداد الانتفاضة كل هذه السنوات إنما تعبر عن رفض الشعب الفلسطيني لما هو حاصل بأرضه المحتلة التي تتعرض لمشاريع الاستيطان والتهويد من جهة وما تعرضت له مقدساته من تدنيس من جهة أخرى، فالانتفاضة كما يقول الأستاذ سمير أحمد أمين العالم للكتاب والصحفيين الفلسطينيين بأن: «تمسك الشعب الفلسطيني بالمقاومة خيار لحماية المقدسات ومواجهة المحتل وتحرير الأرض...إن المسيرة الجهادية للانتفاضة المستمرة عادت القضية الفلسطينية إلى مركز الصدارة والاهتمام في العالم»[2].

هذا وقد حققت الانتفاضة نتائج مهمة على المستوى الدولي، فعرفت العالم عدوانية الاحتلال الإسرائيلي وفرضت قضيته وبضرورة إيجاد حل لها، وعلى المستوى الإسرائيلي أدت إلى تقوية العودة إلى حركة السلام، التي تعطلت سنوات كثيرة على أيدي المتشددين الإسرائيليين الذين فرضت عليهم الانتفاضة العودة إلى المفاوضات، فعبر الفلسطينيون بانتفاضة على إصرارهم في الحصول على الاستقلال[3]، كما أن الانتفاضة قد زعزعت الاستقرار الإسرائيلي وكانت مفاجئة كبيرة له، فبعد مرور شهر عن الانتفاضة وفشل إسحاق رابين وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك في قمع الانتفاضة التي وعد بالقضاء عليها في مدة قصيرة لا تتجاوز أيام والأسابيع المعدودة، وقف رابين ليعترف بأن: «علينا أن نرتب أنفسنا على أن هذه أصعب مواجهة تتحدى إسرائيل بالقياس إلى جميع حروبها منذ ماي 1948» كما علق أحد أبرز المحللين العسكريين في صحيفة "هاأرتس" رئيف شيف على اعتراف رابين الذي صدم به غالبية أعضاء الكنيست: «بأن ما يجري الآن في قطاع غزة والضفة الغربية هو حرب استنزاف [...] لم تعرف له مثيلا خلال جميع الحروب الماضية التي كان علينا أن نخوضها»[4].

---

[1]-لطفي الخولي، الانتفاضة والدولة الفلسطينية، ص23.

[2]-www.quds online. Net.

[3]-كارين أسترونج، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص666.

[4]-لطفي الخولي، المرجع السابق، ص158.

وكنتيجة لذلك تراجع شيئا فشيئا الخطاب السياسي العام من الطابع الهجومي التقليدي القائم على تحقيق "إسرائيل الكبرى" قبل نهاية القرن العشرين إلى خطاب دفاع وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الضفة الغربية، أما قطاع غزة فلم يعد في الحسبان بالمقابل في ذلك نجد أن الخطاب السياسي الفلسطيني قد انتقل من الموقع الدفاعي الذي كان يدور حول تخفيف قيود الاحتلال إلى موقع هجومي يطرح فيه مطالبه بقوة بإنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في غزة والضفة الغربية والقدس العربية تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية[1].

والشعب الفلسطيني بكل حركاته المشاركة في الانتفاضة لم يتنازل قط عن القدس كعاصمة للدولة الفلسطينية التي كان دوما يركز عنها في مطالبه الأساسية فهي بالنسبة له لا مجرد شعار فحسب، بل هي عقيدة راسخة لا يمكنه التهاون أو التنازل بشأنها ، وهو ما أكده النداء رقم 55من نداءات الانتفاضة الصادرة عن منظمة التحرير الفلسطينية، وما أكده في انتفاضته التي كانت لأجل حماية مقدساته بالمدينة [2]، وما صدر عن منظمة التحرير الوطني الفلسطينية أيضا في أحد منشوراتها[3].

لم تتوقف انتفاضة الشعب الفلسطيني عند حدود عام 1987 بل واصل الشعب مسيرته الجهادية طوال سنوات تتصاعد تارة وتخفت تارة أخرى، لتنفجر مرة أخرى عام 1996بشكل أكثر حدة، فما هو السبب الذي جعلها تظهر بهذه الحدة يا ترى؟

قد جاءت انتفاضة 1996 أو ما يطلق عليها "هبة النفق" كرد فعل للممارسات العدوانية الإسرائيلية المستمرة ضد المقدسات الإسلامية وما هذه الانتفاضة إلا حلقة من حلقات نضال الشعب الفلسطيني الذي أكد فيها وفي كل مرة تمسكه بأرضه ومقدساته التي خرج مدافعا عنها وبكل فئاته، في 25 من شهر سبتمبر عام 1996 على إثر إقدام السلطات الإسرائيلية على فتح نفق أسفل المسجد الأقصى المبارك الذي يعد عملا تريد أن تؤكد به إسرائيل سيادتها على مدينة القدس، وأن ما أجرته يعد من شؤونها الداخلية الأمر الذي رفضه الفلسطينيون الذين عدوا هذا العمل جريمة بحق مقدساتهم فجاءت ثورة غضبهم ردّا وتصديا لأعمال قوات الاحتلال الاستفزازية، لأن الأمر عندما يتعلق

---

[1]-لطفي الخولي، الانتفاضة والدولة الفلسطينية، مرجع سابق، ص162.

[2]-أنظر الملحق رقم (3).

[3]-أنظر الملحق رقم (4).

بالمقدسات يتحرك معه الشعور بالدفاع عنها، ولو أدى ذلك إلى الشهادة في سبيلها التي هي مبتغاه[1].

إن تفجر هذه الانتفاضة وإن كان سببها الرئيسي استهداف السلطة الإسرائيلية لأحد أهم لمقدسات الإسلامية غير انه لم يكن السبب الوحيد بل جاءت أيضا جراء تراكمات من ممارسات حكومة اليمين الإسرائيلي برئاسة نيتنياهو وذلك بإصرارها على مواصلة عملية الاستيطان وتهويد المدينة المقدسة[2].

فعملية الاستيطان وتهويد مدينة القدس بطمس معالمها الإسلامية والعربية كانت إحدى السمات البارزة في سياسة رؤساء الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بدءا بين جوريون الذي يعود إليه مخطط فرض الأمر الواقع مبكرا على القدس بتقسيمها والبدء بتهويد الجزء الغربي منها قبل احتلال الجزء الشرقي من المدينة المقدسة، وبعد بن غوريون خلفه ليفي أشكول الذي احتل القدس الشرقية في فترة حكمه وبادر بعمليات التهويد بها بالاستيلاء على مساحات واسعة منها وبناء الأحياء السكنية لليهود مكانها وكذا إقامة مباني الخدمات الرسمية والاجتماعية والثقافية، وغيرها وتواصلت عملية التهويد بالمدينة كما هو مخطط له في فترات حكم كل من جولدامائير وبيجن وشامير رابين الذين كرسوا جهودهم لإقامة مشروع القدس الكبرى[3]، وتتواصل عملية الاستيطان والتهويد بإصرار من اليمين الإسرائيلي حتى فترة حكم نتنياهو وهو ما كان أحد الأسباب الهامة التي فجرت انتفاضة الشعب الفلسطيني وهو يشهد عمليات الطرد وهدم المباني الفلسطينية لإحلال مكانهم اليهود المهجرين من الخارج.

كما أن انتفاضة الفلسطينيين أيضا جاءت لأن عملية التهويد هاته قد مست المعالم الدينية الإسلامية والمسيحية للمدينة المقدسة التي أصبحت تشكل خطرا كبيرا على الجانب التاريخي للمدينة ووضعهم كسكان فلسطينيين مسلمين ومسيحيين بها، خاصة وأن أعمال التهويد قد مست المعالم

---

[1]-مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، www.pnic.gov/arabic/intifada.

[2]-المرجع نفسه.

[3]-أحمد يوسف القرعي، القدس من بن غوريون إلى نتانياهو، (باريس: مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط1، 1997)، ص23-38.

الإسلامية والمسيحية معا.

إضافة إلى ذلك هناك أسباب أخرى اجتماعية وسياسية لها من الأهمية في انتفاضة الشعب الفلسطيني، فعلى المستوى الاجتماعي مثلا البطالة والظلم والقهر وكل الممارسات الميدانية التي يتعرض لها الفلسطينيون كل يوم، كل هذا ساهم في تفجير الانتفاضة، إضافة إلى الأسباب السياسية التي تمكن في مجموعة من التنازلات التي قدمتها السلطات الفلسطينيين ضمن اتفاقية أوسلو، والتي لم ترض جمهور كبير من الفلسطينيين، فرغم هذه التنازلات، فهم لم يلتمسوا شيئا مما اتفق عليه مع التعنت الإسرائيلي الذي شكل اليمين فيه سيد الموقف في اتخاذ القرارات التي تقوم على مبدأ عدم التنازل.

لكل هذه الأسباب جعلت انتفاضة الشعب الفلسطيني مستمرة باستمرار هذا الاحتلال وهذه الظروف، غير أن استمراريتها لم تكن على نفس المستوى، فهي تخفت أحيانا وتتصاعد أحيانا أخرى، وهي إحدى السمات التي تميزت بها.

المطلب الثاني: انتفاضة الأقصى 2000:

إن انتفاضة الأقصى لم تكن الانتفاضة الأولى التي خاضها الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي، بل سبقتها انتفاضات كثيرة على مرّ تاريخ المقاومة الفلسطينية اجتمعت مع سابقاتها في أمور كثيرة أهمها التحرير من الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية ذات السيادة الفعلية عاصمتها القدس، وعودة اللاجئين وإزالة المستوطنات[1].

كما أن هذه الانتفاضة جاءت ردا على ما كان رائجا في بعض الساحات العربية من أن الشعب الفلسطيني يئس من النضال، وأنه على استعداد للمساومة على أرضه وحقوقه، فجاءت انتفاضة الأقصى لتثبت عكس ذلك، مبرهنا للعالم كله استمرارية نضاله حتى قيام دولته[2].

غير أن الأسباب الكامنة وراء انتفاضة الشعب الفلسطيني، كانت لعدة أسباب مهمة ظهر فيها العامل الديني والمتمثل في الدفاع عن المقدسات بشكل بارز، ونذكر هذه الأسباب في العناصر التالية:

---

[1]-على درب الانتفاضة، W.W.W.Fm-m.Com/2004/oct 2004/ Story

[2]-إبراهيم أبراش، إلى أين بعد عامين على الانتفاضة، W W W sis.gov.ps/arabic/roya/ 21/ home. P21

1-تدنيس المسجد الأقصى:

منذ الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين واليهود يقومون بأعمالهم الاستفزازية تجاه المسلمين بالتعرض للمسجد الأقصى أحد أهم المقدسات الإسلامية بالمدينة.

وقد كانت الاعتداءات على المسجد الأقصى كثيرة جدا على امتداد سنوات الاحتلال، حيث سجل 40 اعتداء خلال سنوات 1967-1990، كما سجل أيضا 72 اعتداء خلال فترة 1993-1998، وقد كان من أبرز هذه الاعتداءات ما تعرض له المسجد الأقصى من حرق عام 1969، ومحاولات لنسفه في ماي 1980، وأيضا ما قامت به جماعة يهودية يطلق عليها "جماعة أمناء الهيكل"، بوضع حجر الأساس لبناء الهيكل الثالث،وهو ما ألهب مشاعر المسلمين انطلقوا مدافعين عنه ولو أدى ذلك إلى ارتكاب المجازر بحقهم، مثلما حدث في الثامن من أكتوبر 1990، حيث استشهد أربعة وثلاثون وجرح مائة وخمسة عشرة آخرون، وكما حدث أيضا في الخامس والعشرون والسابع والعشرون من شهر سبتمبر 1996، على إثر انتفاضة الغضب التي انفجرت بسبب افتتاح اليهود للنفق الذي يقع تحت الجدار الغربي للمسجد الأقصى مما أدى إلى استشهاد اثنان وستون فلسطينيا وجرح ستمائة آخرون[1].

هذا وتواصلت الاعتداءات على حرمة المسجد الأقصى لتأتي هذه المرة زيارة شارون الزعيم المتطرف لحزب الليكود في 28 من شهر سبتمبر 2000 تحت حماية الإسرائيلية مكثفة من الشرطة وحرس الحدود وكان قد صرح بأنه سيقتحم الحرم القدسي قبل ذلك بأسبوع رغم معارضة الفلسطينيين لذلك سلطة وشعبا، وعلى إثر هذا العمل الذي أقدمت عليه السلطات الإسرائيلية والتي اعتبره الفلسطينيون تحديا لمشاعرهم الدينية وتدنيسا لساحات الأقصى الشريف، خاصة وأن زيارته هذه جاءت دون مبرر، سوى أنها استفزازا للمشاعر الدينية لتنفجر موجة غير مسبوقة من الثورة للدفاع عن المقدسات[2].

فقد كانت لهذه الزيارة دلالات واضحة المعني من أن اليمين الإسرائيلي لم يتنازل عن مدينة القدس، وهو ما أكده بهذه الزيارة، هذه الأخيرة التي كانت السبب الرئيسي والمباشر في انطلاق

---

[1]-محسن محمد الصالح، القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة 2001.

W.W.W. palestine- Info. net/books.

[2]-فهاد عبد الإله خنفر، انتفاضة الأقصى وقضية الاستيطان. W W W sis.gov.Ps/arabic/roya/17 inside 17

شرارة انتفاضة الأقصى[1]، وهي التسمية التي اتخذها لانطلاقتها الأولى من المسجد الأقصى وساحاته، وقد جاءت هذه الانتفاضة عملية دفاعية دافع فيها الشعب الفلسطيني عن مقدساته بأرضه[2].

وعلى إثر هذه الزيارة اندلعت مواجهات عنيفة بين المصلين وقوات الاحتلال الإسرائيلي، استشهد فيها 5 فلسطينيين، وجرح أكثر من 100 آخرين، وعلى إثرها شملت معظم المدن والقرى الفلسطينية[3].

فانتفاضة الأقصى لم تقم بسبب تعثر مفاوضات عودة اللاجئين أو تأجيل إعلان قيام الدولة الفلسطينية أكثر من مرة، ولكن قامت بوصول شارون للأقصى المبارك وانتهاك حرمته[4]، واقتران هذه الانتفاضة بالمقدسات، جعل منها معركة مقدسات ميزتها عن سابقاتها من الانتفاضات، لبروز العامل العقدي فيها بصورة واضحة[5]. وما يفسر ذلك انطلاقة الانتفاضة المتجددة من الأقصى، حيث تتواجد المقدسات، ثم انتشرت بعد ذلك إلى باقي الأراضي الفلسطينية[6].

2-تهويد مدينة القدس

من الأسباب الدينية أيضا التي ساهمت في انفجار انتفاضة الأقصى إجراءات التهويد المتراكمة بمدينة القدس، واستمرار عملية الاستيطان بالمناطق الفلسطينية، وبشكل خاص بمدينة القدس[7].

فمدينة القدس ومنذ الاحتلال الإسرائيلي وهي تتعرض لعمليات التهويد وعلى جميع

---

[1]-محسن محمد الصالح، القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها...، مرجع سابق. انظر أيضا: هل ينهار المسجد الأقصى من جراء الحفريات الإسرائيلية في أساساتها، مقال في مجلة العالم الإسلامي، ع1765، أكتوبر، 2002، ص7.

[2]-نحو فهم أعمق لظاهرة الانتفاضة. W.W.W.FM-M. Com/ 2004/ Oct 2004.

[3]-الثورات الشعبية في فلسطين، قرن من المقاومة، . W.W.W.FM-M. Com/ 2004/ Oct 2004.

انظر أيضا: محمد عادل عقل، اليهود يدنسون المسجد الأقصى بقرار سياسي جديد. مجلة العالم الإسلامي، ع1800، جمادى الأولى/ حويلية 2003، ص16.

[4]-محسن محمد الصالح، القضية الفلسطينية...، المرجع السابق.

[5]-انطلاق انتفاضة الأقصى ومسارها.

W.W.W.quds Way. Com/ links/quds/ 7 Html-quds7/quds and intifada/quds and intifida-2.

[6]-نادية محمود مصطفى، من انتفاضة الأقصى إلى قمة الأقصى. W W.W.Islam online.net/arabic

[7]-المرجع نفسه.

مستوياته الديمغرافي منه، بإخراج السكان الفلسطينيين المقدسيين من مدينة القدس، وإحلال مكانهم اليهود الوافدين من الخارج، وعلى المستوى الاستيطاني بإقامة المستوطنات الإسرائيلية مكان المنازل الفلسطينية بعد هدمها، وعلى المستوى التهويدي الديني بطمس المعالم والآثار الدينية العربية الإسلامية والمسيحية منها على حد سواء، وهو ما يشكل خطرا كبيرا على مستقبل المدينة الحضاري[1].

وقد عملت السلطات الإسرائيلية بشتى الطرق على جعل مدينة القدس مدينة يهودية خالصة بتغيير أسماء الشوارع في القدس، وطمس الأسماء العربية والإسلامية، وقامت أيضا بإجراء الحفريات حول الحائطين الغربي والجنوبي للحرم القدسي والمسجد الأقصى، وهدم العقارات الأثرية من حوله، إضافة إلى الاعتداءات المتكررة عليه وعلى الكنائس المسيحية أيضا، في مقابل ذلك سمحت للمتطرفين اليهود بالدخول إلى ساحات المسجد الأقصى[2].

هذا على المستوى التهويد الديني للمدينة المقدسة، وأما على المستوى الديمغرافي فقد قامت سلطات الاحتلال بالعمل على خلق واقع ديموغرافي لصالح (إسرائيل) بالمدينة من خلال عملية الترحيل السرية للفلسطينيين من القدس الشرقية، مما أفقدت الفلسطينيين حق إقامتهم بالمدينة، وحرمانهم من منازلهم وملكيتهم لها، ونقلها لليهود المهاجرين إليها، بعد مصادرة أملاك الفلسطينيين العرب، ومنعهم من العودة إليها.

فالهدف الحقيقي من هذه العملية هو رفع نسبة السكان اليهود بمدينة القدس، لتكون أعلى نسبة لليهود لجعلها مدينة يهودية خالصة، حتى تفرض أمرا واقعا، وهو ما يسمى سياسة فرض الأمر الواقع على المفاوضات النهائية بشأن القدس، هذه الأخيرة التي كانت سببا في فشلها[3].

أما على المستوى الاستيطاني، فقد كانت العملية الاستيطانية إحدى أهم السياسات الواضحة المعالم للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، سواء حكومة حزب العمل أم حكومة حزب اليمين، لما لها من أهمية بالغة في امتصاص المهجرين إلى فلسطين، لإقامة ما يسمى بمشروع القدس الكبرى،

---

[1]-محمد خليفة حسن، البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية لجامعة القاهرة: دط، 1999)، ص89.

[2]-المرجع نفسه، ص91-94.

[3]-المرجع نفسه، ص93-94.

وإن كانت فترة حكومة الليكود قد تميز الاستيطان فيها بالتوجه الديني، إذ قامت بتكثيف علمية الاستيطان في المناطق التي تعتبرها تاريخية ذات التراث الديني، كمدينة الخليل ونابلس مثلا، كما وجهت الاستيطان إلى الضفة الغربية، حيث المناطق ذات الكثافة السكانية العالية لمنع تقسيمها وبالتالي ضمها إلى (إسرائيل)[1].

غير أن سياسة الحزبان (العمل والليكود) يتفقان في مبدأ العمل على توحيد القدس، وجعلها عاصمة أزلية لإسرائيل، والعمل بذلك على تشجيع عملية التهويد بالمدينة وبكل الوسائل الممكنة، بهدف استكمال عملية تهويد القدس الكبرى[2]، ويتضح ذلك من خلال ما قامت به السلطات طوال السنوات الماضية ومنذ الاحتلال الإسرائيلي عام 1948.

فبعد حرب 1948 التي أسفرت على احتلال الجزء الغربي من القدس، وعليه فقد العرب أحياء بأكملها، اضطرهم الحرب إلى تركها، واللجوء إلى أماكن أخرى، ومن جراء ذلك انخفض عدد سكان العرب بالقدس إلى نحو 60 ألف مواطن، يشكل نصف السكان منهم من البلدة القديمة[3]. لم تتوقف عملية مصادرات الأراضي الفلسطينية، لتعرف بعدها في عام 1967 خلال الشهر الأول من احتلال مدينة القدس، عدة إجراءات استهدفت من ورائها تهويد المدينة، تمثلت في هدم حي المغاربة وإجلاء سكانه، وإجلاء كذلك عدد كبير من سكان حي الشرف، كما قامت أيضا بعزل الأحياء العربية عن القدس، وعملت على تطويق المدينة بصور القلاع السكنية ذات الضخامة والارتفاع، حتى تشكل هذه المباني خاصة من جهاتها المطلة على المناطق العربية حصنا يمكن استعمالها في حالة الحرب لغرضي الدفاع والهجوم[4].

وعملا على تعزيز الاتصال بين المراكز الاستيطانية اليهودية وإحكام تطويق القرى العربية القريبة من القدس، وفصلها عن مدن الضفة، قامت بالاستيلاء على أراضي عربية في قرى إسكاريا وأرطاس وبيت ساحور، كما علمت على إقامة الحي اليهودي في القدس الشرقية، تكملة لعملية

---

[1]-جوزف ألفير، المستوطنات والحدود -التصورات الإسرائيلية للحل الدائم-، ص80-81.

[2]-محمد خليفة حسن، البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، ص89.

[3]-عبد الرحمان أبو عرفة، الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية، (عمان: دار الجيل والنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية)، ط2، 1986)، ص150.

[4]-المرجع نفسه، ص151، 155-156.

التهويد الشاملة للمدينة، وربطه بالمستوطنات الأخرى المقامة في حارات المدينة القديمة، للسيطرة سيطرة كاملة على الجهة الشرقية للمدينة المقدسة، ويعد هذا الحي من أخطر مشروعات القدس الكبرى لتهويد المدينة لتغيير معالمها، وبما له من قدرة عالية من استيعاب المهاجرين، حيث أنه يستوعب 100.000 يهودي للسكن فيه، لزيادة نسبة اليهود في المدينة[1].

وتوالت عملية مصادرة الأراضي التي كانت تتحجج فيها إسرائيل، بأنها لأغراض عامة أو أمنية لتستكمل عملية التهويد عام 1995، حيث قامت بمصادرة أكثر من 53 هكتار من الأراضي التي يمتلكها الفلسطينيون بالقدس الشرقية، بهدف بناء مجمع إسكاني لليهود ومركزا للشرطة[2].

ومع كل هذا لم تتوقف العملية الاستيطانية، لأن هدف حكومة الليكود واستكمال عملية تهويد القدس الكبرى الموسعة، بالذمج بين القدس الغربية والشرقية، والعمل على تفتيت الأحياء العربية وعزلها عن بعضها البعض، وتطويق القدس، بما يسمى بالحزام الاستيطاني، وتعمل الليكود على تنفيذ مشروع شارون القديم، الذي يهدف إلى إقامة 18 مستوطنة، يتم بها حصار القدس كليا وسد الفجوات بين الأحياء اليهودية بالمدينة، كما تعمل على إقامة طوق استيطاني حول الأحياء العربية، وهو ما يطلق عليه بثنائية الأحزمة والبؤر، بهدف جعل مدينة القدس مدينة يهودية خالصة، مع وجود ضئيل للفلسطينيين بالمدينة ببعض التجمعات السكانية الضعيفة[3].

لم تتوقف علمية تهويد مدينة القدس إلى يومنا هذا، وكان أخطر إجراء لعزل القدس خلال الانتفاضة إقامة ما يسمى بـ"جدار الفصل العنصري" على ما مساحته 17كلم^2، من أراضي المدينة المقدسة، أنجز منه ما مساحته 8كلم^2، كما ارتفعت أيضا عملية هدم منازل المقدسيين لتصل إلى نحو 310 منزل، منها 104 منزل هدمت منذ مطلع هذا العام، و123 منزل العام الماضي، و83 منزل عام 2001، حسب معطيات مركز القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية[4].

وعليه فإن استمرار العملية التهويدية وخاصة الجانب الاستيطاني منه، كان أحد أهم

---

(1)-أحمد يوسف القرعي، القدس من بن غوريون إلى ناتنياهو، ص37-38.

(2) المرجع نفسه، ص42.

(3)-محمد خليفة حسن، البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، ص89-90.

(4)-W.W.W dar alhayat com. 12/06/2004

الأسباب التي ساهمت بشكل كبير في تفجير انتفاضة الأقصى[1]. لأن الفلسطينيين أصبحوا يرون مدى خطورة ما تشكله هذه المستوطنات على وجودهم السكاني من جهة، والحضاري من جهة أخرى، وأن ما كانت تعمل له إسرائيل منذ سنوات قد بات جليا الآن مع ما يعيشه يوميا من حصار وشل للحركة في ضل هذه المستوطنات، بتشديد الأمن عن طريق إقامة وحدات عسكرية أمامها، وكل هذه الضغوطات ولدت الانتفاضة الجماهرية لدى أبناء الشعب الفلسطيني. فكلا طرفي الصراع وعيا ومنذ البدايات الأولى أهمية امتلاك الأرض، لأن امتلاك الأرض امتلاك الوطن، وخسارة الأرض تعني خسارة الوطن، وبالتالي خسارة الحرية والاستقلال.

وعليه فإن انتفاضة الأقصى قد أظهرت الممارسات القمعية ضد الشعب الفلسطيني بالعمليات الاستيطانية التوسعية المستمرة، ولهذا كانت معركة الفلسطينيين معركة الدفاع عن الأرض متواصلة في وجه الاستيطان حتى جلاء قوات الاحتلال عن الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، بما في ذلك القدس الشرقية وتدمير البنية الاستيطانية من هذه الأراضي لقيام دولة فلسطينية ذات سيادة[2].

فالشعب الفلسطيني يرى في مدينة القدس رمزا لمقدساته التي لا يمكنه التنازل عنها، وما تعرضت له من تهويد جعلته يحس بمخاطر فقدانها أمام حقائق التهويد التي أصبحت واضحة في المدينة، ورفض الشعب الفلسطيني لهذا الوضع هو ما عبر عنه بانتفاضة الأقصى التي جاءت لتعبر عن سخطه ورفضه لسياسة الاحتلال التي استهدفته واستهدفت معه أرضه ومقدساته.

3-فشل المفاوضات

كان لفشل مفاوضات الوضع النهائي، والتي عرفت بقمة كامب ديفد الثانية، التي عجزت عن إيجاز حل للقضايا التي طرحت والمتمثلة في قضية اللاجئين والاستيطان والقدس، وكانت القدس على رأس هذه القضايا، حيث لم يتوصل إلى حل بشأنها مع تمسك كل من الطرف الفلسطيني والإسرائيلي بها، أثره البالغ في تفجير انتفاضة الأقصى، فلما وصلت مفاوضات التسوية السلمية إلى طريق مسدود، اندفعت على إثرها الانتفاضة الشعبية، خاصة مع تأكد الأطماع اليهودية في مدينة

[1]-نهاد عبد الإله خنفر، انتفاضة الأقصى وقضية الاستيطان ...، مرجع سابق.

[2]-المرجع نفسه.

القدس والمسجد الأقصى، والتي أظهر بإصرار الطرف الإسرائيلي على جعل القدس الموحدة عاصمة لها، ومع تعنت الحكومة الإسرائيلية أيضا في قضايا المستوطنات واللاجئين التي لم تكن مستعدة للتنازل عنها وتنفيذ القرارات الدولية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالأمور الجوهرية، والتي تمثل قضية القدس أهمها، فكانت هي السبب الرئيسي في فشل المسيرة السلمية[1].

فالشعب الفلسطيني لما لم يلحظ تقدما في مسيرة العمليات السلمية منذ سنوات، بحيث لم يحصل منها على أدنى حق من حقوقه، مع المماطلات الإسرائيلية واستمرارها في بناء المستوطنات والحصار الاقتصادي، الذي يعاني منه الفلسطينيون، ضف إلى ذلك عمليات القتل والاعتقالات دون رادع، جعل الوسط الفلسطيني على أشدّه وعلى درجة كبيرة من الغليان، خاصة بعد الفشل الذريع الذي منيت به مفاوضات كامب ديفيد الثانية، ومع انتهاك شارون لحرمة المسجد الأقصى، كانت هذه الحادثة هي التي أشعلت لهيب انتفاضة الأقصى[2].

ففي خضم هذه الظروف لم يجد الفلسطيني نفسه إلا وهو يفجر انتفاضة الأقصى، معبرا من خلالها عن رفضه لهذا الاحتلال، مناضلا من أجل الحرية والاستقلال[3].

فخيار الشعب الفلسطيني لأسلوب المقاومة واستمراريتها على مدى سنوات الاحتلال لاسترجاع حقه بأرضه، قد تكرست هذه الفكرة أكثر لديه بعد فشل الحل السلمي وتأكدت معه بأن استرجاع الحق لا يقوم إلا بالمقاومة واستمرار الانتفاضة، وهو خيار أغلبية الفلسطينيين حسب استطلاعات الرأي التي صدرت عن جامعة بيرزيت، في دراسة لمجموعة من الباحثين، بأن 75% يؤيدون استمرار الانتفاضة الحالية، وفي هذا ما يدل على تمسك الشعب الفلسطيني بخيار الانتفاضة لاسترجاع حقوقه، وإقامة دولته تكون مدينة القدس عاصمة لها، فالغالبية العظمى من الفلسطينيين (92%) يعتبرون أن لا إمكانية للسلام بدون القدس كعاصمة للدولة الفلسطينية، وهو ما يسعى الطرف الفلسطيني تحقيقه[4].

---

(1)- محسن محمد الصالح، القضية الفلسطينية ...، مرجع سابق.

(2) هشام فرارجة، ندوة عن مستقبل الانتفاضة، مجلة البيان، ع17، ص180، أكتوبر/نوفمبر 2002، ص36.

(3)- المرجع نفسه، ص36.

(4)- http://home birzeit. Edu/dsp/surv2/introa

وأخيرا نقول، وإن اجتمعت أسباب كثيرة ساهمت في تفجير انتفاضة الشعب الفلسطيني، غير أن سبب الدفاع عن المقدسات كان له الدور الكبير في تفجيرها، فسياسة إسرائيل الاستفزازية التي تريد بها في كل مرة إصرارها على عدم التنازل عن المدينة المقدسة، وما قام به مثلا الجنرال شارون بانتقاله إلى مسكن بالقدس الشرقية للإقامة فيه ما يثبت ذلك، والذي على إثره وصلت الانتفاضة إلى أوجها، وما قامت به أيضا السلطات الإسرائيلية من فتح النفق تحت المسجد الأقصى وانتفاضة الشعب الفلسطيني لهذا العمل الذي اعتبرته تعديا على حرمة مقدساتها، كما أتت زيارة شارون الأخيرة لساحة المسجد الأقصى والتي من جرائها انفجرت انتفاضة الأقصى، برهن فيها الشعب الفلسطيني تمسكه بمقدساته، دافعا عنها بروحه.

وعليه فللمقدسات بالغ الأثر في تصعيد عملية الانتفاضة إلى حدها الأقصى، وبالتالي فهي عامل مساهم له أهميته أو عامل مسبب في تفجيرها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــــاتمـــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى ما يلي:

- أرض فلسطين تتوافر على موقع استراتيجي هام، ميزها عن سائر مناطق العالم، مما جعلها مثارا للنزاع ومعبرا لشعوب ومدنيات مختلفة، مخلفة وراءها رصيدها الفكري والحضاري أغنى المنطقة، فزادها أهمية حضارية متميزة.

- الجنس العربي كان من أوائل الشعوب المستقرة بأرض فلسطين، وعليه فالدخول العبراني لأرض فلسطين كان بعد الاستقرار العربي، وبذلك تنتفي الأحقية التاريخية التي يعتمدها اليهود الصهاينة في عودتهم إلى أرض فلسطين.

- أرض فلسطين أرض دينية شهدت أنبياء ورسل، فكانت بذلك أرض مشتركة بين كبرى الديانات السماوية الثلاث، واشتراك هذه الأديان في هذه الأرض على أساس أنها مقدسة في جميعها، ففلسطين أرض مقدسة في اليهودية على أساس أنها الأرض الموعودة وأرض الميعاد وأرض المقدسات. وهي مقدسة في المسيحية أيضا بناء على أنها الأرض التي شهدت ولادة المسيح عليه السلام ونشأته، وبداية دعوته، وصلبه -بحسب اعتقاد المسيحيين-، كما أنها الأرض التي ستشهد عودته وهي أيضا أرض مقدساتهم. أما في الإسلام فقدسيتها مبنية على أساس أنها أرض القبلة الأولى وأرض الإسراء والمعراج وأرض المحشر والمنشر، كما أنها أرض المقدسات.

- ارتبطت أرض فلسطين باليوم الآخر في الأديان الثلاثة، فارتبطت باليهودية على أنها أرض الميعاد وبالمسيحية على أنها أرض عودة المسيح، وبالإسلام على أنها أرض المحشر والمنشر.

- لقدسية الأرض أثر بالغ على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، إذ تعمل على تعقيده على جميع مستوياته، فهي تساهم بشكل كبير في ازدياد حدة الصراع في الجانب الحربي منه، إذ تبلغ الحرب ذروتها إذا تعلق الأمر بالمناطق المقدسة، فمحاولة كل طرف بسط سيطرته عليها لأهميتها الدينية من جهة، ولأن المسيطر على الأماكن المقدسة يعد مسيطرا على أرض فلسطين بكاملها، كما أن عامل القدسية يؤثر بشكل كبير على الجانب السلمي من الصراع، وعلى مجريات المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، إذ تشكل الأماكن المقدسة عقبة أساسية في نجاح المفاوضات. فتمسك طرفا الصراع بالأماكن المقدسة وعدم تنازل أحدهما للآخر عنها لمكانتها الدينية الهامة هو ما أدى

إلى فشل المسيرة السلمية (المفاوضات).

- يعد الاشتراك في الأماكن المقدسة أحد أهم العوامل التي ساهمت -ولا تزال- بشكل كبير في تعقيد الصراع وتأزمه، وتمثل القدس العقبة الأكبر في إيجاد حل نهائي لحل الصراع القائم في ظل تمسك الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي بالقدس عاصمة لدولتها، نظرا للمكانة الخاصة للمدينة.

- تشكل المقدسات أحد العوامل الأساسية في تفجير الانتفاضة (انتفاضة الأقصى 2000) كما أن هذه المقدسات تساهم بشكل كبير أيضا في ازدياد حدة الانتفاضة (انتفاضتي 1987 و1996).

- تشكل قداسة الأرض القاعدة الأساسية للبعد الديني للصراع.

- أن الصراع في الأرض المقدسة صراع حتمي مستمر لصعوبة الفصل وإيجاد حل نهائي بشأن السيطرة على الأماكن المقدسة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (1):

وزارة الخارجية
في الثاني من تشرين الثاني لعام 1917
عزيز اللورد روتشيلد

من دواعي غبطتي الجمة أن أنقل لكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التـــالي، بعطفنا على الآمال الصهيونية اليهودية، الذي عرض على الوزارة فوافقت عليه.

إن حكومة صاحب الجلالة لتنظر بعين العطف إلى مسألة إقامة وطن قومـــي في فلســطين للشعب اليهودي وستبذل أقصى ما في وسعها من مساع لتدليل إحراز هذه الغاية، مع العلم تمام العلم بأنه لن يفعل شيء من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة حاليـا في فلسطين، أو الحقوق والأهلية السياسية التي يتمتع اليهود بها في أي بلد آخر.

وأكون مدينا لكم بالجميل إذا ما تكرمتم فأبلغتم هذا التصريح إلى علم الاتحاد الصهيوني.

صديقكم المخلص

آرثر جيمس بلفور

المصدر: ج.م.ن جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ص268.

الملحق رقم(2):

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صادر عن مجلس الأوقاف بالقدس:

«أن مجلس الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في القدس، إذ يعلن استنكاره لهذه الأعمال الاستفزازية يود أن يبين ما يلي:

لقد تعددت هذه الاعتداءات ومحاولات إقامة الصلاة من قبل عدة من فئات وتحت سمع السلطات وبصرها دون اتخاذ إجراءات رادعة وبخاصة أن بعض من يقودون هذه المحاولات والممارسات هم من الأشخاص المعروفين، وذوي النفوذ والمسؤولية، الأمر الذي يوحي بأن ما يتم إنما هو نتيجة لتخطيط يهدف إلى خلق واقع لا يمكن أن يسلم به المسلمون.

أن مجلس الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ينظر بخطورة بالغة إلى الحادث الأخير الذي جرى في الليل، ويحذر السلطات من معبة مثل هذا الحادث والعواقب التي قد يؤدي إليها.

أن المسجد الأقصى وبكل ساحاته ومصلياته ومحاريبه يعتبر مسجدا خاصا بالمسلمين وأن أي اعتداء على أي بقعة فيه يعتبر تحديا لشعور المسلمين وانتهاكا لحرمة هذا البيت العظيم الذي تتعلق به أفئدة مئات الملايين من المسلمين في العالم كله، ويعتبرونه كذلك جزءا من عقيدتهم.

أن مجلس الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية يعلن للعالم أجمع بأن المسلمين المرابطين في المسجد الأقصى وحوله بتمسكون بحقهم في رد الاعتداءات لكل الوسائل المتاحة، ويحملون السلطات مسؤولية ما قد يحصل من نتائج وخيمة لا سمح الله.

لقد آن أن للعالم بكل مؤسساته ومنظماته التي تدعي حرصها على تحقيق العدالة والمناداة بحقوق الإنسان والتمسك بالمحافظة على المقدسات. لقد آن لهذا العالم أن يضع حدا للممارسات التي يقوم بها هؤلاء الناس ضد مقدساتنا الإسلامية، وبخاصة على المسجد الأقصى المبارك والحرم الإبراهيمي الشريف.

أنّ مجلس الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية يطالب السلطات المسؤولة إنزال العقوبات الرادعة بحق المعتدين في الحادث الأخير ليكونوا عبرة لغيرهم، كما يطالب السلطات باتخاذ **الإجراءات الكفيلة بعدم التكرار مثل هذه الحوادث التي أقل ما يمكن أن توصف به أنها مؤسفة وغير مسؤولة.**

وإننا لمنتظرون..».

المصدر: أحمد العلمي: أيام دامية في المسجد الأقصى، ص18-19.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (3):

وثائق الانتفاضة:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة

لا صوت يعلو فوق صوت الشعب الفلسطيني -شعب منظمة التحرير الفلسطينية-.

نداء – نداء – نداء

نداء رقم 55

نداء القدس العاصمة الخالدة للدولة الفلسطينية المستقلة.

صادر عن منظمة التحرير الفلسطينية/ القيادة الموحدة للانتفاضة يا جماهير الانتفاضة:

«ليس البدء من البدء في قلب فلسطين... قدس الأقداس... والتي تتعرض لحملات مسعورة من التنكيل الضرائبي والاستيطاني المسلح والاستفزاز: والتي وقف سكانها مسلمين ومسيحيين يدا واحدة في وجه الطغاة: فتحية إلى الصامدين وعهدا على الاستمرار حتى تحقيق الحرية والسلام في مدينة السلام.

ومن قلب فلسطين إلى العالم العربي، فإن القيادة الموحدة تندد بالحملة المسعورة ضد العراق الشقيق، كما تندد بالحملة التي سبقتها ضد ليبيا الشقيقة، وتعلن عن تضامنها الكامل معهم».

المصدر: حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، شؤون الأرض المحتلة، الأرض المحتلة... وقائع وأحداث، السنة السادية/ أفريل 1990، ع64، ص123.

الملحق رقم (4):

حركة التحرير الوطني الفلسطينية "فتح"

القدس أولا:

القدس بالنسبة للنضال الفلسطيني وللنضال العربي وللنضال الإسلامي، فهي مفتاح السلام... وهنا تكمن أهميتها. وهنا تكمن أولويتها. ومن هنا يبدأ الحديث عنها وهي تعيش حالة الحصار والعزل الصهيوني، الذي يحاول اقتطاعها من جسد الحق الفلسطيني المقدس.

القدس أولا...

ليس مجرد شعار نرفعه، إنما هو عقيدة مؤكدة مكرسة، لا يجوز فيها الحياد، ولا تقبل فيها المساومة، فالقدس هي الرمز الذي يوحد شعبنا، والذي تمتد أشعته الفلسطينية المقدسة لتنعكس إلى شطآن غزة الصامدة، وأغوار أريحا الباسلة، وجبال الخليل وبيت لحم وبيت ساحون وتعانق كروم الزيتون في رام الله والبيرة، وبير زيت... والقدس بأشعتها الفلسطينية المقدسة، تحطم القيود والحدود، لتعبر ضمير وقلب كل فلسطيني، يعيش في الأراضي المحتلة منذ عام 1948 في عكا وحيفا والناصرة وصفد... في يافا والد والرملة وبئر السبع.. فحرية القدس، حرية مفتاح السلام، وهو الذي يعطي الأمل في الحياة والديمقراطية والاستقلال للفلسطيني أينما كان، لهذا فإن القدس أولا؛ تعني السلام أولا .. والذين يطالبون بتأجيل بحث موضوع القدس يطالبون عمليا بتأجيل موضوع السلام، والذين يوافقون على تأجيل موضوع القدس، يوافقون على الدخول في الحرب التي تطول وتطول، ما دام جدول أعمال البحث لا يتصدره موضوع القدس... لقد جرب المفاوضون في الجولات التسعة السابقة، وهاهم يدخلون اليوم جولتهم العاشرة، لقد جربوا اللف والدوران حول هيكل السلام المقدس... لامسو جدرانه من الخارج: طرقوا بابه برؤوس أناملهم.. ولكنهم لم يدخلوه، و لم يدخلوه إلا بالقدس... فالقدس أولا... والقدس هي مفتاح السلام.

المصدر: نشرة فتح، ع22، س29، جوان 1993، ص5-6.

فلسطين في العهد القديم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

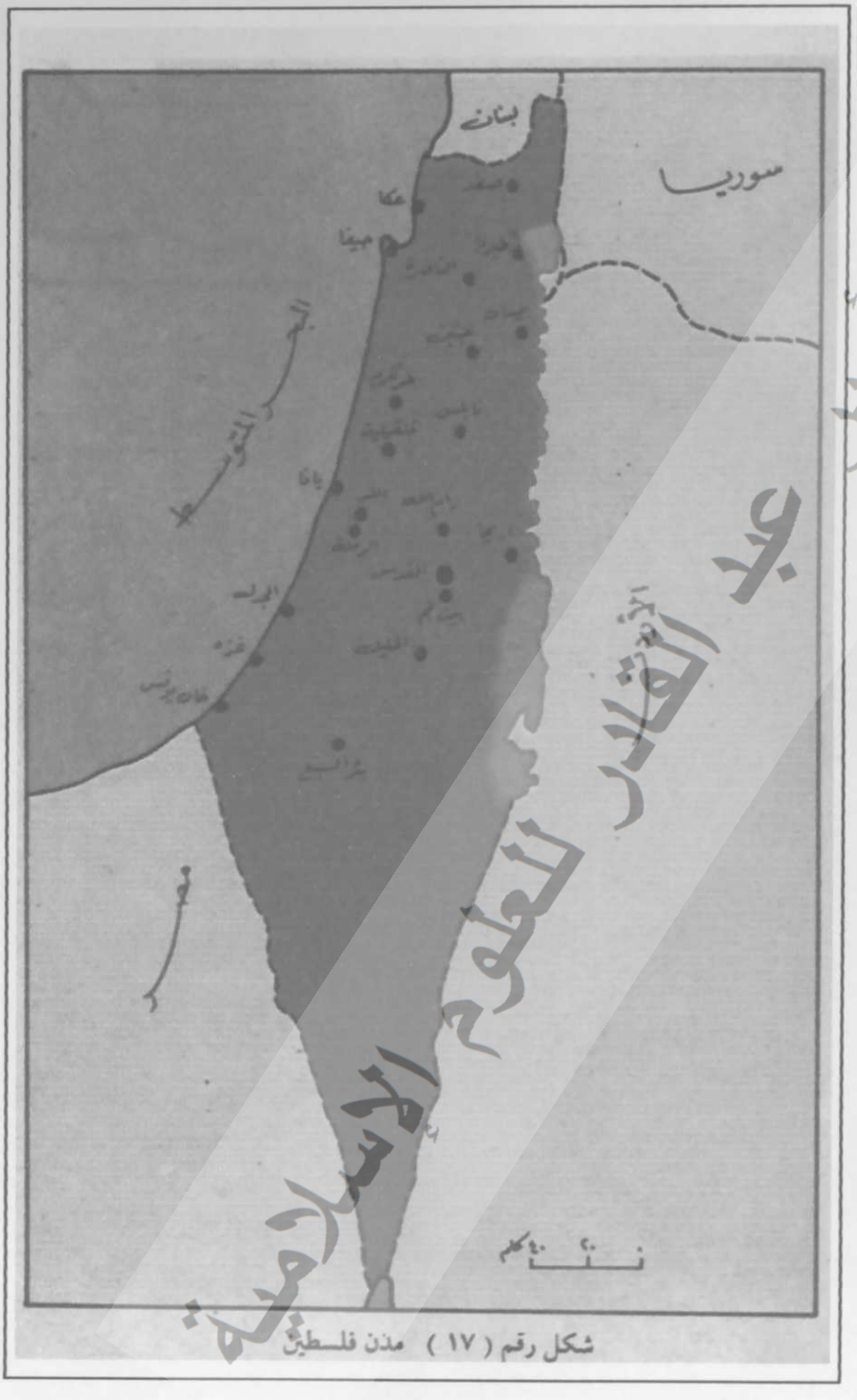

شكل رقم (١٧) مدن فلسطين

مدن فلسطين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

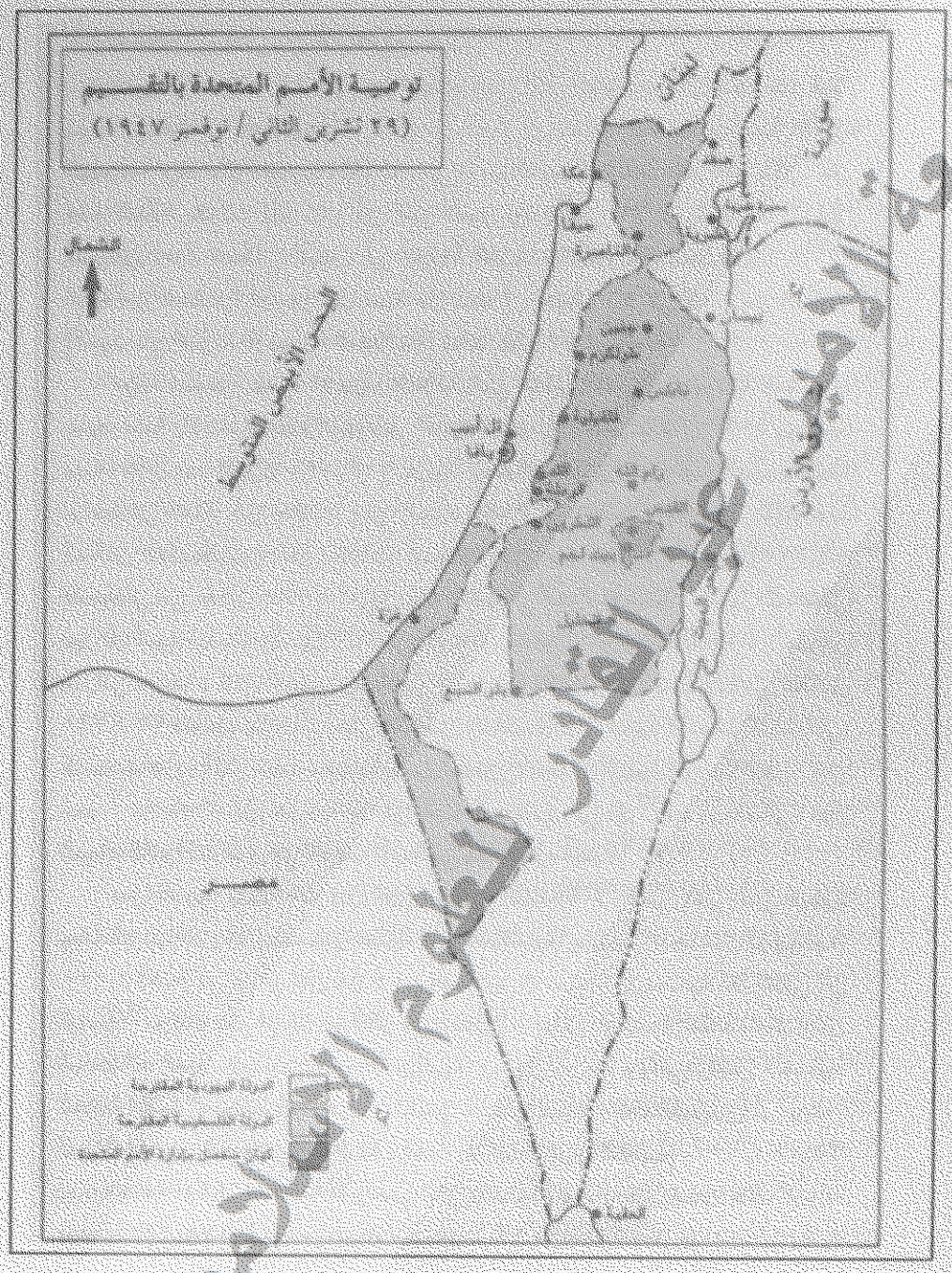

قرار التقسيم

جامعة الأقصى
مركز التراث الفلسطيني

الفهارس

أولا: فهرس الآيات

ثانيا: فهرس الأحاديث

ثالثا: فهرس العهد القديم

رابعا: فهرس العهد الجديد

خامسا: فهرس الأعلام الواردة في المذكرة

سادسا: فهرس الأماكن الواردة في المذكرة

سابعا: فهرس المصطلحات المعرف بها

ثامنا: فهرس المصادر والمراجع

تاسعا: فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الآيات

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
﴿رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله...﴾	126	102
﴿سيقول السفهاء من الناس...﴾	143-142	100
﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم...﴾	177	101
سورة النساء		
﴿وما قتلوه وما صلبوه...﴾	157	34
سورة المائدة		
﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت...﴾	117-116	33
﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة...﴾	21	100، 104
سورة إبراهيم		
﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات...﴾	48	112
سورة الإسراء		
﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا...﴾	1	104، 106
سورة طه		
﴿وهل أتاك حديث موسى...﴾	14-9	31
سورة الأنبياء		
﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم...﴾	68	30
سورة الزمر		
﴿وأشرقت الأرض بنور ربها...﴾	69	113
سورة ق		
﴿واستمع يوم يناد المنادي...﴾	41	101

سورة ق		
﴿ما كذب الفؤاد ما رأى...﴾	11	108
سورة الحشر		
﴿ما كذب الفؤاد ما رأى...﴾	2	115
سورة النازعات		
﴿فإنما هي زجرة واحدة...﴾	14-13	114

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«ستخرج النار قبل يوم القيامة...»	أحمد	114
«ستخرج عليكم نار في آخر الزمان...»	ابن حبان	114
«صلاة الرجل في بيته بصلاة...»	ابن ماجه	103
«قلت يا رسول الله أي مسجد ...»	مسلم	103
«قلت يا رسول الله الصلاة في مسجدك...»	البيهقي	112
«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة...»	البخاري	104
«لقد رأيتني في الحجر وقريش...»	مسلم	107
«لما أسري بالرسول ﷺ وانتهى ...»	مسلم	108
«لما قدم رسول الله ﷺ المدينة...»	البخاري	101
«لما كذبتني قريش قمت في الحجر...»	البخاري	107
«من أهل بعمرة...»	ابن ماجه	104
«يا رسول الله أكتب لي بلد...»		114
«يا رسول الله افتنا في بيت المقدس...»	ابن ماجه	111
«يبدل الله الأرض غير ...»	الطبري	113
«يحشر الناس يوم القيامة ...»	مسلم	112

ثالثا: فهرس العهد القديم

نص	الإصحاح	رقم الفقرة	الصفحة
سفر التكوين			
[فلا يدعى اسمك...]	5	8	40
[وأخذ تارح...]	11	31	14
[وفي ذلك اليوم...]	11	32-31	39
[قال الرب لأبرام...]	12	2-1	39
[ليذهبوا إلى أرض...]	12	6-5	23
[وحدث جوع في الأرض...]	12	10	16
[وخرجوا معا من أور...]	11	31	15
[فسكن أبرام...]	13	12	16
[فنقل أبرام خيامه ...]	13	18	78
[ثم رجعوا وجاءوا إلى...]	14	13-7	8
[هذا هو عهدي الذي...]	17	10	41
[وقال الله لإبراهيم...]	17	16-15	37
[وأقيم عهدي معه عهدا...]	17	21-19	42
[ورأت سارة ابن هاجر...]	21	13-9	48
[وكانت حياة سارة ...]	23	19-1	78
[وقام إبراهيم من ...]	23	3-4، 19-17	40
[لنسلك أعطي هذه...]	25	19	47
[وظهر له الرب وقال...]	26	3-2	42
[أنا الرب إليه أبيك...]	28	13	43
[وقال له الله أنا الله...]	35	12-11	44
[لا يزول قضيب من...]	49	10	55

سفر الخروج			
[فقال الرب إني قد رأيت...]	3	10-7	20
[وقال الله أيضا لموسى...]	3	17-15	44
[ثم كلم الله موسى...]	6	8-2	45
[وأعطيكم إياها...]	6	9-8	46
[وأما إقامة بن إسرائيل...]	12	41-40	18
[لا يكن لك...]	20	3	31
[ثلاث مرات تعيد...]	23	14	73
[ثلاث مرات في السنة...]	34	23	73
سفر العدد			
[ثم كلم الرب موسى...]	13	1، 18-17	18
[أراه ولا أبصره...]	24	17	56
[وأمر الرب موسى...]	34	12-1	47
سفر التثنية			
[إذ كان لرجل امرأتان...]	21	17-15	43
[وصعد موسى من عربات...]	34	4-1	46
سفر يشوع			
[وحرموا كل من ...]	6	35-31	21
[وبقيت أرض كثيرة...]	13	5-2	23
سفر القضاة			
[وكان الرب مع يهودا...]	1	19	23
صموئيل الثاني			
[فصعد حسب كلام جاد...]	24	21-19	66
[كان يهوياكين...]	36	19-9	67

سفر الملوك الأول			
[إذا خرج شعبك...]	8	44، 48	72
[وكان لما أكمل سليمان...]	9	1-2	66
سفر أخبار الأيام الأول			
[ووقف داود الملك على...]	28	62	66
سفر المزامير			
[مبارك الرب لأنه...]	28	6-9	56
سفر إشعيا			
[ويكون في آخر الأيام...]	2	5	58
[الشعب السالك في الظلام...]	9	2-7	56
[ويكون في ذلك اليوم...]	27	12-13	57
[اسمعوا يا أشداء القلوب...]	46	12-13	57
[ألست أنت المنشفة...]	51	10-11	58
سفر إرميا			
[هكذا قال الرب...]	30	18	53
[وأرد سبي يهودا...]	33	7	53
سفر حزقيال			
[حي أنا يقول السيد الرب...]	20	33-38	89
سفر ميخا			
[أما أنت يا بيت لحم]	5	2	80
سفر زكريا			
[وتقف قدماه في ذلك اليوم...]	14	4	89
سفر ملاخي			
[لأن شفتي الكاهن...]	5	2	80

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: فهرس العهد الجديد

النص	الإصحاح	رقم الفقرة	الصفحة
إنجيل متى			
[ولما ولد ياسوع...]	2	3-1	80
[وبعدما انصرفوا إذ...]	2	15-13	82
[وجاء إلى الناصرة...]	4	2-1	83
[لا تظنوا أني جئت...]	5	17	33
[وللوقت بعد ضيق ...]	24	51-45	88
[فمن هو العبد الأمين...]	24	51-45	88
[وبعد استهزءوا به...]	31	35	86
إنجيل لوقا			
[هذا يكون عظيما...]	1	33-32	90
[وفي تلك الأيام صدر...]	2	7-1	80
[ولما تمت أيام...]	2	44-29 ،23	82
[ولما ابتدأ يسوع...]	3	23	83
[أما ياسوع فرجع...]	4	2-1	83
[ورجع ياسوع بقوة...]	4	15-14	84
[لكني أقول لكم أيها...]	6	36-27	85
[وإذا كانوا يسمعون...]	19	13-12	88
[ولما مضوا به إلى...]	6	36-27	85
إنجيل يوحنا			
[أنا أمضي لأعد لكم...]	14	3	88
[خرج وهو حامل...]	14	18-17	87
أعمال الرسل			
[بينما التلاميذ واقفين...]	1	11-10	88
يوحنا اللاهوتي			
[وها أنا آتي سريعا...]	15	14	88
[ورأيت عروشا فجلسوا...]	20	6-4	90

خامساً: فهرس الأعلام الواردة في المذكرة

العلم	الصفحة
-أ-	
أبرام	8، 14، 16، 23، 39، 40
إبراهيم إسحاق كوك	138
إبراهيم عليه السلام	8، 14، 15، 16، 23، 30، 39، 40، 41، 42، 43، 44،45، 46، 72، 78، 102، 104، 108، 125،126
أبرهام كوك	61، 69
أبو عبيد الجراح	35
أخناتون	12
أدد	28
أدورلف لودز	17، 23
أدون	28
أدونيس	93
أرونة	66
آريئيل شارون	168، 175، 180
إسحاق ربين	161، 162، 164، 176
إسحاق عليه السلام	30، 40، 41، 42، 43، 44، 46، 78
إسماعيل عليه السلام	30، 40، 41، 42، 43، 46، 102
آشور رسيدي	12
أغليمان	19
ألفريد موند	70، 138
آمنحت	19
أمنحوتب الثالث	26

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أمور	26
أمين الحسيني	77، 124، 140، 141، 145
أوربان	131
أوري ريفي حرينبرغ	145
إيل	27
إيلات	27
إيلاتو	27
ارميا	57
-ب-	
باتون	10
بارك	168
بركوخبا	75
بعل سافون	28
بكنفتاح	19
بلفور	132، 134، 136، 138، 139، 143
-ت-	
تارح	15
تحوتمس الثالث	17
تسفي كاليشر	61
تغلات فلاسر	12
-جـ-	
جفريز	9، 25، 136
جورج أليوت	51
جوستاف لوبون	4، 19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جيروم	94
-حـ-	
حام	9
حداد	28
حدد	26، 28
حريان	20
حزقيال	57
حسن ظاظا	76
حيا بن حمدا	48
-د-	
دافيد روبين	50
داود عليه السلام	29، 43، 53، 56، 57، 66، 68، 73، 80،117، 128، 149، 170
الدبس (المطران)	20
ديفيد بن غوريون	145، 148، 189، 170
-ر-	
رئيف شيف	176
راحيل	17
رشف	29
رعمسيس	20
رمانو	27
رمسيس	19
رونالد ستورز	141
-ز-	
زكريا	89، 119

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-س-	
ساراي (سارة)	14، 15، 39، 41، 78، 126
سالم	38
ستانلي كوك	17
سترابون	10
ستيففا ب.ل بنروز	54
سليمان عليه السلام	66، 67، 68، 76
سمير أحمد أمين	176
-ش-	
شاس	19
شافتسبري	51
شامير إسحاق	170
شبتاي تسفي	50، 60
شومبرلان	135
-ص-	
صدقيا	68
صلاح الدين الأيوبي	95، 102، 132، 153
صموئيل	66
صمويل موهيلفر	61
-ط-	
الطبري	9
عادل محمود رياض	48
عاشرة	26
عاموس	57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الحميد (السلطان)	64، 135
عبد الله البسطاني	127
عبد الوهاب المسيري	75
عرفات ياسر	168
عز الدين القسام	143
عشتار	26
العقاد	43
عليان بعل	28
عمر بن الخطاب	35، 104، 108، 109
عمر بن عبد الله المصمودي	127
عنات	28
عيسو	44
عيسى عليه السلام	33، 34، 82
-غ-	
غرشوم سالمون	71
-ف-	
فرانتس شايدل	24، 53، 54
فرنسيس لنومان	10
فريد شكر كنج	127
فريزر جيمس	24
فلندرز بتري	17
قطنة	26
-ك-	
كارتر	159

جمعية الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

كجانا	20
كلوزنر	70
كنعان	9
كورش	68
كويسر	19
كينا	20
-ل-	
لابان	16
لوط عليه السلام	14، 16، 39
ليثة	17
ليوبنسكر	135
-م-	
مارتين اليسوعي	10
محمد آل كاشف الغطاء	144
محمد البلاسي	127
محمد بن طخيح الأخشيد	128
محمد بهاء الدين نقشيد	127
محمد حسنين هيكل	160
المر برجر	62
المسيح عليه السلام	55، 56، 57، 58، 61، 62، 64، 76، 79، 80، 81 83،84،85،86، 88، 90، 91، 92، 94، 95، 98،99
المعمدان	84، 98
مناحم بيغن	145، 156، 159
منشه بن إسرائيل	50

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

موت	28
موسى مندلس	134
موسى عليه السلام	18، 19، 20، 30، 31، 32، 72، 73، 104، 119، 123، 131
موشي ديان	149، 152
موشي لغينجر	165
-ن-	
نبوخد ناصر	67، 68
نتانياهو	167، 170، 178
نسيم و.ي	69
نوح عليه السلام	9
-هـ-	
هاجر	42
هاران	14، 39
هتلر	143
هرتزل	64، 135، 136
هنري فنش	134
هيرودس	76، 82، 124
هيرودوت	10
-و-	
وتئل أي أونترمان	69
وليام كرانت	159
-ي-	
يستين	10

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يشعيا هوليبرفتش	71
يعقوب إيل	17
يعقوب عليه السلام	16، 17، 43، 44، 45، 126
يهو ياكين	67
يهودا الاسخر يوطي	34
يهودا القالعي	60، 62
يوحنا بولس الثاني	171
يوحنا قورز بورغ	95
يوسف إيراهيم يمطوب	72
يوسف إيل	17

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادساً: فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
-أ-	
أثينا	135
أذمة	8
إرتيريا	10
الأردن	2، 3، 4، 5، 15، 21، 49، 151، 171
أرطاس	183
أريحا	11، 21، 22، 46، 161
إسبانيا	5
إسكاريا	183
آسيا	2، 4، 7، 26
إفريقيا	2، 4، 5، 26، 135
أفغانستان	175
إليا	115
أمريكا	6
أو رشليم	57، 68، 79، 80، 82، 85
أور الكلدانيين	14، 15، 16، 30، 39
أور سالم	38
أوربا	2، 5، 6، 26
أوغندا	135
انجلترا	138
-ب-	
بئر سبع	17، 49
بابل	8
باتياس	2

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بالع	8
البحر الأحمر	4
البحر المتوسط	2، 39، 4، 5، 7، 10، 49
البحر الميت	2
البحر الميت	2، 3، 4
بحيرة الحولة	2
بحيرة طبرية	2، 5، 81
بحيرة لوط	03
بخارة	127
البرموك	3
برية صين	47
بريطانيا	137
بلاد الرافدين	6، 12
بلوطا تمرا	72
بيت ساحور	183
بيت شان	22
بيت لحم	22، 79، 80، 81، 82
بيسان	5، 11
-ت-	
تامار	8
تركستان	127
تل أبيب	168
تل الخرائب	3
تل القاضي	2

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-جـ-	
جار	7
جازر	21
جاوة	127
جبال طوروش	5
جبعون	21
جبل الشيخ	48
جبل عامر	3
جبيل	11
الجليل	22، 33، 79، 80، 82، 84، 148، 163،
الجمجمة	86، 87، 96
جنين	5
الجولان	48
-حـ-	
حاران (حران)	15، 39
حاصور	21، 22
حبرون	17، 21، 30، 78
الحبشة	10
حرمون	5
حوض النيل	6
-خـ-	
خدان آرام	16، 17
خليج العقبة	2، 3، 94
الخليج الفارسي	10

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخليل	5، 30، 64، 125، 142، 162، 165، 166، 167، 174
خيامايس	5
	-د-
دبير	21
دمشق	5، 13
دورس	5
دير ياسين	147
	-ر-
رأس الناقورة	2
رفح	2، 39
	-س-
ساحل الإحساء	10
ستكهولم	168
سدوم	8، 16
سوريا	2، 4، 10، 11، 12، 27، 151
سيناء	2، 3، 4، 18، 19، 32، 152
	-ش-
الشام	2، 13، 49، 115، 116
شبه الجزيرة ع	7، 12
شكيم	23
	-ص-
صبوييم	8
صفد	64
صفد	142

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صقلية	5
صهيون	57، 58، 93، 128، 135
صور	5، 10، 11
صوغر	8
صيدا	5، 48
صيداء	10، 11
-ض-	
الضفة الغربية	159، 161، 162، 163، 164، 174، 177
-ط-	
طابا	3
-ع-	
عابود	97
عاي	21
عجلون	21
العراق	04
عربات مرآب (النص	46
عقرون	23
عكا	11، 64
عمان	10
عمق السيدم	8
عورة	8
عين مشفاط	8
-ف-	
فاران	18
الفرات الأدنى	14
فرقميش	7، 12

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فرنسا	6
فلسطين	ذكرت في أغلب صفحات البحث
	-ق-
قادش	8، 17، 47
قبرص	5
القدس	ذكرت في أغلب الرسالة
قطاع غزة	159، 161، 162، 164، 174، 175، 177
قلعة الصبيبة	2
قناة السويس	6
	-ك-
كريات أربع	174
كريت	5
كنعان	14، 15، 17، 18، 20، 23، 32، 39، 40، 45، 46، 47، 78
	-ل-
اللاذقية	27
لبنان	2، 4، 9، 23، 48، 151
لبنه	21
ليكيا	5
	-م-
مجد	11، 22
مرجعيون	2
مصر	3، 4، 5، 8، 16، 17، 18، 19، 20، 23، 30، 45، 46، 49، 49، 54، 82، 128، 151
مكة	101، 102، 106، 108، 115
منف	20

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ن-	
نابلس	5، 73، 162
الناصرة	33، 79، 80، 81، 82، 83
النقب	49
نهر الحصباني	3
نهر الفرات	48
نهر النيل	49
نيروبي	135
-هـ-	
الهند	127
هولندة	19
-و-	
وادي العاصي	12
وادي العربة	2، 3
وادي العريش	49
وادي بيشه	18
-ي-	
يافا	3، 148
اليمن	5

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سابعا: فهرس المصطلحات المعرف بها

المصطلح	الصفحة
-أ-	
الأرثذكس	61
الأرجون	147
الإسراء	106
الأشنكاز	63
-جـ-	
جوش إيمونيم	160
-حـ-	
الحريديم	61
الحشر	110
-ص-	
الصهيونية	49
-ع-	
عيد الأسابيع	74
عيد الفصح	73
عيد المظال	74
-ق-	
القبلة	100
-ل-	
الليكود	160
-م-	
المسيحانية	55
المعراج	107

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ن-	
الناتوري كارتا	70
-هـ-	
الهاغاناه	145
هرجدون	58
هو لوكست	151
-ي-	
يهود المرانو	75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثامنا: فهرس المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية حفص

-الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)

-لوقا، الإنجيل للقديس لوقا (القاهرة: دار المعارف، دط، 1978).

-إنجيل برنابا، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل (الكويت: دار القلم، ط2، 1403هـ-1983م).

أولا: قائمة المصادر

- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني،

1. الكامل في التاريخ، (بيروت،: دار الكتاب العربي، ط5، 1405هـ-1985م).

- الأصفهاني، الراغب

2. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد خليل عتياني، (بيروت: دار المعرفة، ط1، 1418هـ-1998م).

- البخاري، محمد بن إسماعيل

3. صحيح البخاري، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1401هـ-1981م).

- البستي، محمد بن حبان بن أحمد

4. صحيح ابن حبان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ-1987م).

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي

5. شعب الإيمان، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ-1990).

- ابن تيمية، أحمد

6. مجموعة فتاوى شيخ الإسلامي ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المغرب: مكتبة المعارف، دط، دت).

- جفريز ج.م.ن

7. فلسطين إليكم الحقيقة، ترجمة: خليل الحاج، مراجعة: محمد أنيس (مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دط، 1975).

- ابن حنبل، أحمد

8. المسند، (دم: دار الفكر، دط، دت).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- دروزة، محمد عزه

9. القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1959م).

- الزمخشري، محمد بن عمر

10. الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، (مصر: مطبعة مصطفى، ط1، 1354هـ)

- الطبري، محمد بن جرير

11. جامع البيان في تفسير القرآن، (مصر: المطبعة الميمنية، دط، دت).

12. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهر: دار المعارف، دط، 1960م).

13. قصص الأنبياء، تحقيق: جمال بدران، (مصر: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1414هـ-1994م)

- العارف عارف

14. النكبة، (بيروت: المكتبة العصرية، دط، دت).

- العسقلاني، أحمد بن حجر

15. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (لبنان: دار المعرفة، دط، دت).

- العلمي، مجير الدين الحنبلي

16. الأنس الجليل بتاريخ القدسي والخليل، تحقيق ومراجعه: عدنان أحمد يونس عبد المجيد أبو تبانة ، (الأردن: مكتبة دنيس، ط1، (1420هـ-1999م).

- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري

17. الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الكتاب العربي، دط، 1387هـ-1967م).

- القرطبي، شمس الدين بن فرح

18. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، (لبنان: دار المكتبة العلمية، ط2، 1407هـ-1987م).

- ابن كثير، إسماعيل

19. تفسير القرآن العظيم، (الجزائر: دار الثقافة، ط1، 1410هـ-1990م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

• لوبون غوستاف

20. اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، (مصر: دار الكتب المصرية، دط، 1970).

• ابن ماجه، محمد بن يزيد بن عبد الله

21. سنن ابن ماجه، (دم: دار الفكر، دط، دت).

• المسعودي، علي بن الحسين بن علي

22. مروج الذهب، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (دم: دار الفكر، ط3، 1365هـ-1973م).

• مسلم بن الحجاج، النيسابوري،

23. صحيح مسلم، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1415هـ-1994م).

• المقدسي، حافظ ضياء الدين الحنبلي

24. فضائل بين المقدس، تحقيق: مطبعة الحافظ، (سوريا: دار الفكر، 1408هـ-1988م).

• بن ميمون موسى

25. دلائل الحائرين، عرض وترجمة وتقديم: حسن أتاي، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دط، 1422هـ-2002م).

قائمة المراجع

• إبراهيم نجيب ميخائيل

26. مصر والشرق الأدنى القديم، (دم: دار المعارف، ط2، 1964).

• الأزعر محمد خالد

27. المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة، (بيروت: مركز الوحدة العربية، ط1، 1991).

• أساراف روبرت

28. أزمة ورجال في إسرائيل، ترجمة وتعليق: حسين شريف، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2000).

• أفاية محمد نور الدين

29. الغرب المتخيل (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 2000).

• الألباني محمد ناصر

30. تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، إعداد: الحسن علي بن محمد الربعي، (الجزائر: الدار السلفية، ط1، 1410هـ).

• الإمام رشاد

31. مدينة القدس في العصر الوسيط، (تونس: الدار التونسية للنشر، دط، (1396هـ-1976م)).

• أمسترونج كارين

32. القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر، محمد عناني، (دم: در، دط، 1998).

• أو حميدة محمد علي

33. المسجد الأقصى وما يتهدده من حفريات، (عمان: مطبعة الشرق، دط، (1402هـ-1982م)).

• إيماير اتش

34. تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، (مصر: دار الأمين، ط1، 1999).

• إيماير أندريه، أوبوايه جانين

35. تاريخ الحضارت العام، إشراف: موريس كروزيه، ترجمة: فريدم داغر، فؤاد .ج أبو ريحلن، (بيروت: منشورات عويدات، ط2، 1986).

• باجودة حسين محمد

36. تأملات في سورة الإسراء، (القاهرة: دار الاعتصام، دط، 1978).

• باجودة محمد

37. الفيوض الربانية في الرحلة النورانية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، (1410هـ-1990م).

• البخاري، صديق بن يحيى القنوجي

38. فتح البيان في مقاصد القرآن، (مصر: المطبعة الكبرى ببولاق، ط1، 1301هـ).

• برافر موشيه

39. حدود أرض إسرائيل بين الماضي والحاضر والمستقبل، ترجمة: بدر عقيلي (عمان: دار الجيل، ط1، 1990م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- اليسوعي بولس إلياس

40. خلاصة الدين المسيحي (بيروت: دار المشرق، ط2، 1987).

- بكر سيد عبد المجيد

41. أشهر المساجد في الإسلام، (المملكة العربية السعودية، مطابع سحر، دط، دت).

- التل عبد الله

42. خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، 1989).

- التنشة رفيق

43. القدس في المسيحية والإسلام، (دم: در، ط1، 1992).

- توينبي أرنولد

44. فلسطين جريمة ودفاع، ترجمة: محمد الديراوي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1960).

- تيم سعيد

45. النظام السياسي الإسرائيلي، (بيروت: دار الجيل، الأردن: الأهلية للنشر، ط1، 1989).

- جابر فايز فهد

46. القدس ماضيها وحاضرها ومستقبلها، (عمان: دار الجيل، ط1، 1985).

- جبارة تيسير

47. تاريخ فلسطين، (الأردن: دار الفكر، دط، دت).

- جرباوي علي وآخرون

48. صراع القرن العربي مع الصهيونية وإسرائيل عبر مائة عام (الأردن: مؤسسة عبد الحميد شومان، ط1، 1999).

- الجورشي صلاح الدين

49. الانتفاضة، فلسطين المحررة أم فلسطين الإسلامية، (بيروت: المكتبة العصرية، دط، 1959).

- جيللون فيليب

50. أنا صهيوني وأطالب بدولة للفلسطينيين، ترجمة: عبد العظيم حماد، تقديم: أنيس منصور، (القاهرة: دار المعارف، دط، 1978).

- جينيبير شارل

51. المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، (القاهرة: دار المعارف، دط، دت).

- حتي فيليب

52. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق، مراجعة جبرائيل جبور، (بيروت: دار الثقافة، دط، 1985).

- حداد يوسف أيوب

53. هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ط1، 2004).

- حسن محمد أحمد محمود

54. المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دط، (1422هـ-2002م)).

- حسن محمد خليفة

55. البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية لجامعة القاهرة، دط، 1999).

- حسين غازي

56. إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، (دمشق: در، دط، 1992).

- حضر بشارة

57. أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم، ترجمة: منصور القاضي، مراجعة: جورج أبي صالح، (بيروت: در، ط1، 2003).

- حميدة عبد الرحمن

58. جغرافية الوطن العربي، (دمشق: دار الفكر، دط، دت).

- أبو خاطر هنري

59. فلسطين والخطر المصيري من النيل وشبه جزيرة العرب، (لبنان: منشورات عويدات، ط2، 1972).

- الخطيب محب الدين

60. اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، (القاهرة: المطبعة السلفية، دط، 1344).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الخولي لطفي

61. الانتفاضة والدولة الفلسطينية، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، (1409هـ-1988م)).

- دروزة محمد عزة

62. تاريخ إسرائيل من أسفارهم، (دم: مطابع شركة الإعلانات الشرقية، دط، دت)، (بيروت: المكتبة العصرية، دط، مزيدة ومنقحة، (1469هـ-1989م)).

63. العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الإسرائيلي الحديث على فلسطين وما جاورها، (لبنان: دار الكلمة للنشر، ط1، 1980).

- دوبر دلاتور أوغستين

64. دراسة في الإسكاتولوجيا، الموت والقيامة، (بيروت: دار المشرق، ط1، 1994م).

- دويتشر إسحاق

65. اليهودي اللايهودي، ترجمة: ماهر الكياني (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1987م).

- ديورنت ول

66. قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محيي الدين صابر، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط3، 1965).

- راشد فرج

67. القدس عربية إسلامية، (المملكة العربية السعودية: دار المريخ، دط، (1406هـ-1986م)).

- رضا محمد رشيد

68. تفسير المنار (بيروت: دار المعرفة، ط2، دت).

- رويس دانيال

69. يسوع في زمانه، ترجمة: الحديث باشا البولسي (لبنان: المطبعة البوليسية جنين، دط، 1969)

- رياض عادل محمود

70. الفكر الإسرائيلي وحدود إسرائيل، (بيروت: النهضة العربية، ط1، 1989).

- ريلي سميث جوناثان

71. ما الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، (مصر: دار الأمين، ط1، 1999م).

- الزحيلي وهبة

72. التفسير الوسيط، (لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط2، (1422هـ-2001م)

- أبو زهرة محمد

73. محاضرات في النصرانية، (الجزائر: شركة الشهاب، دط، 1989م).

- زيادة نقولا وآخرون

74. القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، (بغداد: اتحاد الجامعات العربية، دط، 1983).

- السائح عبد الحميد

75. ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى، (مصر: دار الشعب، دط، 1970).

- السحار عبد المجيد جودي

76. الإسراء والمعراج، (دم: مكتبة مصر، دط، دت).

- سعودي محمد

77. الوطن العربي -دراسة لملامحه الجغرافية-، (بيروت: دار النهضة، دط، دت).

- السقاف أبكار

78. إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، 1997).

- سليم أحمد أمين

79. في تاريخ الشرق الأدنى القديم، (مصر: دار المعرفة الجامعية، دط، 1993).

- السمرة محمود، العابدي محمود

80. فلسطين أرض وتاريخ وشعب وقضية، (دم: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـــوم، دط، دت)

- سوسة أحمد

81. أبحاث في اليهودية والصهيونية، (الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع، دط، 2003).

- شاس طاهر

82. المواجهة والسلام في الشرق الأوسط، (القاهرة: دار الشروق، ط1، (1415هـ-1995م)).

- شايدل فرانتش

83. إسرائيل أمة مفتعلة، ترجمة: محمد جديد، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، دط، 1969).

- الشرقاوي محمد عبد الله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

• الطهطهاوي محمد عزت

95. النصرانية في الميزان، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، جـــدة، دار النشـــر، ط1، (1416هـــ-1995م)).

• ظاظا حسن

96. الفكر الديني اليهودي -أطواره ومذاهبه، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشـــامية، ط4، (1420هـــ-1999م)).

97. القدس، (المملكة العربية السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، دط، دت).

• العابدي محمود

98. قدسنا، (دم: مطبعة الجبلاوي، دط، 1972).

• العارف عارف

99. النكبة، (بيروت: المكتبة العصرية، دط، دت).

• العارف هشام بن فهمي بن موسى

100. إتحاف الأنام في فضائل المسجد الأقصى والشام، (الكويت: لجنـــة العـــالم العـــربي، ط1، (1421هـــ-2000م)).

• بن عاشور محمد طاهر

101. التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1984م).

• عبد العليم مصطفى كمال، راشد سيد فرج

102. اليهود في العالم القديم، (دمشق: الدار الشامية، ط1، (1416هـــ-1995م)).

• أبو عرفة عبد الرحمن

103. الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية، (عمان: دار الجيل للنشـــر والدراســـات والأبحـــاث الفلسطينية، ط2، 1986).

104. القدس تشكيل جديد للمدينة، (الأردن: منشورات دار الكرمل، ط2، 1986).

• عشراتي سليمان

105. العقيدة الإنجيلية وجدلية الانفتاح والانغلاق، (وهران: الشبكة المغاربيـــة للإدمـــاج العـــام والتكنولوجي في التنمية، دط، دت).

106. الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية، دم: در، دط، دت.

• عصفور محمد أبو المحاسن

107. معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، (بيروت: دار النهضة العربي، دط، (1408هـ-1987م)).

• عطار عبد الغفور

108. الديانات والعقائد في مختلف العصور، (مكة المكرمة: در: ط2، (1401هـ-1981م))

• العلمي أحمد، فؤاد عصام، العساف إبراهيم

109. المقدسات في القدس الشريف، (فلسطين: منشورات وزارة الإعلام الفلسطينية، ط1، 1996).

• العلمي أحمد

110. أيام دامية في المسجد الأقصى، (عمان: دار الجيل، ط1، 1983م).

• أبو علية عبد الفتاح

111. القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، (الرياض: دار المريخ، دط، (1421هـ-2000م)).

• أبو علية عبد الفتاح، عويس عبد الحليم

112. بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، (الرياض: دار المريخ، دط، (1401هـ-1981م)).

• العناني أحمد

113. فلسطين في المنظور الإسلامي، (الأردن: دار الشرق، ط1، (1407هـ1987م)).

• الفاروقي إسماعيل راجي

114. الملل المعاصرة في الدين اليهودي، (القاهرة: دار التضامن، ط1، (1407هـ-1988م)).

• فريزر جيمس

115. الفلكلور في العهد القديم، ترجمة: محمد جديد، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، دط، 1969).

• فورز بورغ يوحنا

116. وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البشاوي، (الأردن: دار الشروق، ط1، 1997).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

• القرعي أحمد يوسف

117. القدس من بن غوريون إلى نتنياهو، (باريس: مركز الدراسات العربية، الأوروبي، ط1، 1997).

• قطب سيد

118. في ظلال القرآن، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، ط3، دت).

• كوانت وليام

119. عملية السلام، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، (1414هـ-1994م).

• أبو لغد إبراهيم

120. تهويد فلسطين، ترجمة: أسعد زروق، (دم: رابطة الاجتماعيين الكويت ومركز الأبحاث الفلسطينية، دط، 1972).

• لمعي إكرام

121. الاختراق الصهيوني للمسيحية، (القاهرة: دار الشروق، ط1، (1413هـ-1993م)).

• الماجدي خزعل

122. المعتقدات الكنعانية، (الأردن: دار الشروق، ط1، 2001).

• ماضي عبد الفتاح محمد

123. الدين والسياسة في إسرائيل، (القاهرة: مكتبة مدبولي، دط، 1999م).

• محمد محمد عبد السلام

124. بنو إسرائيل في القرآن الكريم، (الكويت: مكتبة الفلاح، ط1، (1400هـ-1980م)).

• محمد معين أحمد

125. تاريخ مدينة القدس، (دم: دار الأندلس، ط1، 1979).

• المسيري عبد الوهاب

126. الأقليات اليهودية بين التجارة والإدعاء القومي،)دم: دار نافع للطباعة، دط، 1995).

• مصطفى أحمد

127. تفسير المراغي، (دم: دار الفكر، ط3، (1394هـ-1974م)).

• مقار شفيق

128. المسيحية والتوراة، (قبرص: رياض الريس للكتاب، دط، 1991).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

129. قراءة سياسية للتوراة، (لندن: رياض الريس للكتب، دط، 1991)

• الملاح هاشم يحي وآخرون

130. القدس في الخطاب الإسلامي المعاصر، بحوث لمؤتمر كلية الآداب بجامعة الزرقاء الأهلية، (المملكة الأردنية: جامعة الزرقاء، ط1، (1413هـ-1999م)).

• الموحي عبد الرزاق رحيم صلال

131. العبادات في الأديان السماوية، (دم: الأوائل للنشر والتوزيع، دط، 2001م).

• الموسي منير الهور طارق

132. مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية، (عمان: دار الجيل للنشر، ط2، 1956).

• مهران محمد بيومي

133. بنو إسرائيل، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، دط، 1999).

• النجار محمد عبد الوهاب

134. قصص الأنبياء والرسل، (دم: دار الفكر العربي، دط، دت).

• النجار حسين فوزي

135. أرض الميعاد، (القاهرة: دار المعارف، دط، 1985).

• النحال محمد سلامة

136. فلسطين أرض وتاريخ، (عمان: دار الجيل، ط1، 1984).

• ناظم منى

137. المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، (أبو ظبي: مؤسسة الاتحاد والصحافة والنشر، دط، دت).

• الهاشمي عابد توفيق

138. فلسطين في الميزان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م).

• الهذلول صالح بن عبد الله

139. الأصول الإنجيلية، (الرياض: دار المسلم للنشر، ط1، (1416هـ-1996م)).

• هيكل محمد حسين

140. المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، (القاهرة: دار الشروق، ط7، 1996).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

141. الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة في الشـــرق الأوســـط، (دم: دار الهـــلال، دط، 1961).

• وافي علي عبد الواحد

142. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (القاهرة: دار النهضة، دط، دت).

• وايتلام كيث

143. اختلاف إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة: سحر الهنيدي، مراجعة: فـــؤاد زكريا، (الكويت: دار المعرفة، دط، 1420هـــ-1999م).

• والفورد جون ف

144. يسوع المسيح ربنا، ترجمة: حزقيال بسطوروس، مراجعة: إيميل بطرس، (القاهرة: دار الجيل، دط، 1988م).

المراجع باللغة الأجنبية

• Bathelemy André

145. Esraéliens et Palestiniens du dialogue, (Lyon, Chronique social, 1992).

• Le Beau Richerd

146. Une histoire des hébreux, (Paris: Tallandier).

• Brillet. G

147. Isaïe, (Paris: Les editions du cerf, 1945).

• Lods Adolphe

148. Israël, (Paris: edition Albine Michel, 1949).

• Potin Jaque

149. Jerusalem- Juifs, chréiens et musulmans en cœurs d'une ville unique).

• Telleirs. L

150. Atlas historique de l'ancien testament, (Niril Obstat : 1937).

• Tolédame Josphe

151. Le juifs Maghrebins, (Paris: 1983).

- Anonyme

152. La vie humaine de jesus –chrits (Paris, A. la hure, 1927).

المعاجم والموسوعات باللغة العربية

- جبر يحيى عبد الرؤوف

153. معجم البلدان الأردنية والفلسطينية حتى نهاية القرن السابع الهجري، (دم: دار اللوتس للنشر والتوزيع، دط، 1988).

- الرازي محمد بن أبي بكر

154. مختار الصحاح، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، (1415هـ-1994م)).

- طمس جون ألكساندرو وآخرون

155. قاموس الكتاب المقدس، (القاهرة: دار الثقافة، دط، 1995م).

- عبد الباقي محمد فؤاد

156. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (دم: دار مطابع الشعب، دط، دت).

157. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، (لندن: مكتبة بريل، دط، 1943م).

- العقاد عباس محمود

158. موسوعة عباس محمود العقاد، (بيروت: دار الكتاب العربي، دط، 1970). (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1978م).

- فضل محمد عبد الخالق محمد وآخرون

159. الموسوعة العربية العالمية، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، ط2، (1419هـ-1999م)).

- الكيالي عبد الوهاب

160. موسوعة السياسة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1993).

- المسيري عبد الوهاب

161. موسوعة اليهودية والصهيونية وإسرائيل، (دم: شركة صخر لبرامج الحاسب، 1999م).

- النووي محيي الدين شرف

162. تهذيب الأسماء واللغات، (مصر: إدارة الطباعة، دط، دت).

• هوتسما وآخرون

163. موجز دائرة المعارف الإسلامية، (دم: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، (1418هـ-1998م)).

• وجدي محمد فريد

164. دائرة معارف القرن العشرين، (بيروت: دار الفكر، دط، دت).

• اليسوعي سيداروس وآخرون

165. معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة: أنطونيوس نجيب، (لبنان: دار المشرق، ط2، 1998م).

• اليسوعي صبحي حموي

166. معجم الإيمان المسيحي، أعاد النظر فيه من الناحية المسكونية الأب جان كربون، (بيروت: دار المشرف، ط1، 1994م).

المعاجم باللغة الأجنبية

• Pike Eroyston

167. Dictionnaire des religions (Paris : Presses universitaire de France, 1954).

• Unterman Alan

168. Dictionnaire de judaïsme, traduit de l'anglais par: Cathrine Cheval, (Paris : Edition, Tharmes et Hudson sarl, 1997).

المجالات

• أحمد سامح الخالدي،

169. حكومة الليكود وبعض الخصائص المميزة على المسار الفلسطيني، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع28، 1996.

• أسامة الحلبي

170. مسألة القدس في ضوء الاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع31، 1997.

• أسامة الغزالي حرب

171. تطورات القضية الفلسطينية (ندوة آفاق القضية الفلسطينية بعد عامين من الانتفاضة)، المستقبل العربي، ع123، 1989.

• إسحاق موسى الحسيني

172. فضائل بيت المقدس، مجلة البحوث والدراسات الفلسطينية، ع26، 1996.

• أليعزر شفايد

173. أهداف الصهيونية اليوم، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع33، 1998.

• جوزف ألفير

174. المستوطنات والحدود، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع21، 1995.

• دوري غولد

175. القدس الحل الدائم في دراسة لمركز يافي، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع26، 1996.

• عائشة راتب

176. مشروعية المقاوم المسلحة، المجلة المصرية للقانون الدولي، 1970.

• محمد عادل عقل

177. اليهود يدنسون المسجد الأقصى بقرار سياسي جديد، مجلة العالم الإسلامي، ع1800، 2003.

• محمد عثمان شبير

178. بيت المقدس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع6، 1986.

• ممدوح نوفل

179. آفاق الوضع الفلسطيني للضفة الغربية بعد اتفاق طابا، واغتيال رابين، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع25، 1996.

• موسى البديري

180. الفلسطينيون بين الهوية القومية والهوية الدينية، مجلة دراسات الفلسطينية، ع21، 1995.

قائمة الأنترنت

• إبراهيم أبراش

181. إلى أين بعد عامين على الانتفاضة

WWW. Sis. gov. Ps/arabic/ roya, 21/home, Page21

• إفرايم ياعر

182. عملية أسلو والرأي العام في إسرائيل – أوراق إسرائيلية

WWW. Almach-had. Org. 03-01-2003

• جواد الحمد

183. القدس نجاح إسرائيل واضح نحو التهويد جغرافيا وسكانيا

WWW. Yafa-new. Com/ tareek1/t7

184. القدس عبر التاريخ العربي الدائم واليهودي الطارئ

WWW. Aljazeera. Net/ NR/ exeres/ 0523578F-101 D-468D- A85. 03/10/04

• حسن الأمين

185. فلسطين W.W.W. AL-kawthar. Com/quds/ tareek/Palestine

• صخر أبو نزار

186. الاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية بين الواقع والتوقعات

W.W.W afag. Org/main

187. فيلكس فريش، ديانا بحور

188. شارون اتفاق الخليل غير ذي صلة

W.W.W arabiy net. com/ 15/04/2003

189. لهيب عبد الخالق

190. أسلو تتناسل على طرق مغلقة

WWW. Albayan. Co. ae septembre 2003

• محمد جمال طحان

191. اليهود والأوهام الصهيونية-وصف اليهود في الإنجيل-

www. ofouq. Com/ library/ rahhan/ jews-04

• محمد رشاد الشريف

192. تطور مدينة القدس جغرافيا وسكانيا خلال القرن الأخير

www.aqsa-Mubarak-org.

• محسن محمد الصالح

193. القضية الفلسطينية خلفياتها وتطورها حتى سنة 2001م.

www. Palesine-Info. Net/Books.

• نادية محمود مصطفى

194. من انتفاضة الأقصى إلى قمة الأقصى

www. Islam online. Net. Arabic.

• نافذ أبو حسنة

195. بناء الهيكل في الأدبيات اليهودية

www. palestine-info.Net/ books.

• نهاد عبد الإله خنفر

196. انتفاضة الأقصى وقضية الاستيطان

www. sis. gov. Ps/arabic/roya/17 inside 17.

197. جغرافية فلسطين

www. Palestine-info. Net/ arabic.

198. كامب ديفيد الثانية بين الفشل واستمرار التفاوض

www. Palestine-info. Net/ arabic/analysis/index.

199. هل بقيت القدس هي العقدة الوحيدة في المفاوضات

www. Palestine-info. Net/ arabic.

200. الهيكل والأسطورة واختبار العرب

www. quds online. Net.

201. التعريف اليهودي لحائط البراق

www. Aqsa-Mubarak-org.

202. الأهمية الدينية للمدينة

www. http:// beddam jeeran. Com.

203. وصف الحرم الإبراهيمي

www. Hebrom 2000. Tripod. Com/haram

204. على درب الانتفاضة

www. Fm-m.com/2004/ Oct 2004/story

205. نحو فهم أعمق لظاهرة الانتفاضة

www. Fm-m.com/2004/ Oct 2004/story

206. الثورات الشعبية في فلسطين- قرن من المقاومة

www. Fm-m.com/2004/ Oct 2004/story

207. انطلاق انتفاضة الأقصى ومسارها

www. Fm-m.com/2004/ Oct 2004/story

208. www. quds way. Com/ link/quds/1 html-quds7/ quds and intifada/quds and intifada-2

209. http ://home birzeit. Edu/ dsp/ surve2/introa

210. www dar alhayat. Com 12/06/2004

211. إبراهيم خليل نيروز، كنائس عابود- دراسة أثرية تاريخية- رسالة ماجستير، إشراف: نظمي الجعبة، 2000.

www. HCSN.org/ aboud youth/ churches-ar

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ

الفصل التمهيدي: الجغرافية الإقليمية والبشرية لفلسطين

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لفلسطين وأهميته 2

المطلب الأول: الموقع الجغرافي 4

المطلب الثاني: أهمية الموقع الجغرافي 4

المبحث الثاني: سكان فلسطين في القدم 7

المطلب الأول: أوائل سكان فلسطين في القدم 7

المطلب الثاني: دخول العبراني إلى أرض فلسطين 14

المبحث الثالث: أهمية المنطقة كموقع ديني 26

المطلب الأول: أرض الديانات القديمة 26

المطلب الثاني: مهد الأديان السماوية 30

الفصل الثاني: قدسية أرض فلسطين في الأديان السماوية الثلاث

المبحث الأول: قدسية أرض فلسطين في اليهودية 38

المطلب الأول: الأرض الموعودة 39

1-وعد الرب لإبراهيم عليه السلام 39

2-وعد الرب لإسحاق عليه السلام 42

3-وعد الرب ليعقوب عليه السلام 43

4-وعد الرب لموسى عليه السلام 44

5-حدود الأرض الموعودة 46

6-الأرض الموعودة والحركة الصهيونية 49

المطلب الثاني: أرض الميعاد 54

-عقيدة المسيح المخلص 54

-ارتباط عودة المسيح بأرض فلسطين 57

-الصهيونية والعودة إلى أرض الميعاد 59

المطلب الثالث: أرض المقدسات 65

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-الهيكل 65
2-الهيكل وإقامة الشعائر الدينية 72
3-حائط المبكى 74
4-مغارة المكفيلة 78
المبحث الثاني: قدسية أرض فلسطين في المسيحية 79
المطلب الأول: أرض ولادة المسيح ونشأته 79
المطلب الثاني: أرض انبعاث دعوة المسيح عليه السلام وصلبه 83
المطلب الثالث: أرض عودة المسيح 87
المطلب الرابع: أرض المقدسات 92
1-كنيسة المهد 93
2-كنيسة القيامة 94
3-كنيسة الصعود 96
4-درب الآلام 96
5-كنيسة القديسة مريم 97
6-كنيسة مريم المجدلية 98
7-كنيسة القديسة حنة 98
8-كنيسة المنقذ 98
المبحث الثالث: قدسية أرض فلسطين في الإسلام 100
المطلب الأول: أرض القبلة الأولى 100
المطلب الثاني: أرض الإسراء والمعراج 106
المطلب الثالث: أرض المحشر والمنشر 110
المطلب الرابع: أرض المقدسات الإسلامية 116
1-المسجد الأقصى 116
2-مسجد قبة الصخرة 120
3-حائط البراق 123
4-الحرم الإبراهيمي 125

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5-الزوايا 127
6-الأضرحة والمقامات 128

الفصل الثالث: أثر قدسية الأرض على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

-مدخل: الجذور الدينية للصراع 131
المبحث الأول: أثر قدسية الأرض على الجانب الحربي من الصراع 134
المطلب الأول: قدسية الأرض والصراع في مراحله الأولى 134
1-الخلفية الدينية لوعد بلفور 134
2-مرحلة الثورات الشعبية 139
المطلب الثاني: مرحلة الحروب العلنية 144
1-حرب 1948 144
2-حرب 1967 149
3-حرب 1973 155
المبحث الثاني: أثر قدسية الأرض على الجانب السلمي من الصراع 157
المطلب الأول: اتفاقية كامب ديفيد 158
المطلب الثاني: اتفاقية أوسلو 161
المطلب الثالث: اتفاق الخليل 165
المطلب الرابع: اتفاقية كامب ديفيد الثانية 168
المبحث الثالث: علاقة المقدسات بالانتفاضة 173
المطلب الأول: انتفاضتي 1987-1996 173
المطلب الثاني: انتفاضة الأقصى 2000 179
الخاتمة 188
الملاحق 191
الفهارس 200

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية